دكتور
عبد المتعال محمد الجبري

المرأة في التصور الإسلامي

بسم الله الرحمن الرحيم
ومن آياته أن خلق لكم
من أنفسكم أزواجا لتسكنوا
إليها وجعل بينكم مودة
ورحمة، إن في ذلك لآيات
لقوم يتفكرون
صدق الله العظيم

الناشر
مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية . عابدين
القاهرة - تليفون ٣٩١٧٤٧٠

عبد المتعال محمد الجبرى

المرأة في التصور الإسلامي

الناشر
مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية - عابدين
القاهرة - ت - ٣٩١٧٤٧٠

الطبعـة العـاشرة

١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م

﴿ إنَّ المُسْلِمِينَ وَ المُسْلِمَاتِ وَ المُؤْمِنِينَ وَالْمُؤمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ والصَّابِرِينَ والصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّه لَهُم مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً * وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ، وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً مُبِيناً ﴾ .

(الأحزاب : ٣٥ - ٣٦)



مقدمة

أحمدك اللهم وأصلى وأسلم على رسولك وعلى آله وصحبه والسالكين طريقهم إلى يوم الدين . وبعد :

فمما لا ريب فيه أن الجمهرة من المنتميات إلى الإسلام لا يتفق ظاهرهن والإسلام الذي ينتمين إليه . ومرجع هذا في نظري إلى عوامل تنتهى إلى الجهالة بالصورة المتكاملة للإسلام ، وللمسلمة ، وللبيت المسلم ، وللمجتمع المسلم .

ومرد هذه الجهالة إلى المرأة نفسها ، فهى - إن كانت أمية جاهلة بالقراءة والكتابة - لم تسأل عن دينها كما كان يسأل غيرها من نساء السلف الصالح . وإن كانت قارئة . فهى لا تقرأ إلا مايخدم مهنتها ، أو تقرأ القصص الغث الهدام للمعايير والقيم الدينية ، ولا تجد الكتاب الجيد والفكر الواضح والبيان السهل الذى يعرض لها الإسلام .

وإن وجدت مقالاً بيِّناً فهو فى جانب من جوانب الإسلام .. وإن وجدت مقالات تتناول جوانب شتى ، وجدت إنفصالاً بين ما تقرؤه وبين الواقع الذي تعيش فيه ..

ومن ثَمَّ كان لزاماً علينا - نحن المفكرين الإسلاميين - أن نقدم الصورة المتكاملة للمرأة المسلمة في التصور الإسلامي . في العقيدة والسلوك ، فى التعليم والحياة الزوجية . فى الدعوة إلى الإسلام . بل في مواجهة الأقلام المنحرفة عن الهدى الإسلامى ، تلك التى لا تفتأ تدعو إلى التجرد من الإسلام فى صورة الدعوة إلى التقدمية ، أو مقاومة الرجعية ..

وهذا الكتاب يعرض المخطط العملي للأسرة السعيدة المستقرة التي تحتمى بمبادىء الإسلام فتستعصى على التمزق ، ويقدم العقيدة فى منطق عقلى

وتجريبى ، ويمنح من نصوص الشرع والصور التطبيقيه لها . . نماذج تهدى الزوجين إلى ما فيه خيرهما وخير المجتمع .

فإلى الذين يريدون التعرف على « المرأة فى التصور الإسلامي » ليصوغوا بناتهم وأخواتهم وزوجاتهم على نمطها . وإلى التى استعلت على الشهوات الرخيصه فأخذت الطابع الإسلامى وتريد لطابعها القواعد العلمية والمنطقية لكي تستند فى ظاهرها المجيد إلى عقيدة وفكر أصيل .

وإلى أختى المسلمة التى آثرت التحرر من قيود التقليد الأعمى فى شجاعة . واعتزت بدينها .. بالفضيلة ، فمشت مرفوعة الرأس تتعالى بزيها الإسلامى على عواء الشياطين ، لا تهتز لأبواق الإلحاد ، ونداءات مروجى الخنا والفجور . وإلى كل من تمضى معها فى طريق الطهر ترفض من أعماقها كل مايُصَدِّره لنا أعداؤنا من مفاهيم وعادات سامة فى شتى شئون الحياة ، وتهتف فى قوة بلسان الحال والمقال : لا شرقية ولا غربية . لا استعمار ولا تبعية . وفى انكسار لله وخشوع تلهج بدعاء القرآن : ﴿ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ (١) .

إلى الشجاعة المتجسمة فى ملائكة بشرية يقتحمن الجامعة والمدرسة والمصنع والمسجد وكل موقع من مواقع العمل النظيف الشريف ﴿ يَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ ﴾ (٢) و ﴿ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ﴾ (٣) أهدي عصارة قلبى .. ورحيق الروح .. فى هذه الصفحات - سائلاً اللَّه تبارك وتعالى أن ينفع بها . وهو ولى التوفيق .

عبد المتعال الجبري

* * *

---

(١) آل عمران : ٥٣

(٢) النور : ٣١ ، بلفظ « وليضربن ...... »

(٣) الأحزاب : ٥٩

الفصل الأول

العقيـدة

• الله ربي :

- خاصة الوحدانية .
- خاصة الخلق .
- حكمة الخالق وتوجيهاته لصون ما أبدعه .
- الإسلام منطلق الإخاء بين الملل .
- لماذا يرفض الإسلام الإكراه في الدين .
- خاصة الحكم .
- الالتزام .
- الثمرة الطبيعية لمخالفة الإسلام .
- قيمة الالتزام .
- عورة المسلمة .

• القضاء والقدر :

- الله حكيم .
- نماذج للحكمة في البلاء .
- آثار عقيدة القدر .

• الحساب :

- الله العدل .

• البعث والنشور :

- دليل البعث .

• القرآن ووظيفته السياسية والاجتماعية :

- بعض أحكام القرآن في التلاوة .

اللّه ربى

• خاصة الوحدانية :

﴿ قُلْ هُوَ اللّهُ أحَدٌ [1] * اللّهُ الصَّمَدُ [2] * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَهُ كُفُواً [3] أحَدٌ ﴾ [4] .

وهذا هو النداء الذى جاءت به الرسل جميعاً من أجل تحرير الإنسان وأمنه وكرامته والحفاظ على حقيقته . فالذى يوحد اللّه فى الألوهية يأبى الاستعباد والانحناء لسواه .

﴿ وَمَا أرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُولٍ إلاَّ نُوحِي إلَيْهِ أنَّهُ لاَ إلَهَ إلاَّ أنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [5] .

وفى الفطره اقتناع بأن للوجود خالقاً مالكاً له ، متصرفاً فيه وحده : مهيمناً عليه سبحانه ﴿ قُلْ لِمَنِ الأرْضُ وَمَنْ فِيهَا إنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ * قَلْ أفَلاَ تَذَكَّرُونَ ﴾ [6] ، ﴿ ما اتَّخَذَ اللّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إلَهٍ ، إذاً لَذَهَبَ كُلُّ إلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ، سُبْحَانَ اللّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [7] .

ففى النفس إيمان فطرى وبدهى باللّه : خالقاً للنفس : إذ أنها شاعرة بعجزها ، وايمان باللّه خالقاً للكون العظيم ، إذ نراه كل يوم ولا نجد له من الناس راعياً . فلا بد أن يكون « مَالكَ المُلك » واحداً ﴿ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ والأرْضَ أنْ تَزُولاَ ﴾ [8] ، ويكون غير أى شئ من العالمين . وغير مرئى ذلك هو اللّه رب العالمين .

---

(١) الواحد : المنفرد بالذات فلا يضاهيه أحد . والأحد هو المنفرد بالمعنى فلا يشاركه فيه أحد .
(٢) الصمد : المتناهي في السؤدد والتصرف والكمال - المقصود في جميع الحوائج المستغنى بذاته عما عداه .
(٣) الكفو : العَدل - بكسر العين وسكون الدال - النظير - أو الصاحبة والولد (من الخازن) .
(٤) سورة الإخلاص (٥) الأنبياء : ٢٥ (٦) المؤمنون : ٨٤ - ٨٥
(٧) المؤمنون : ٩١ (٨) فاطر : ٤١

ولكن من طبيعة القصور فى النفس البشرية أن ينفلت منها أحياناً زمام الحقيقة الفطرية ، حقيقة التوحيد فتغيب عن قلب المرء ، فإذا به يشرك بالله الخالق ، مخلوقاً مادياً أو معنوياً . أو مخلوقين ، ولهذا بدأ الله يرد الإنسان إلى الفكر الفطرى . والمنطق الطبعي والتجريبي فيهديه بالمنطق إلى فساد القول بالشركاء لله . لأنه لو تعددت الآلهة لكان لكل شخصيته التى تفرض الاختلاف والخصام ﴿ إذاً لذَهَبَ كُلُّ إلهٍ بِمَا خَلَقَ ولَعَلاَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ [1] ، ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ [2] .

وحتى أبسط الناس عقولاً وثقافةً يدركون هذه البدهية فيقولون : « المركب التى لها رئيسان : تغرق » .

ولا يمكن أن يتصور فى المنطق النظرى أو التجريبى أن يكون الله والداً أو مولوداً ، فالولادة عملية عفوية ، أو غير إرادية . تأتى بالرغم من المولود ومما ولد منه . والذى يكون بلا إرادة فى وجود نفسه ، أو بلا إرادة فى وجود غيره منه . يمثل العجز والتبعية والحاجة إلى الله الذى خلق المولود . ﴿ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ﴾ [3].أعنى أخرج المولود بيسر من مكان ضيق ومنحه الوجود ، وجعله عطية منه للوالد أو الوالدة . وهذا وجه فى تفسير الآية .

ونحن نشعر بالحاجة إلى الولد ليكون سنداً لنا فى الشيخوخة ، وليكون امتداداً لنا فى التاريخ والذكرى .. والإله غنى عن ذلك : لأنه قوى أبداً .. سرمدى الوجود . .

والمواليد خلق متشابهون فى جنسهم .. وخالق الخلق : كل المخلوقين له عبيد .. وتمييز عبد على غيره فى الانتماء إلى الخالق بالبنوة ، ووسم من سواه من المخلوقين بالعبودية ، إنما هو ترجيح بلا مرجح ، وهو ما ينفيه العقل بداهة . والله يقرر هذه الحقيقة الفطرية فيقول : ﴿ لَوْ أرَادَ اللَّهُ أنْ يَتَّخِذَ وَلَداً لاصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ، سُبْحَانَهُ ، هُوَ اللَّهُ الوَاحِدُ القَهَّارُ ﴾[4] .

---

(1) المؤمنون : ٩١
(2) الأنبياء : ٢٢
(3) عبس : ٢٠
(4) الزمر : ٤

قال « استريدهبر ماسمارت » وهو شاب أمريكى أسلم : « لقد وضعت هذه الآية المسيح فى موضعه الصحيح من تصورى لمكانته كنبى من أنبياء الله المرسلين » .

* * *

• خاصة الخلق :

هو الله الخالق ، أما غيره فلم يخلق العالم ، ولا جانباً من جوانبه ، ولذا أفردته بالعبادة ، وكفرت بسواه ، لأنه غير جدير بذلك : ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لاَ يَخْلُقُ ، أفَلاَ تَذَكَّرُونَ ﴾ (١) ؟ !

وهو الخالق كل ما خلقه على أساس من العلم والحكمة والاتساق . فى أجزاء المخلوق ، وفى الترابط بين جميع المخلوقات التى جعل منها « وحدة العالم » ، ﴿ مَا تَرَى فِى خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ ، فَارْجِعِ البَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ﴾ (٢) ؟!

ويعنو وجه العلم والعلماء لعظمة الله الخالق ..فلا يستطيعون خلق قلامة ظفر فى أنملة (٣) ، ولا بث الحياة فى نملة ، ولا يجدون إلا الإبداع فيما خلق الخالق . ﴿ بَدِيعُ السَّمَوات وَالأَرْضِ ﴾ (٤) .. هذا منطق المشاهدة يدل على الله الخالق الذى نعبده .

فأنت حين ترى صناعة بديعة تستشعر أن صانعها مبدع حكيم خبير بما يفعله، وعندما تلاحظ أنه لا يوجد شيئان متشابهان كل التشابه ، حتى الحصى ، فأصبح لكل مخلوق بصماته وخصائصه المميزة .

فترى من المنطق العلمي أن الله واحد لا يمكن أن يكون له شريك فى ذاته أو صفاته ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ .

* * *

(١) النحل : ١٧ . (٢) الملك : ٣ .

(٣) قلامة الظفر : ما يقص منه – والأنملة : العقلة الأخيرة من الأصبع التي ركب الله فيها الأظافر . (٤) البقرة : ١١٧ .

• حكمة الخالق وتوجيهاته لصون ما أبدعه :

والله العظيم العليم المصور الحكيم الخبير اللطيف فى كل ما خلق ، لا يمكن أن يكون عابثاً فى أعماله الحكيمة التى تشهد بالخلو من العبث ، ﴿ أَيَحْسَبُ الإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدَىً ﴾ [١] ؟!.

فمن الحكمة أن يكون فى ذهن كل امرئ إدراك أنه ليس إلهاً فى هذه الأرض يمشى فيها كما يشاء له الهوى ، بل هو مخلوق يسير أسيراً فى يد الخالق الرحيم الذى منحه الفكر والقوة ونور البصر والبصيرة [٢] ، ورقة الحواس ، وأنزل له من السماء ماءً طهوراً ليحيى به بلدة ميتاً ويسقيه أنعاماً وأناسى كثيراً .

وليس من الحكمة أن يكون مجتمع بلا قانون ونظام يحمى المجتمع من الفوضى والاضطراب والضياع ، فمن المنطق التجريبى أن كل صانع لأى شئ ، وكل مبتكر لأى آلة ، ولأى جماعة ، يضع الضمانات الكافية لحماية الآلة أو الجماعة ، لأنه يحب ما يخلق ويصنع ، وهكذا - ولله المثل الأعلى - كان للمخلوقين كتاب ينظم حياتهم ، ويحميهم من الاضطراب والانحلال والإرهاق المدمر ، ويصونهم من الضياع .

فمن منطلق الحب لما خلق : أرسل الله رسله بالكتب مبشرين ومنذرين .. ليضيئوا الطريق لعباده الذين خلقهم وأحبهم ﴿ وكَذَلكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا ، مَا كُنْتَ تَدْرِى مَا الكِتَابُ وَلاَ الإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوراً نَهْدِى بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ، وإِنَّكَ لَتَهْدِى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [٣] .

ومن منطلق الحب يثيب المرء ابنه ويعاقبه ، ومن منطلق الحب كان ثواب الله وعقابه .

ومن المنطلق التجريبى أننا نحب ما يحب آباؤنا ونحترم من يحترمون .

---

(١) يُترك سدى : يُترك مهملا ، عبثاً لا رقابة ولا محاسبة - سورة القيامة : ٣٦

(٢) القلب والعقل .

(٣) الشورى : ٥٢

وكما أحب الله خلقه ، علينا أن نحب خلقه ، ونحترم رسله ، فنحب الناس جميعاً حتى الذين نحمل السيف لقتالهم ، نحبهم ولا نحمل السيف إلا ليرعووا ، كما يحمل الطبيب مبضعه لينقذ بجرح دام مريضاً فى طريق الفناء .

فقسا ليزدجروا ومن يك حازماً فليقس أحياناً على من يرحم

ومن هذا المنطلق أيضاً إقامة الحدود الإسلامية على مقترفى الجرائم الكبرى كالسرقة والزنا والخمر ، والقذف ، وقطع الطريق ، والقصاص ، وفى القتل والجراحات .

* * *

• الإسلام منطلق الإخاء بين الملل :

ونحترم ديانات الناس المنزلة من عند الله وندعوهم بالحسنى إلى الحق ، ونقر بأن الله أرسل رسلهم فـ ﴿ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ﴾ [(١)] .

وكيف نفرق بين رسول ورسول ؟ إنهم جميعاً سفراء الله إلينا ، فمن كذّب رسولاً أو احتقره أو أنكره فقد أهان الرب الذى أرسله .. فكل رسول جاء بالدليل الذى يؤكد لنا أنه سفير الله إلينا ، وقدم أوراق اعتماد السماء له إلينا ممثلة فى معجزاته .

والإسلام وكتابه لما كانا للعالمين فقد فرض إحترام جميع الرسل الذين آمنت بهم كل الجماعات البشرية : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُم مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ، وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ ﴾ [(٢)] .

ونحن كأمة نيط بها دعوة الناس كافة إلى الإسلام - واجبنا أن ننفذ قرار احترام الرسل كنقطة تصلح ملتقى للحوار بيننا وبين الناس كافة ، وتجعل الباب موارباً .

والله الذى أحبنا ما كان ليتركنا نضيع فى متاهات الحياة المظلمة ، فكلما انطفأ مصباح من مصابيح الهداية بموت رسول بعث رسولاً بمصباح جديد ،

---

(١) البقرة : ٢٨٥ . (٢) غافر : ٧٨ .

وهكذا حتى جاء محمد ﷺ بمصباح الهدايات التى سبق بها المرسلون السابقون بعد أن أصبحت نسياً منسياً ﴿ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ ﴾(١).

فمن آمن بالقرآن واهتدى به فقد آمن بكل الكتب السابقة .. ومن كفر بالقرآن ومضمونه فقد كفر بالرسالات السابقة ، لأنها لم تدون قبل محمد ﷺ فى كتاب أو أثر بلغة معروفة لنا . وليس لدينا دليل علمى ولا شبه علمى على أن فى الأرض كتاباً لله ثابت النسب غير القرآن الكريم ، ولا يجادل فى هذا عالم ولا مؤرخ ، سواء أكان مسلماً أو مسيحياً أو يهودياً أو زرادشتياً . فالكتاب الوحيد الذى دُوِّنَ فى عهد رسول الله ﷺ ، ثم نُقِلَ إلينا متواتراً يرويه الثقات عن الثقات حتى وصل إلينا هو القرآن .

وتليه في الدرجة أحاديث الصحاح .. وبهذا فنحن على ثقة من مصادر الإسلام ، وأما غيره من الكتب ففيها يقول ربنا : ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ، يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَوَاضِعِهِ ، وَنَسُوا حَظّاً مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ﴾(٢) . فهى بفقدان سلسلة الرواية مواليد غير شرعية . إذ هي مجهولة الأنساب بالكلية .

ثم إن دعوة الرسل كلها واحدة ، وإن تكذيب أى رسول يعتبر تكذيباً لجميع الرسل منطقياً ، إلى هذا تشير كيفية تعبير القرآن عن تكذيب الأمم لرسلها ، ففي تكذيب نوح يقول : ﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ ﴾ (٣) . وفي قوم هود يقول : ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلاَ تَتَّقُونَ ﴾ (٤).

والإسلام بهذا ليس دين طائفة أو جنس ، فهو رسالة موسي وعيسى وإبراهيم ومحمد عليهم الصلاة والسلام، تحدَّث القرآن عن مضمونها جميعها فقال : ﴿ إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الأُولَى * صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴾ (٥) .

---

(١) المائدة ٤٨ (٢) المائدة : ١٣ (٣) الفرقان : ٣٧
(٤) الشعراء : ١٢٣ - ١٢٤ (٥) الأعلى : ١٨ - ١٩

وتحدَّث عن إبراهيم ودعاوي التمزق الطائفي في عصر النبوة فقال : ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيّاً وَلاَ نَصْرَانِيّاً وَلَكِن كَانَ حَنِيفاً مُسْلِماً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (١) .

وصاح في دعاة التمزق قائلاً في احترام وأدب : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ ، فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (٢) .

وتحدَّث عن وحدة الأصول الدينية فقال : ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ، أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلاَ تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ (٣) .

وأعلن القرآن كفر الذين يفرقون البشرية باسم الأديان والرسل فقال : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً * أُولَئِكَ هُمُ الكَافِرُونَ حَقّاً ، وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُهِيناً ﴾ (٤) .

إننا نحب المرسلين جميعاً ، لأنهم أحباب الله الحبيب ، ونحكي بالاحترام قصصهم ونهتدي بسلوكهم ، وما يرويه غير المسلمين مما يناقض القرآن مرفوض علمياً ، لأنه ليس لروايته إسناد علمي ولا غير علمي ، وما وافق القرآن ، فالقرآن يكفينا : ﴿ أَوَ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (٥) .

* * *

• لماذا يرفض الإسلام الإكراه في الدين ؟

ونصوص الإسلام لا تقبل إسلام المكره على دخول الإسلام ، والله يُحَرِّم إرغام غير المسلم على الإسلام : ﴿ لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾ (٦) .

وسمى الله الذين يظهرون الإسلام دون اقتناع : منافقين .

---

(١) آل عمران : ٦٧ — (٢) آل عمران : ٦٤ — (٣) الشورى : ١٣
(٤) النساء : ١٥٠ - ١٥١ — (٥) العنكبوت : ٥١ — (٦) البقرة : ٢٥٦

وبما أنهم يشكلون في بناء الإسلام اللبنة الهشة ، وفي حلقاته القوية حلقة ضعيفة تهدد السلسلة بالخطر عند استعمالها . . جعل عقوبة المنافق أشد من عقوبة الكافر المستعلن بكفره ، إذ أن المرض الخفي أشد خطراً من المرض الظاهر بأسبابه ومظاهره . . ولذا قال سبحانه : ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ﴾ (١) .

ولا خلاف بين علماء المسلمين في هذا الذي أقرره .

إن الإسلام يحترم العقل والقلب . ومن الإذلال لهما اكراههما على الانضواء تحت دين لم يعرفاه .

* * *

• خاصة الحكم :

والله هو الحَكَم العَدْل مَالكَ المُلك ذو الجلال والإكرام .

ومقتضى هذا أن المال مَال اللهَ ونحن وكلاء الله فيه ، وليس للوكيل أن يتصرف في مال موكله إلا في حدود إذنه . . فقواعد البيع والشراء والكسب والهبة ، وتحديد الكسب غير المشروع كالربا والسرقة والغش والاختلاس والغبن والتطفيف . . كل ذلك له تشريعات ولوائح وقوانين لا يجوز للوكيل (المسلم) فرداً أو جماعة أن يتخطاها . . ومن استحل تخطيها فقد كفر بالله الذي أنزلها.

وكمنازعات الأموال : الخصومات والمخالفات الاجتماعية وقواعد الحياة الاجتماعية المثلى ، وقد وضع القرآن والسنة أحكام كل ذلك . . فاستحلال مخالفتها جريمة في حق الله الحكم العدل ، وافتئات على حق من حقوق الله وهو الحُكم : ﴿ أَلاَ لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴾ (٢) .

﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ (٣) .

﴿ فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾ (٤) .

---

(١) النساء : ١٤٥ .
(٢) الأنعام : ٦٢ .
(٣) المائدة : ٤٤ .
(٤) النساء : ٦٥ .

واللجوء إلى أى ساحة للقضاء الذي لا يلتزم حكم الله وتعاليمه مظهر للنفاق . ولهذا فهو لا يذهب إلى دور القضاء غير الشرعي إلا مضطراً .

ولا عبرة بالاحتجاج بأن القرآن غير كاف لسد حاجات البشر من القوانين أو لمواجهة التطور : ﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَا آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ ، واللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُم مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ ، وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ * وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ * وَإِنْ يَكُن لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ * أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ ، بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (١) .

ولم يُنزِّل الله القرآن رقية أو تميمة أو قصة للترفيه والتسلية ، أو فلسفة تُغذي العقل ، أو نفحة ترقق الوجدان . وإنما نزَّله للحكم بين الناس في كل قضاياهم العقلية والمادية والروحية .

وفي السنة النبوية بيان وتفصيل لما أجمله القرآن كملت به شريعة الإسلام كما قال عليه الصلاة والسلام : « أوتيت القرآن ومثله معه » . وفي مؤتمر القانون الدولي بلاهاى أجمع الأعضاء على أن تشريعات الإسلام وقوانينه هى أسمى التشريعات ، وفي الأزمة التي انتابت العالم عقب الحرب العالمية الأولى قال الفيلسوف برنارد شو : « ما أحوج العالم إلى رجل كمحمد يحل مشكلاته المعقدة بينما يشرب فنجالاً من القهوة » .

﴿ وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْماً عَرَبِيّاً ، وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴾ (٢) .

وليس من حق أحد ولو كان رسولا أن يقضي بغير ما أنزل الله مهما دخل في روعه أن المصلحة في غير ما نص عليه كتاب الله : ﴿ وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ ، فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَم أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ، وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ

---

(١) النور : ٤٦ - ٥٠ .   (٢) الرعد : ٣٧

لَفَاسِقُونَ * أَفَحُكْمَ الجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ، وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾[1].

* * *

• الالتزام :

وحينما شرّع الرهبان والأحبار - وكانوا حكام قومهم في العصر الروماني - قوانين للناس الذين اعتقدوا قداسة هذه القوانين وقداسة الذين شرّعوها . وأنها واجبة الالتزام - وإن خالفت أمر الله - اعتبروا مشركين ، واعتبروا قوماً يؤلهون الرهبان والمشترعين لهم ، وقال القرآن عنهم : ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ والمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهاً وَاحِداً ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ ، سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [2] .

* * *

• الثمرة الطبيعية لمخالفة الإسلام :

والقرآن عندما يبين أن سبب البلاء مخالفة بعض تعاليم الله حتى وإن وجدت الطاعة في البقية الباقية من تعاليمه سبحانه - إنما يجري مع المنطق التجريبي ، لأن الإصلاح وحدة لا تتجزأ ، وأيما ثلمة في النظام الاجتماعي أو الأخلاق الشخصية يؤدي إلى كارثة مدمرة للمجتمع أو الشخص .

ومن أمثلة ذلك ما قاله عليّ بن أبي طالب في حد الخمر [3] : من شرب سكر ، ومن سكر هذى ، ومن هذى افترى ، ومن افترى جلدناه ثمانين جلدة ، فمن شرب الخمر وجب جلده ثمانين كذلك .

وهكذا قل في الرجل الذي يستبيح « الإسراف » في شيء ما ، فتكوّن عنده عادة الإسراف ، يندفع بضغط هذه العادة إلى سلسلة أخرى ، من القبائح . . يندفع إلى تناول الشبهات وطلبها ، وهى ذريعة الحرام ، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام . كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه : فيسرق .

---

(1) المائدة : ٤٩ - ٥٠ .
(2) التوبة : ٣١
(3) حد الخمر : العقوبة التي قررتها الشريعة بالنص وحددتها - أما العقوبة التي ترك الله تحديدها للدولة فتسمى « التعزير » .

ويرتشي . ويتستر على المذنبين إن كان في هذا ما يخدم مصالحه حتى تضيع الحقوق . فتختل الحياة الاجتماعية . وهكذا يستدين من أجل مآربه ونزواته . والدّين هم بالليل ومذلة بالنهار ، فيصاب بالاضطراب النفسي وتضطرب ميزانية أسرته ، وقد يصاب بالتوتر العصبي . وإذا ألف المذلة للدائنين فقد الإحساس بالكرامة التي وهبها الله للإنسان ومنحه إياها .

وأمة في أفرادها قوم لا يشعرون دائماً بالكرامة تألف تلقى ضربات العدو المذلة . فلا تقاوم ولا تدافع عن حياضها وكرامتها .

والإسراف في الملبس والمطعم والمسكن والزينة والمجاملات يوجد الإنسان المترف الذي يشده الترف إلى الحرص والشح والجبن ، والعجز عن مواجهة الشدائد ومناصرة الحق ، ومجالدة الأعداء والحكام الظالمين المستبدين . فيوجد من المترفين أعضاء مشلولون في الجماعة البشرية ، ويتحول المجتمع إلى مجتمع أشل عاجز عن التحرك لحماية الحق فيه . وهذا سبيل الهاوية : ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً ﴾[1].

وهذه صورة تكشف لنا كيف أن الاختلال في السلوك في جانب واحد يشد إلى الهاوية ، وبانقطاع حلقة في سلسلة الخلق الاجتماعي ينفرط عقد الأخلاق جميعه .

وإذا أصيب القوم في أخلاقهم   فأقـم عليهـم مأتماً وعويلا

ولذا كان ما يسميه علماء الاجتماع الشيوعيون « حتمية الالتزام » بكل قواعد وتعاليم المذهب ، لأنها حلقات يكمل بعضها بعضاً . وبعبارة الإسلام « فرضية الاستقامة » .

إنه التزام للتعاليم السماوية . . ولو أدى إلى مفاصلة الأصدقاء ومنابذة البشرية جميعاً . ﴿ لاَ حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ﴾ [2] .

هذه طبيعة الإيمان بالمبادىء والمعتقدات ، عرفناها في الشيوعية وفلسفتها حديثاً ، وعرفناها في الملل والنحل منذ آلاف السنين ، إلتزام ومفاصلة .

---

(١) الإسراء : ١٦   (٢) الشورى : ١٥

﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ، كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ ﴾ [1] .

من هذا المنطلق كان طبيعياً أن رأينا طالبة حضرت حفلاً لتوزيع جوائز التفوق أقيم لها ولزميلاتها . وقالت الآنسة ناظرة المدرسة (في الستينيات) : اخلعي خمارك عندما تتسلمين من وكيل الوزارة جائزتك ، فرفضت الفتاة الانصياع لأمر الناظرة . وخرجت تبكي دينها وتنعي أهله رافضة استلام جائزتها .

ورأينا أخرى في المدرسة الإنجليزية (سابقاً) ، تأمرها ناظرة المدرسة أن تكون كباقي التلميذات حاسرة الرأس ، قائلة : هذه تقاليد المدرسة وتعاليمها .

فأجابت الفتاة : ولكن تعاليم الله أولى بالاتباع ، فبهتت الناظرة واستسلمت.

وفتاة أخرى خطبها شاب ، وسألها عن « الشبكة » التي تختارها فقالت : لا شيء أكثر من « دبلة الخطوبة » ، إن التي تطلب أساور من ذهب إنما تطلبها لتكون زينة معصمها المكشوف للجماهير الغادية والرائحة . وأنا مسلمة لا يحل أن يرى لحمي أحد ، فإذا اشتريت - كما تشتري الزميلات - أساور فما قيمتها ؟ إنها حلية يزدان [2] بها اللحم الرخيص المكشوف للذباب البشري الوضيع بفسقه وفجوره ، وليس لي لحم رخيص ينكشف لغير زوجي .

وهي فتاة كأنها فلقة من القمر ساحرة العينين . وقد دفعها إيمانها بالخالق الذي صوَّرها فأحسن صورتها إلى أن تلبس منظاراً يحجب جمال عينيها ، ويقي الرائين شر سحرهما .

إنها مسلمة تعرف معنى الاستقامة أو « الالتزام » وقد سأل أعرابي رسول الله ﷺ قائلا : يا رسول الله . . قل لي قولاً في الإسلام لا أسأل بعده أحداً . فقال عليه الصلاة والسلام : « قل : آمنت بالله ثم استقم » .

---

(١) الممتحنة : ٤

(٢) يزدان : يتزين .

ومن منطلق الحساسية الروحية المجيدة ما رُوِيَ أن امرأة من صالحات نساء قريش خرجت إلى بابها تغلقه ورأسها مكشوف فرآها أجنبي . فرجعت وحلقت شعرها ، وكانت من أحسن النساء شعراً ، فقيل لها في ذلك قالت : ما كنت لأدع على رأسي شعراً رآه من ليس بمحرم [١] .

وفي قريتي سمع تلميذ في المدرسة الابتدائية من مدرسه أن رسول الله ﷺ قال فيما يروى عنه : « بين المؤمن والكافر ترك الصلاة » : وقال : « تارك الصلاة ملعون ، وجاره إن رضى به ملعون إلى يوم القيامة » . والمخلص من جارك الذي تضطر للأكل معه - إذا كان لا يصلي - أن تأكل في طبق خاص ، فإن لم يكن إلا طبق واحد فخط بينك وبين من يؤاكلك خطاً . .

وعندما آب [٢] التلميذ إلى البيت ، وقدم له مع الأسرة طبق من الأرز المطبوخ باللبن خط التلميذ بينه وبين والده - الذي لا يصلي - خطاً . فسأله والده عما يفعله فأخبره بما قاله مدرسه . . فكان هذا الالتزام من الشبل الصغير لدينه سبباً في تغيير حياة أبيه ، إذ قام إلى صلاته فداوم عليها حتى مماته .

* * *

• قيمة الالتزام :

وإن الالتزام بمبدأ في كل التصرفات الشخصية والجماعية هو أقوى إعلان عن المبدأ : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [٣] .

إن أشجع فتى وفتاة هو الذي يستعلى على تقاليد المجتمع البالية الفاسدة العفنة ، ويتحدى فجور العصر وإنحلاله ويقول بسلوكه العملي ، أو تقول الفتاة بزيها النوراني : أنا مسلم . . أو أنا مسلمة . . العظيم هو الذي يتحكم في شهواته ونزواته التي يشده المجتمع إلى إشباعها فيقول : حرام . . أنا مسلم .

---

(١) دولة النســاء ص ٤١ .　　(٢) آب : رجع .　　(٣) انظر للمؤلف كتاب « الله أحد » فصل علاقة التوحيد بالعبادة (تحت الطبع) والآية من سورة الأحزاب : ٢١

إن الفتاة التي ترتدي خمارها وتستر كل جسمها فلا يُرى إلا وجهها وكفاها ، ثم تمشي في طريقها يكسو وجهها نور الإيمان وبهاء العفة . ورواء الشرف . إنما هى ملاك يمشي على أرض البشر في صورة عروس . . تحييها الملائكة أنّى سارت ، وتحوطها القلوب العفة أنّى تحركت ، وتنظر إليها عين رسول الله ﷺ بالإعجاب ويناديها من وراء أربعة عشر قرناً : « من تمسك بسنتى عند فساد أمتي فله أجر مائة شهيد » .

أيتها المتحدية للخنا والفجور ، أنت حجة الله المتجسدة على بنات حواء ، وبني آدم . وفي عملك الدليل على أن شرائع الله - ممكن - عندما يكون إيمان صادق جاد - أن تُنفَّذ وأن تُلتزَم ، وأن أحكام دين الله سهلة وميسورة .

أنت الدليل على صدق قول الله : ﴿ لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إلاَّ وُسْعَهَا ﴾ (١) وعلى أنه سبحانه لم يشرِّع لنا ما يحرجنا : ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ، هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ (٢) .

تنظم الأمم مهرجانات التقدير للشهيد ، وإن المتحجبة في عصر الإباحية أعظم في الآخرة من مائة شهيد حين تستر بخمارها عن اقتناع وإيمان بأنها تدعو إلى الله عملياً بسلوكها ومظهرها . . إنها قديسة حية حين التزمت في اعتزاز كلمة القرآن : ﴿ وَقُل لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِن أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا ، وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ ، وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ (٣) أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ (٤) أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الإِرْبَةِ (٥) مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلاَ يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ ، وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (٦) .

* * *

---

(١) البقرة : ٢٨٦ (٢) الحج : ٧٨ (٣) البعل : الزوج

(٤) الأبناء والعبيد في العصور التي فيها رقيق .

(٥) الخدم الخصي أو الذين فقدوا الشهوة لشيخوخة أو لمرض . (٦) النور : ٣١

• في عورة المسلمة :

المسلمة تغض طرفها ولا تكشف عن شيء من مفاتنها لأحد ولو كان قريباً لها وفي بيتها ومحضر إخوتها . . ولا تضع خمارها جانباً ، أو تكشف شعرها إلا أمام والدي الزوجة والزوج ، والإخوة ، والأبناء ، وبني إخوتها فقط .

أما الأعمام والأخوال وبنوهم فقال بعض العلماء : هم كالأجانب حين تلقاهم . لا يجوز أن يروا شيئاً منها ما عدا الوجه والكفين ، لأن الأعمام والأخوال يصفون لأبنائهم ما يرونه من جمال بنات إخوتهم حرصاً على تحبيبهن إلى قلوبهم ليتزوجوهن ، فيُهَيِّجون جنسياً . واســتدلوا بأن النفي مع الاستثناء في الآية : ﴿ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ ﴾ . يفيد القصر وإرادة الحصر لمن جاء الاستثناء بشأنهم بعد لفظ « إلا » .

ثم إن التفصيل والتحديد لأنواع المخالطين للأنثى من البشر يؤكد إرادة القصر والحصر ؛ إذ أن عادة القرآن الإجمال ، فلا يخرج عن القالب المألوف في أسلوبه إلا لقصد الحصر .

ومن العلماء من يُلحق الأعمام والأخوال بهؤلاء المذكورين في الآية باعتبارهم محارم .

ومنهم من يُلحق بهم الأقارب من جهة النسب . والأقارب من جهة الرضاع [1] .

وجاء في الفقه على المذاهب الأربعة في فصل « ستر العورة خارج الصلاة »: « وقال المالكية : عورة المرأة من محارمها الرجال : هو جميع بدنها ما عدا الوجه والأطراف ، وهي الرأس والعنق واليدان والرجلان » .

وهكذا قال الحنابلة : المرأة كلها عورة مع المحارم إلا الوجه والرقبة والرأس واليدين والقدم والساق .

---

(١) التفسير الواضح للدكتور محمود حجازي للآية ٣١ من سورة النور .

وقال الشافعية والحنفية : عورة المرأة الحرة خارج الصلاة هى ما بين السرة والركبة إذا كانت في خلوة أو في حضرة محارمها . أو في حضرة نساء مسلمات ، فيحل لها كشف ما عدا ذلك من بدنها بحضرة هؤلاء ، أما الكافرات فيعاملن معاملة الرجال في الاطلاع على عورة المسلمة .

ولم يفرق الحنابلة بين المسلمات والكافرات في حدود عورة المرأة المسلمة بمجالسهن ، وجرى أبو الأعلى مجرى الحنابلة خلافاً للجمهور [١] .

أما عورتها مع غير المحارم فجميعها عورة إلا الوجه كما قال الجمهور ، ويرى الحنابلة أن الوجه عورة ، ولكن العلماء اتفقوا على جواز كشف المرأة وجهها - ترخصاً - لضرورة تعلم أو تطبيب أو عند أداء شهادة أو عند تعامل من شأنه أن يستوجب الشهادة .

والمسلمة إذا مشت حاولت ألا يبدو من مفاتنها وزينتها شيء ، فالتي تلبس حذاء يكشف عن أظافرها الملونة وعن عقبها لم تعرف معنى الالتزام بمبادىء الإسلام . والتي تظهر من خمارها خصلة من الشعر لم تعرف الالتزام . إن النار ستلتهم حتماً كل مكشوف أمر الله بستره ، وحين تندلع النار في هذه الخصلة أو ذاك العقب ، أو هاتيك القلامة من الظفر ، سوف لا يمكن إطفاؤها حتى تلتهم الجسم كله فلا تدعه إلا فحماً تتجدد فيه الحياة ليحترق مرة أخرى : ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ﴾ [٢] .

إن المرأة كلها عورة ما عدا وجهها وكفيها ، بل ووجهها عند الحنابلة كما ذكرنا . فيجب أن تُصان إلا على زوجها وأسرتها الخاصة ، ولها مع زوجها وفي مخدعها كل ما شاءت من زينة أو ثياب أو رائحة عطرة . أما غير زوجها فلا يرى إلا ما تضطر إلى كشفه للعمل : الوجه والكفين [٣] .

---

(١) الفقه على المذاهب الأربعة : فصل « ستر العورة خارج الصلاة » ، والحجاب لأبي الأعلى المودودي ص ٢٩٢ - دار الفكر .

(٢) النساء : ٥٦ .

(٣) انظر أحكام نظر الرجل إلى المرأة في كتابنا « شطحات مصطفى محمود » ص ٢٨٨ طبعة أولى .

فعن أبي موسى رضى الله عنه عن النبي ﷺ : « كل عين زانية . والمرأة إذا استعطرت فمرت بالمجلس فهى كذا وكذا » : يعني زانية . رواه أبو داوود والترمذي وقال : حديث حسن صحيح . ورواه النسائي وابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما ولفظهم : قال ﷺ : « أيما امرأة استعطرت فمرت على قوم ليجدوا ريحها فهى زانية . وكل عين زانية » . أى كل عين نظرت إليها نظرة إعجاب واستحسان .

وروى مسلم وغيره عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « صنفان من أهل النار لم أرهما : قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس » - يشير إلى الحكم الإرهابى - « ونساء كاسيات عاريات » - يعني ذوات الملابس الضيقة والشفافة - « مميلات مائلات ، رؤسهن كأسنمة البخت » -أى الجمال - « المائلة» - نساء الموضة في اللبس وتصفيف الشعر المكشوف - « لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها ، وإن ريحها لتوجد من مسيرة كذا وكذا » .

* * *

• لبس النقاب :

من فتيات الجامعة من تلبس النقاب فلا يُرى وجهها ، وهذا أحوط للدين ، وإن كانت النصوص لا تفيد الإلزام بهذا لأنها ليست قطعية الدلالة .

والاستشهاد بأن النهى عن التبرقع للمحرمة في الحج دليل على أن الأصل هو حرمة كشف الوجه في غير الحج مردود : إذ يُقال : لو كان كشف الوجه حراماً في الأصل لما أحِل في الإحرام بالحج ، فإن الحج زيادة في الطاعة والعفاف لدرجة أنه يبطل في أثنائه عقد النكاح لمن أراد الزواج وهو محرم ، وحرمت على المحرم المعاشرة الزوجية وكل ذلك مباح في الأصل . وليس الحج تحللاً من المحرمات ومبيحاً للمثيرات .

وقد اتفق العلماء على أنه يجب على المرأة أن تستر وجهها - ولو لم يكن في ذاته عورة - عند خوف فتنة الناظرين إليها إن كانوا فساقاً أو كانت رائعة الجمال ، أو كانت متجملة بزينة .

* * *

القضاء والقدر

• الله حكيم :

وما دمت قد آمنت بالله رحيما عليماً خبيراً فإنني - بداهة - أؤمن بأن أفعاله جميعاً : فيها حكمة ، وقد تبدو لي اليوم ، وقد تخفى سنين . . وكم من مصيبة أصابتني إلا عرفت لها أحد وجهين :

إما أن أكون قد قصرت وأسأت التقدير للأمر . . ويكون تأويلي للمصيبة حينذاك هو قول الله : ﴿ وَمَا أَصَابَكُم مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾ (١) فلا ألوم إلا نفسي . . ﴿ ظَهَرَ الفَسَادُ فِي البَرِّ وَالبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (٢) .

وإما أن أكون قد بذلت جهدي في تقدير الموقف . . ولكن كان الأمر أعظم من طاقتي . . وحينئذ أعرف أن الله يطوي في البلية عطية . . ويضع في المحنة منحة .

* * *

• نماذج للحكمة في البلاء :

وكلما تدبرت أموري الماضيات تكشف لي حكمة الحكيم سبحانه . . رأيتها في الصمم ابتُليت بـه ، فكان الباب لتخليصي من تهم عقوبتها الإعدام أو الأشغال الشاقة المؤبدة .

وغضبت زوجي أو عمل الشيطان على الوقيعة بيني وبينها ، ثم بيني وبين أولادي وكانوا جميعاً مع أمهم فلذات كبدي لا أطيق أن يجرحهم النسيم . فكان في هذا الشقاق المؤقت رحمة بي ، إذ أرغمتني أحداث شداد على أن أعيش مضطراً بعيداً عنهم وراء قضبان سجون ناصر ، ولو كانوا قبل أن يصنع الشيطان ما صنعه بيني وبينهم لكنت في اغترابي أعيش على أحر من الجمر وأعنف من حريق اللظى ، لقد كفكفت الخصومة المؤقتة من حب عنيف متسلط ، حب من يرى في زوجته طهارة الريف ، وفي أبنائه أمل الغد المشرق الوضاء .

---

(١) الشورى : ٣٠.   (٢) الروم : ٤١

وفاتني القطار مرة وقد كان في انتظاري عند محطة الوصول مؤامرة وكمين نصبه الإرهاب لاعتقالي ، وحين تأخرت انصرف المتآمرون .

هكذا كلما استرجعت قصة ماض مرير وتابعت ما تلاها من أحداث عرفت حكمة الله ، حتى أنني لأتساءل عند كل ضيق وأسى . ثم ماذا تريد أن تمنحني يارب بعد ذلك ؟ سبحانك لا تخلو أفعالك من الحكم ! !

وما دام الله حكيماً وحكمته وراء كل عمل ، فمن البدهي أن أكون مؤمناً بالقضاء والقدر وبما يقضي به الله ويُقَدِّر . . وطبعي أن أومن أنني حين أعمل سأجزي عليه وفق نيتي وحركتي وتخطيطي ، وليس تماماً وفقاً للنتائج التي حصلت عليها . فأنا كما قال القائل :

على المرء أن يسعى إلى الخير جهده   وليـــس عليه أن تتم المطالب

ولكن النتائج الطيبة أو الخبيثة لعمل أقصد طيبه أو خبثه هى الدليل على ما أرجوه ، أو ما ينبغي أن أتوقعه من جزاء ، وهى أمارة على مقدار هذا الجزاء ومداه .

* * *

• آثار عقيدة القَدَر :

اتفقت كلمة فلاسفة الغرب والشرق على أن عقيدة الإيمان بالقضاء والقدر وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك وما أصابك لم يكن ليخطئك ، كانت من أهم عوامل ثبات المسلمين في فتوحاتهم ، كما أنها كانت أهم أسباب نجاح المسلمين في حياتهم ، فإنهم إذا ما دهمتهم الكوارث لم يُسقط في أيديهم وتشل الأحداث تفكيرهم عما يجب أن يتخلصوا به من سوء ما أصابهم ، بل يستعيدون ما فقدوه بصورة أفضل . فالإيمان بالقضاء والقدر أقوى أسباب توازن الشخصية عند حدوث ما يبعث على اختلالها .

وفوق هذا . . فالعاقل يرى في إخلال القضاء والقدر بأضخم التدبيرات

البشرية والنواميس الطبعية والاجتماعية دلالة على الله الذي وراء كل التدابير والسنن .

* * *

الحساب

• الله عدل :

ويختلف الحساب والجزاء باختلاف الطاقات : ﴿ لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إلاَّ وُسْعَهَا ﴾ [1] ، ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلاَّمٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ [2] ، ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ ﴾ [3] . وفي الحديث الصحيح : « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه » .

وما دام الميزان حساساً والإحصاء دقيقاً . . فالمنطق الطبعي أن يكون لي عند أى تصرف وأى مقالة وأى فكر وقفة ، أنظر فيها استقامة ما أقول وما أفعل وما أفكر مع تعاليم الله الذي يسمع ويرى ما نخفي وما نعلن ، وهذه الوقفة من شأنها عندما أعتادها أنا المسلم أو تعتادها أختي المسلمة ، أن يتولد عندي وعندها من محاسن الصفات صفة الضبط للنفس والعقل ، فلا يكون التفكير ولا العمل ولا القول عشوائياً ولا فطيراً فجاً [4] . وإنما عن روية وتدبر، وتخطيط.

وأمة أفرادها على هذا المستوى من النضج والسلوك قمين بها [5] أن ترقى في أناة وثبات إلى قمة المجد ، وشخص يكون طابعه هكذا ، ينظر إليه الناس بالإجلال والاحترام ، والتقدير . . إن قال استُمعَ إليه ، وإن تَشَفَّع قُبلت شفاعته، وإن خطب فتاة زُوجها ، وإن اتجر ربح في تجارته ، وإن قاد معركة ظَفر وغنم .

وما دام الله الحسيب ﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾ [6] والمرء

---

(١) البقرة : ٢٨٦ (٢) فصلت : ٤٦ (٣) الزلزلة : ٧ - ٨

(٤) الفطير والفج : الذي لم يكتمل نضجه . (٥) جدير . (٦) غافر : ١٩

محاسب على كل ذلك ، فإن واجبنا ألا نطعن أحداً أو نتهمه بظنة ، وأن نفترض جميع الطبقات في كافة مستوياتها الدينية إخوة متساوين : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ (١) .

* * *

البعث والنشور

يُراد بالبعث : إعادة الحياة إلى الموتى ، ويُراد بالنشور خروج الناس عندما تدب فيهم الحياة من قبورهم يوم القيامة ذاهبين إلى « المحشر » وهو المكان الذي فيه الحساب . . وسوقهم إلى المحشر عملية تسمى « الحشر » حيث يجتمع كل الخلائق من لدن آدم إلى أن تقوم الساعة . . ﴿ فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ ، إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ * يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ ، وَبَرَزُوا لِلَّهِ الوَاحِدِ القَهَّارِ * وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ (٢) * سَرَابِيلُهُم مِنْ قَطِرَانٍ (٣) وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ * لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ ، إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ (٤) .

وسرعة الحساب مع كثرة العدد ودقته راجعة إلى أن الله الذي ليس كمثله شيء هو المحاسب .. فكيفية الحساب من علم الغيب الذي لا نعرف تفاصيله ، إذ أن الله جل جلاله ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في كيفية عمله وأفعاله . . ولذلك رُوى أن الحساب يتم في أقل من نصف يوم من أيام الدنيا .

ومع أن الله عليم فإنه سبحانه خلق لتسجيل حسناتنا وسيئاتنا ملائكة يحصونها بكافة صور الإثبات والتسجيل . . وفي المحشر توزع هذه السجلات كعرائض الدعوى للمتهم . وبراءات التكريم للصالحين ﴿ وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ (٥) فِي عُنُقِهِ ، وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ كِتَاباً يَلْقَاهُ مَنشُوراً * اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً ﴾ (٦) .

---

(١) الحجرات : ١٠ .

(٢) مقرنين : مقيدين ، والأصفاد : القيود والسلاسل . والمفرد صفد .

(٣) سرابيلهم من قطران : ملابسهم من القار ، وهو الزفت . (٤) إبراهيم : ٤٧ - ٥١

(٥) طائر الإنسان : ما طار عنه من عمله . (٦) الإسراء : ١٣ - ١٤

ولا يمكن الإفلات من سيئة لأنها مسجلة في كتاب محفوظ ﴿ وَيَقُولُونَ يَاوَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الكِتَابِ لاَ يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا ، وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً ، وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً ﴾ (١) . وربما كانت مطبوعة في طبعة تصويرية ، كما تلتقط الأفلام التي تسجل على المجرم حركته في الخفاء ، وتُعرض في صورة أشبه ما تكون بالعروض التليفزيونية ، ليقضي بالصورة على محاولة أي تفسير أو تبرير مخطىء كاذب ﴿ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾(٢) فالعمل نفسه منه نسخة سجلته بحاله على هيئته ، كما سجله كتاب قُيد فيه العمل ذاته.

وأقصى ما يجد المرء هو أن تشهد عليه أعضاؤه بما اقترفت إن كان لدى الفاجر بقية من جرأة الفجور في إنكار الحقيقة ﴿ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ، قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (٣)

• دليل البعث :

والحجة على جواز البعث واضحة في الآية ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾ (٤) ، وفي سورة الروم من الإقناع العقلي والتجريبي كثير . قال تعالى : ﴿ فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ، إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٥) .

وقد أتى أمية بن خلف الجمحي إلى النبي ﷺ بعظم قد رمَّ وبلى ففتته بيده وقال : أترى يا محمد - يحيى الله هذا بعد ما رَمَّ ؟ فقال النبي ﷺ : « نعم ويبعثك ويدخلك النار » . ونزلت الآية الكريمة : ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ ، قَالَ مَنْ يُحْيِي العِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ . قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ، وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ * الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَاراً فَإِذَا أَنتُم مِنْهُ تُوقِدُونَ * أَوَ لَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُم ، بَلَى وَهُوَ الخَلاَّقُ العَلِيمُ ﴾ (٦) .

* * *

---

(١) الكهف : ٤٩ (٢) الجاثية : ٢٩ (٣) أنظر في كتابنا « شطحات مصطفى محمود في تفسيراته العصرية للقرآن » الرد على من ينكرون أن يكون للجلود نطق حسي - فصلت : ٢١ . (٤) الأعراف : ٢٩ (٥) الروم : ٥٠ (٦) يس : ٧٨ - ٨١

القرآن ووظيفته السياسية والاجتماعية

آمنت بالقرآن كتاباً من عند الله ، لي شرف كبير أن أتلوه وأحفظه ، بل واجبي أن أتلو فيه كثيراً وأحفظ منه ما استطعت . إن الذي يُندب ليكون المتحدث الرسمي باسم رئيس الجمهورية أو باسم الوفد البرلماني يشعر بفخار أى فخار . والمتحدث بكلمات الله في مشكلات الحياة أياً كان نوعها كيف لا يشعر بأعظم اعتزاز ؟ . إنه يناجي ربه بكلماته حين يتلوها ويتحدث باسمه سبحانه . إنه لا يشعر بالصغار من قراءة القرآن إلا من سفه نفسه . وعن ابن عباس مرفوعاً : « أشراف أمتي حملة القرآن » [1] . وعن ابن عمر مرفوعاً : « من قرأ القرآن فكأنما استدرجت النبوة بين جنبيه غير أنه لا يُوحي إليه ، ومن قرأ القرآن فرأى أن أحداً أعطى أفضل مما أعطى فقد عظَّم ما صغَّر الله وصغَّر ما عظَّم الله »[2] { أخرجهما الطبراني }.

إن تشعب اللغات والألسنة يصنع حجاباً بين البشرية التي يريد الإسلام وحدتها تحت لواء واحد هو التوحيد ، وعلى قاعدة واحدة هى الإخاء . فحين دعا الناس إلى الإسلام ألزمهم الإيمان بالقرآن مصدر التشريع ، ولا مندوحة لهم عن دراسته . والتعرف على أحكامه منه ، وصلاتهم لا بد فيها من القرآن ، وفي الحديث : « ليس لك من صلاتك إلا ما عقلته منها » . ولا يتم عقل القرآن وإدراكه والتعرف على أحكامه منه إلا بإجادة لغته العربية . ومن ثَمَّ كانت فرضية قراءته : ﴿ فَاقْرَأُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ﴾ [3] .

وقد روى الترمذي عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إن الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب » ، وروى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضى الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال : « لا تجعلوا بيوتكم مقابر ، إن الشيطان يفر من البيت الذي تُقرأ فيه سورة البقرة » .

وقد اعتبر الجوف الخالي من القرآن خرباً لأنه كالخزائن الخاوية لا يجد المرء

(١) فضائل القرآن لابن كثير ص ١٩٣ . (٢) فضائل القرآن ص ٢٠٠ .
(٣) المزمل : ٢٠

فيها ما ينفق منه . فالقرآن كنز عظيم يمد صاحبه بحل كل مشكلة . بل ويمنحه الحكمة التي هى زينة المتحدث ، والرشاد وهو فخر المستقيم . ولقد تحدَّث الدكتور « موريس بوكاى » المستشرق الفرنسي عن هذا الكنز الذي إن فقده المسلم كان كالجوف الخرب فقال :

« القرآن ندوة علمية للعلماء ، ومعجم لغة للغويين . ومعلم لمن أراد تقويم لسانه ، ودائرة معارف للشرائع والقوانين . وكل كتاب سماوي جاء قبله لا يساوي أدنى سورة من سوره في حسن المعاني وانسجام الألفاظ . ومن أجل ذلك نرى رجال الطبقة الراقية في الأمة الإسلامية يزدادون تمسكاً بهذا الكتاب واقتباساً لآياته ، يزينون بها كلامهم ، ويبنون عليها آراءهم كلما ازدادوا رفعة في القدر ونباهة في الفكر » .

واعتبر البيت الذي لا يُتلى فيه القرآن كالمقبرة التي فقد سكانها الروح الذي به الحركة والحياة فأصبحت الأجساد بها عفنة . وهكذا الحياة الاجتماعية حين تفقد القرآن - الذي يُزكِّي النفس ويتسامى بها عن الخنا والفجور والغدر والخيانة والظلم ، ويُحلِّق بالمجتمع إلى آفاق الحب والإخاء والعدل والمودة - تصبح الحياة حين تفقد القرآن عفنة مخيفة هامدة كالمقبرة .

وإن الوحدة الفكرية والدستورية التى يُقضى بها على التمزق الاجتماعي والسياسي تتم بجمع الناس على شيء لا يختلفون في تقديسه وتعظيمه وصحته .

وليس هناك أقدس ولا أعظم ولا أصح من القرآن . فتلاوته عملية حتمية لإيجاد تجانس فكري بين الأمة التي تمزقت حول المذاهب والأفكار المنحرفة التي يبدو فيها كل يوم ثلمات تقتضي الثورة لتصحيحها .

فلا بد لكل وطني مؤمن بوطنه أن يُسهم في صنع الوحدة الفكرية المؤمنة التي هى القاعدة الوحيدة الصالحة لإنشاء وحدة سياسية وجماهيرية متلاحمة بصدق . لا بد له من أن يعيش مع القرآن يتلوه ، ويتدبر كلماته اللغوية وأسباب نزوله ومرامي آياتـه وتشـــريعاتـه ثـم يأخذ نفسه بالتدريب على الجانب العملي منها

ويتحدث مع الناس فيما فهمه ، فهذا هو طريق النهضة ، فقد روى مسلم في صحيحه عن عمر بن الخطاب عن النبي ﷺ أنه قال : « إن الله يرفع بهذا الكلام أقواماً ويضع به آخرين » .

إننا نشاهد اليوم تجمعاً أسبوعياً لمعظم العائلات التي تملك جهاز تليفزيون حول الفيلم الأسبوعي الذي يستمر عرضه ساعتين . وفي شهر ديسمبر ١٩٧٢ كان عرضه ليلة الجمعة - وتذكرت الإسلام قبل الانهيار الذي صرنا إليه حيث كانت المسلمة مع زوجها وبنيها ليلة الجمعة يتلون سورة البقرة كل أسبوع بما تضمنته من أحكام الأحوال الشخصية والعبادات ، ودراسة الأحوال الاجتماعية للأمم ، وبخاصة الإسرائيليين والمنافقين والمشركين ، وما تضمنته من تاريخ التحرك الإسلامي وطبائع الناس .

وتذكرت كيف كانت المسلمة في أسرتها تُعد طعام البيت ، ثم يجلس الجميع إلى كتاب الله في صباح الجمعة يتلون سورة آل عمران بما فيها من قصة البتول الطاهرة مريم ابنة عمران .

ويدرسون كيف يرعى الله الأتقياء . . وكيف تنهزم جحافل الشر وينتصر الحق . ويتدبرون مغازي رسول الله ﷺ في السورة ، وآداب الحديث والصدقة ، وقد روى مسلم في صحيحه عن النوّاس بن سمعان رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يؤتي يوم القيامة بالقرآن وأهله الذين كانوا يعملون به في الدنيا ، تقدمه سورة البقرة وآل عمران تحاجان - تدافعان - عن صاحبهما ».

وتذكرت كيف كانت المسلمة تصلي أو يصلي معها زوجها والجميع في خشوع يقفون في صلاة صبح الجمعة يقرأون في الركعة الأولى سورة السجدة بأكملها وفي الركعة الثانية سورة الدهر (الإنسان) .

ثم يجلسون يتذاكرون ما تُلى عليهم في صلاتهم من قصة ابتداء الخلق ، ويتعرفون على المصير النهائي لسلسلة البشرية ، وبهذا تربو ثقافة المسلمة ولا تمضي في الحياة جاهلة بالبدء والمصير الذي ابتدأت به وتنتهي إليه حياتها .

وقد روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد ، اعتزل الشيطان يبكي يقول : ياويله - وفي رواية - يا ويلي : أمِرَ ابن آدم بالسجود فسجد ، فله الجنة . وأمِرت بالسجود فأبيت فليَ النار » .

ثم يقول أفراد الأسرة يستحمون للجمعة ، ويعودون إلى كتاب الله في يوم عيد الإسلام الأسبوعي ليقرأوا سورة الكهف بما فيها من بيان دور الشباب المؤمن الذي يتحدى الفساد فينتصر إيمانه بعد صراع طويل ﴿ ثَلاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وازْدَادُوا تِسْعاً ﴾ [1] ، ويتعرفون على طبيعة الصراع بين الإنسان والشيطان وبين طغيان المال ، وجلال الإيمان . وقد جاء في صحيح مسلم عن أبي الدرداء رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال : « من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصمه الله من الدجال » .

وقد رُوِيَ مثل هذا أيضاً عن العشر الأواخر من سورة الكهف . ولقد كانت المسلمة تُعَلَّم الغزل وما يمكن أن تسهم به في دعم اقتصاديات المنزل أو حسن تدبيره كما تُعَلَّم سورة الواقعة ، وتبارك ، والدخان ، ويس ، والتحريم ، والطلاق ، والنساء ، والنور ، والبقرة ، وآل عمران ، والكهف .

إنها ذات رصيد من الفضيلة بمقدار ما تتعبد به من سور القرآن . تلاوةً وعملاً . وقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما عن أبي موسى الأشعري قال : قال رسول الله ﷺ : « مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة -أى التفاحة - ريحها طيب وطعمها حلو . ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة لا ريح لها ، وطعمها حلو . ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة ، ريحها طيب ، وطعمها مر . ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ، لا ريح لها وطعمها مرٌ » وفي رواية : مثل « الفاجر » بدل «المنافق ».

---

(1) الكهف : ٢٥

والعجب كيف ينتسب إلى الإسلام إنسان ليس لديه وضوح لرؤية هذا الإسلام، وليس للإسلام مصدر أعظم من القرآن ثم صحيح حديث رسول الله ﷺ . . وكيف تصل تعاليم الله ومفاهيم الإسلام لإنسان لا يعيش مع القرآن طويلاً . . وطويلاً جداً . . بتأمل واهتمام وتدبر ؟

إن الشيوعي لا يُعد نفسه شيوعياً إلا إذا قرأ رأس المال لكارل ماركس والمادية الدياليكتيكية والمادية التاريخية لستالين - والمنفستو وغيرها ، لأنها المصادر الرئيسة لعقيدته . . فهل هان إسلام المسلم إلى حد أنه أصبح بكتبه وثقافاته أقل احتراماً من شيوعية الشيوعي وكتبها . وأقل جدارة بالدرس من كتب الشيوعية ؟ أو هل الذي أنزل الكتاب على عبده محمد ﷺ أقل قدرة على المنطق السليم من ماركس ولينين وستالين وأنجلز ؟ أو أقل منهم جدارة بأن يُهتم بما أنزله ؟ !

الناس تكاد في تصرفاتها تكفر بالله وهى لا تدري ، وصدق رسول الله إذ حذرنا ذلك فقال : « اتقوا الشرك فإن الشرك أخفى من دبيب النمل » . . وعلمّنا أن نستعيذ منه فنقول ، ونحن نعي ما نقول ، ونجد حين نقول صباحاً ومساءً : « اللّهم إني أعوذ بك من أن أشرك بك شيئاً أعلمه ، وأستغفرك لما لا أعلمه » ، ونكررها ثلاثاً .

إن دعوة الله ورسوله والمصلحين إلى تلاوة القرآن ليست دعوة إلى تمتمة كهنوتية وترنيمات مسيحية . إنها دعوة إلى عمل هام في عملية التحول والتغيير . . إنها عملية وضع أيديولوجية واضحة لدى المسلمة تنشىء عليها الجيل الصاعد بعد أن ظلت تعيش بلا أيديولوجية ولا أى مفهوم سليم عن الإسلام . . إنها خطوة هامة ورئيسية لإنقاذ الإسلام من خطة الإبادة المئوية التي رسمها الاحتلال البريطاني مع أدواته في مصر منذ وطئت أقدامه الوادي عام ١٨٨٢ . . وقد حدَّد المؤتمرون على الإسلام في مصر مائة عام يتم فيها القضاء على آخر مقومات الإسلام في البلد الحبيب « مصر » ، وهى مؤامرة يتعاون

فيها ويستفيد منها الإلحاد والصهيونية والوثنية معاً .. وفي رسالة أخرى سنوضح - إن شاء الله - كيف يعمل الكفر ضد الإيمان ، وقرر أحرار الأقباط في مصر رفض التعاون مع الاحتلال البريطاني في مؤامراته حرصاً على الوحدة الوطنية .

وكثيراً ما أرى الفتاة يبرق على صدرها الناهد حلية ذهبية تصوّر المصحف تتبرك بها . . وهذه شارة دالة على تمجيدها كتابها . وكان الجدير بها أن تتعرف على ما في هذا الكتاب الذي علّقت صورته . . كان الجدير بها أن تضعه داخل صدرها في أعماق قلبها ، سورة سورة وآية آية ، تحركها في سلوكها كله ، فإن لبست ثيابها لم تلبس ثوبا يلعنها القرآن الذي تُعَلّق صورته إذ يقول : ﴿ وَلاَ تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الجَاهِلِيَّةِ الأُولَى ﴾ [1] . ويلعنها إذ تمشي تلفت إليها الأنظار برائحتها ، ونوع ثيابها ، أو بحركتها ونظراتها .

ولا أمنع يا أختي تعليق حلية الذهب كتذكار يشير إلى أنك مؤمنة بالقرآن ، ويذكرك بمضمون آياته ، ولكن أود يا أختي أن تجعلي القرآن ربيع قلبك . ومنهج حياتك كلها ، وأخاف عليك يوماً تقفين فيه أمام الله للتحقيق ، وفي حضرة رسول الله ﷺ ، وتكونين في الطائفة المنبوذة التي يحكي الله موقف الرسول منها فيقول سبحانه : ﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا القُرْآنَ مَهْجُوراً ﴾ [2] .

وهل هناك هجر للقرآن أوضح من أن تُعَلّقه المسلمة خلفها في السيارة ، أو أمامها ، أو على المكتب أو الجدار أو المنضدة . ثم لا تفتحه ، وربما لا تفض العلبة الأنيقة التي قبرته فيها للتعرف على ما فيه من حكمة وهدى ، إننا نعيش مأساة الإسلام في القرن العشرين بالمنطق المعكوس .

وأمنع تعليق المصحف الرمزي حين يصبح مظهراً من مظاهر الزينة ، وبقصد الزينة ، لا رغبة في إظهار الاعتزاز بهدى هذا الكتاب الكريم ، في الوقت الذي اعتبره الملاحدة شارة التأخر والرجعية .

* * *

---

(١) الأحزاب : ٣٣

(٢) الفرقان : ٣٠.

• بعض أحكام القرآن في التلاوة :

١ - إن استطعت أن تتوضئي لتحملي المصحف فافعلي ، وإلا فاحملي المصحف واقرأي بأي حال ، ولكن فقط تلتزمين بقول رسول الله ﷺ : « لا يقرأ الحائض ولا الجنب شيئاً من القرآن » . ففي هذه الحال يكون توجهك إلى دراسة الأدب والفقه والتوحيد والمجلات الإسلامية ورسائل الدعوة الإسلامية ، وقد أجاز بعض المالكية للطالبات قراءة القرآن للتعلم في حصص الدراسة ، لا للتعبد بالتلاوة . وقال ابن عباس في الآيات : ﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ * لاَ يَمَسُّهُ إلاَّ الْمُطَهَّرُونَ ﴾ [١] : الكتاب المكنون هو اللوح المحفوظ، والمطهرون هنا هم الملائكة ، فاستدلال الشافعية بهذه الآيات على تحريم مس المصحف لمن ليس متوضئاً . باطل بناء على تفسير ابن عباس . وإنما التطهر مستحب تأسياً بالملائكة المقربين .

٢ - استشعري أنك تقرأين كلام الله وتناجيه بكلماته ، وهو حاضر معك يراك ويسمعك ، فتضرعي إليه كما تتضرع الفتاة لأبيها الرحيم أن يمنحها شيئاً، أو يغفر لها خطيئة . ولله المثل الأعلى . وقد روى النووي في التبيان عن رسول الله ﷺ قال : « اقرأوا القرآن وابكوا . فإن لم تبكوا فتباكوا » .

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما عن عبد الله بن مسعود قال : قال لي رسول الله ﷺ : « اقرأ عليَّ القرآن ، فقلت : يا رسول الله . . أقرأ عليك وعليك أُنزل ؟ قال : إني أُحب أن أسمعه من غيري . فقرأت عليه سورة النساء حتى إذا جئت إلى هذه الآية : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاَءِ شَهِيداً ﴾ [٢] . قال : حسبك الآن ، فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان » - أي تسيل دموعهما .

٣ - لا بد من تجويد القراءة بتقليد قراءة المصحف المرتل ، ومن الكتب التي تضمنت أحكام التلاوة والتجويد « علوم القرآن » لأحمد عادل كمال . أو « التجويد وعلوم القرآن » لعبد البديع صقر .

---

(١) الواقعة : ٧٧ - ٧٩ (٢) النساء : ٤١

٤ - تُسن الاستعاذة عند قراءة أى شئ من القرآن ، وقيل : تجب ، كما تسن البسملة فيما عدا التوبة ، ويجمع بين الاستعاذة والبسملة فى أوائل السور . أما وسط السور فقيل : يجمع ، وقيل : يُستعاذ ولا بسملة .

٥ - يُستحب إكثار تلاوة القرآن فى شهر رمضان ، لأنه ابتدئ بنزوله فيه . ولهذا كان جبريل يعارض به رسول الله ﷺ - أى يُسَّمع له - فى كل سنة فى شهر رمضان ، فلما كانت السنة التى توفى فيها عارضه مرتين تأكيداً وتثبيتاً .

وكان النبى ﷺ إذا تعب من الوقوف فى تهجده ولم يفرغ من السورة جلس فقرأ ما شاء الله أن يقرأ . فإذا أراد الركوع قام واستمر يقرأ ماتيسر، ثم كبَّر للركوع فركع ..

وروى مسلم عن حذيفة أن رسول الله ﷺ قرأ البقرة ثم النساء ثم آل عمران ، وقرأ عمر من الفجر بسورتى النحل ثم يوسف [١] .

وحبذا لو حفظت المسلمة شيئاً فى نهارها لتستعيده فى صلاتها ، ولا بأس أن تستعين بالمصحف إذا طالت قراءتها ولم تكن تحفظ الآيات جيداً .

٦ - لا يجوز أن يُكتب القرآن طبقاً لقواعد الإملاء الحديثة عند مالك [٢] . إلا ما كان آية أو بضع آيات استُشهد بها فى كتاب أو مقال .

٧ - القراءات السبع ترجع إلى مصحف عثمان الذى أجمعت الأمة على صحته وكلها نزل بها الوحى على النبى ﷺ ، فهى فى تعددها كالحديث الذى قاله النبى ﷺ عدة مرات ، فروى بعدة وجوه كلها صحيحة ، وإن اختلفت بعض الحروف أو الكلمات التى لا تغير المعنى تغييراً يبلغ درجة التناقض .

قال القرطبى : وقد سوَّغ كل واحد من القراء السبعة قراءة الآخر وأجازها ، وإنما اختار القراءة المنسوبة اليه ، لأنه رآها أحسن وأولى عنده [٣] .

---

(١) فضائل القرآن لابن كثير ص ٣٨ - ط المنار ١٣٤٧ هـ .

(٢) المرجع السابق ص ٥١ .

(٣) المرجع السابق ص ٨٠ .

٨ - والجمهور على أن كتابة القرآن بالخط العثمانى واجبة .. إلا ما كان شاهداً فى مقال .. وجعلوا لكل كلمة خالفت طريقة الكتابة الحديثة معانى دلت عليها طريقة الكتابة المصحفية .

٩ - إذا اشتبه عليك حرف هل هو بالتذكير أو التأنيث ، فاجعله مذكراً لأن التذكير أفضل ، وإذا شككت هل هو بالرفع أو غيره فالرفع أفضل ، أو هل هو بالنصب أو الجر فالنصب أفضل ، أو فى لفظ هل هو موجود فى الآية أم لا : فاتركه ، أو شككت فى العطف أبالفاء أو الواو ، فاجعله بالواو .



الفصل الثاني

السُّلوك

• الكلمة الطيبة :

- الثرثرة .
- ثوبي زور .
- دعوى الجاهلية .
- لا تنسى .

• الرحمة والمودة :

- في العلاقات الأسرية .
- امرأة الحطاب .
- تحاشي المنغصات .
- طبق الحلوى .
- في الثبات والعمل .
- عدم التفاخر بالجمال .
- مشاهد لا تليق بمسلمة .



الكلمة الطيبة

• الثرثرة :

هى من عادات النساء ، ومثلهن بعض الرجال ، وتوصف المرأة بالكمال إذا كانت كثيرة الصمت ، وقد خطبت لأخى فتاة كثيرة الكلام فأبى زواجها قائلاً : المُشَاهَد أن التى تُجيد الكلام وتُكثر منه لا تُجيد أعمال المنزل .

والتعليل لهذه الظاهرة التى شاهدها أخى الفلاح المستنير أن التى تجعل همها الحديث تستولى عليها شهوة الكلام حتى تستغرق فكرها ومشاعرها فلا يبقى للبيت : طعامه وأثاثه .. وتربية الأولاد ومساندة الزوج - إلا قليل من وقت التفكير .. فعقلها مشغول بنكتة بارعة تُعدها أو قصةٍ طريفة تحوكها .. إلخ.

والإسلام لا يكمم الأفواه وإنما يطلب انتقاء العبارة واختيار الكلمة الطيبة فكلمتها عَفَّةٌ وليست نابية ، ونافعة ليست لغواً .. ﴿ لاَ خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إلاَّ مَنْ أمَرَ بِصَدَقَةٍ أوْ مَعْرُوفٍ أوْ إصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ ، وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أجْراً عَظِيماً ﴾ [1] . - ﴿ قَدْ أفْلَحَ المُؤْمِنُونَ* الَّذِينَ هُمْ فِى صَلاَتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴾[2].

فالمؤمنة تحاسب نفسها على الكلمة تخرج من فمها قبل أن تلفظها. وشعارها :«الكلمة تحكمنى إن خرجت من لسانى وأحكمها إن لم تخرج » ومثلها السائر الذى تردده : « لسانك حصانك ، إن صنته صانك ، وإن أهنته أهانك » . والمثل القائل : « من كثر لغطه كثر غلطه » ، وآيتها : ﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [3] . وأغنيتها حديث رسول الله ﷺ : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت» .

ولقد صوّر القرآن الكلمة الطيبة بأنها كالشجرة الثابتة يفيد منها طلاب

---

(١) النساء : ١١٤ (٢) المؤمنون : ١ - ٣ (٣) سورة ق : ١٨

ثمارها كل حين وفى كل مكان : أليست الحكمة تخرج من فم الحكيم فتتلقفها الجماهير وتتناقلها الأجيال والأمصار والأقطار ، ويجنى ثمارها العالم كله جيلاً بعد جيل ويبقى أجرها للحكيم الذى أذاعها . ويتكرر له ثواب فائدتها بقدر عدد المنتفعين بها ، ولهذا قال رسول الله ﷺ عن العلم وتعليمه وهو من أجل الكلمات الطيبات : « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثــلاث : صدقة جارية . أو علم يتفع به . أو ولد صالح يدعو له » .

هذا الامتداد للمثوبة مع امتداد العلم النافع والكلمة الطيبة .. هو ما تعنيه الآية الكريمة : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى السَّمَاءِ * تُؤْتِى أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ، وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [١] .

أما الكلمة الخبيثة فقد حدثّنا القرآن عنها بأنها غثاء ردئ ، لا ثبات له ، ولا قدرة له على استمرار النضال . فالمذهب الخبيث والدعوات الباطلة يصورها القرآن بقوله : ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴾ [٢] .

والكلمة المهذبة النافعة مظهر دال على كرم نجار [٣] القائل . وهذا هو معنى الآية الكريمة : ﴿ الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ ، وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ ﴾ [٤] . يعنى بالخبيثات والطيبات : العبارات . وفى صفة المؤمن يقول الرسول عليه الصلاة والسلام :« ليس المؤمن بطعّان ولا لعّان ولا فاحش ولا بذئ » .

هذا هو الإسلام يسد باب الشقاق فى الأسرة أو القرية أو المجتمع ، وهل يتناحر الناس إلا من كلمات خبيثة .. والكذب حتى على الأطفال ، والغيبة والشتائم ، والسخرية بالآخرين . كل ذلك من الخبائث ، بينما إفشـاء الـسلام ،

(١) إبراهيم : ٢٤ - ٢٥
(٢) إبراهيم : ٢٦
(٣) يقال كريم النجار : كريم الأصل .
(٤) النور : ٢٦

والنصيحة الرقيقة ، وكلمة التوحيد ، والقرآن ، وترداد أحاديث الرسول ﷺ ، والتحدث عن الإسلام : كل ذلك ألوان من الكلم الطيب .

وإن التكسر بالقول من المرأة للأجنبى كلمة خبيثة .. بينما هو نفسه أمام الزوج - ترفيهاً عنه - من الكلمة الطيبة ؟

والمرأة التى تتسلى بالحديث المعاد إنما ترهق سامعها ، فلتحذر المعاد من القول ، فإيذاء الناس حرام .

إن البيت الطيب شعاره : « الكلمة الطيبة صدقة » .

* * *

• ثوبى زور :

وقد تخرج المرأة لجارتها أو لضرتها تزعم - زوراً - أنها قد حظيت من زوجها بكذا وكذا من الطعام أو الشراب أو المتعة ، تستعلى بهذا على جارتها أو ضرتها ، أو تغيظها بذلك ، وتزرع - بما تقوله - الأحقاد والحسد لها فى نفوسهن . وقد شبَّه النبى ﷺ من تفعل هذا بمن تلبس ثوبى زور ، إمعاناً من الرسول ﷺ في تقبيح هذا الصنع : فهو إذن من الكلم الخبيث [1] .

إن مثل هذه الأكاذيب ستتحول إلى آمال فى نفسها تحاول تحقيقها بإرهاق زوجها لتوفيرها إرهاقاً ربما أدى إلى الشقاق فالفراق . إننا نكون دائماً فى أسعد حال عندما نعيش واقعيين . راضين بالواقع ، مخططين فى صمت وهدوء إلى ما هو أفضل ، وبالعمل نرقى ، لا بالخيال الكاذب المُجَنَّح .

* * *

---

(١) ومن هذا القبيل أن تقول المرأة لصديقتها : زوجي يعطيني مصروفا شخصيا أو مصروف المنزل كذا وتبالغ فيما تقوله . وتفسد بما تقوله على صديقتها حياتها . فربما كانت هذه الصديقة تعيش بنفقة أقل وهى راضية .

• دعوى الجاهلية :

وقد يموت للمرأة عزيز عليها من زوج أو أب أو أخ أو ولد أو عم فتولول عليه زاعمة أنها فقدت من لن يجود الزمان بمثله . صارخة : وأبتاه – يا جمل . يا سبع ، إلى غير ذلك ، فتكذب ، وتضع نفسها فى حَميًّا الحزن واليأس ، وتنقض ما بايع النبى ﷺ عليه المسلمات الأوليات من ترك النياحة على الميت والإغراق فى الأسى . وقد قال عليه الصلاة والسلام : « ليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب ، ودعا بدعوى الجاهلية ».

* * *

• لا تنسى :

ولا تنسى أن تقولى لمن تدخلين عليهم تحية الإسلام : « السلام عليكم » ولا تقولى قبلها أى تحية أخرى مثل : « صباح الخير » أو « سعيدة» ، وذلك أن قوميتنا ووطنيتنا – إن كان لنا قومية أو فينا وطنية – توجب الاعتزاز بالتحية التى اصطلح عليها أجدادنا وفخر العروبة والبشرية سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام .

ثم إن النطق بها تَعبُدٌ يستمطر ثواب الله سبحانه ، فهى تحية وصدقة .

ثم إنها تعلن عن دعوة لمبدأ يجب أن يتعايش الناس فى ظلاله ، وأن يذكروه دائما : « السلام » .

بل ولتتذكرى أنها تحية أهل الجنة عندما يغدون فتستقبلهم الملائكة بهذا اللفظ الجميل ، كما يحيى الله الأصفياء من عباده بذلك حين يحظون بقربه : ﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلاَمٌ ، وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْراً كَرِيماً ﴾ (١) .

وما أحوجنا أن نتعمد هذه التحية ، ونتعمد أن نتذكر أن الله السلام – وأن حاجة البشرية ، كيما ترقى ، أكثر ما تكون إلى السلام ، وأن هناك جنة يُحَيِّى

---

(١) الأحزاب : ٤٤ .

أهلوها بالسلام وفى الحديث : « ألا أدلكم على ما إذا فعلتموه تحاببتم . أفشوا السلام بينكم » .

ولا تَنْسِى أن تقولى عند كل أمر تبدأين فعله أو كتابته : « بسم الله الرحمن الرحيم » ففى الحديث الشريف : « كل أمر ذى بال - يعنى هام - لا يُبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أبتر » - يعنى ناقص . وإذا انتهيتِ منه - طعاماً أو سفراً أو صناعة - فقولى : « الحمد لله » .

ولا تنسِى إن طلبت من أحد شيئاً أن تترفقى وتقولى : « مــن فضــــلك » و «هل تسمح » فإن أذن أو قدَّم لك شيئاً فقولى : « أشكرك » أو « شكر الله لك » حتى لو كان الذى يُقَدِّم لك ذلك هو خادمك أو ولدك أو أخوك الصغير . فالنبى ﷺ يقول : « أشكركم للناس أشكركم لله » ، ومن أحسن ما تعلمته من أخ مسلم كان يدرس لتلامذته أنه كان كلما أجابه تلميذ عن سؤال شكره على إجابته .

وحذار أن تقولى : « مرسيه » وأمثالها من الكلمات الأعجمية ، ففى هذا مخالفة لما رُوِىَ عن رسول الله ﷺ أنه قال : « من أحسن التحدث بالعربية فلا يتكلم الأعجمية » ، ولأن فى ذلك إعزازاً للأجنبى ولغته ، واستشعارا بسموها على لغتنا وقومنا .

ولأن من أصالة التحرر اعتزاز المسلمة أو المسلم بلغته ، وبنى قومه وبدينه . وهذا الاعتزاز يُنميه الإسلام دائماً كما رأينا فى هذا الحديث .

وكما فى الآية الكريمة : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (١) .

فالآية دعوة إلى الاعتزاز بالدين اعتزازاً يحملنا على الدعوة له دون مواربة أو خجل أو خوف ، مع شــــعور بروح الأسـتاذية الحانية ، ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُـــولِهِ

(١) فصلت : ٣٣

وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ (١) . ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ (٢) .

ولا تنسى إن حدث منك أقل خطأ لأخرى أن تقولى بصراحة « أعتذر » .

ولا تَنْسى أن تقولى لمن يجرحك بنابى ألفاظه : سلام عليك . سامحك اللَّهَ . ففى القرآن : ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْناً (٣) وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ (٤) قَالُوا سَلاماً ﴾ (٥) .

* * *

الرحمة والمودة

الرحمة صفة لازمة للزوجين معاً ، لأنها قاعدة البيت السعيد ، فإن فُقِدَت كان الشقاء وكانت الحياة بدونها شذوذاً وتكلفاً ، فالأصل هو ما قاله القرآن : ﴿ وَمِنْ آيَاتِه أَنْ خَلَقَ لَكُم مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ (٦) . فأنتِ أيتها المسلمة - فى تعبير القرآن - جزء من زوجك ، وما أعظم حياة يشعر فيها المرء بأن زوجته ليست شخصاً آخر . وإنما هى جزء لا يتجزأ منه : ﴿ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً ﴾ ثم يجعل المودة والرحمة بين الطرفين على قدم المساواة .

والرحمة ليست عملاً تتصنعه المرأة للزوج ، بل هى صفة المسلم أو المسلمة فى كل حين ، هى غريزة ملازمة . كالغدة التى إفرازها حسن المعاشرة ولين القول وإخلاص النصيحة .. وهي مرحمة تتمثل فى معاملة الخادم .. والجيران والحيوان . وفى الحديث : « إخوانكم خَوَلُكم - أى خدمكم - أطعموهم مما تطعَمون ، واكسوهم مما تلبسون ، ولا تكلفوهم من العمل ما لا يطيقون . فإن كلفتموهم فأعينوهم » .

---

(١) المنافقون : ٨

(٢) آل عمران : ١١٠ .

(٣) هونا : برفق وبغير غطرسة .

(٤) الجاهلون : السفهاء .

(٥) الفرقان : ٦٣

(٦) الروم : ٢١

ويتحدث النبى ﷺ عن الذى يطهى الطعام فيأمرنا أن نطعمه مما صنعته يداه لنا .. ويوم كان المسلمون ينبعثون من دينهم حفظت لنا أمثالهم العامية : « طاهى السم لا بد أن يذوقه »

ويحدثنا النبى ﷺ عن امرأة كانت كثيرة الصلاة ولكنها تُؤذى جيرانها فيقول : « إنها فى النار » .

ويتحدث عن الرحمة التى تملك المسلم حتى يرق للحيوان فيخبرنا عن امرأة زانية نزلت بئراً فشربت منه ثم خرجت فوجدت كلباً يلهث من العطش فأخرجت له فى خفها ماء ليشرب ، فشرب ، وهز لها ذنبه شاكراً فشكر الله لها صنيعها مع الكلب وغفر لها .. وقال عليه الصلاة والسلام : « دخلت امرأة النار فى هرة حبستها ، فلا هى أطعمتها ، ولا هى تركتها تأكل من خشاش الأرض » - أى حشراتها وما يسقط عليها .

ومن الرحمة بالناس قبول اعتذاراتهم ، فالاعتذار نوع من الرجاء . وقد حدثنا النبى ﷺ أن من قبل رجاء مرتجيه حقق الله رجاءه ، ومن خيب رجاء مرتجيه خيَّب الله رجاءه ، وقال عليه الصلاة والسلام : « من اعتذر اليه أخوه فلم يقبل عذره فعليه مثل إثم صاحب المكس » .

وصاحب المكس هو الذى يقف لمنع التجار من العبور إلا بعد سداد رسوم معينة . وذلك أن الإسلام يفترض الناس جميعاً إخواناً فهم لآدم . ويدعو إلى حكومة عالمية وحياة اجتماعية إخوانية ليس فيها سدود ، ولا حدود ، ولا حواجز جمركية أو سياسية ، ففى الحديث : « كلكم لآدم ، وآدم من تراب .. ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ »[1] . وفى الحديث أيضاً : « ليست العربية بأحدكم من أب ولا أم ، ولكن العربية اللسان ، فمن تكلم العربية فهو عربى » فرفض الاعتذار معناه إقامة أو استدامة القطيعة والكراهية بين إنسانين . تماماً كالكراهية والقطيعة التى تنشأ عن نظام المكس بين صاحب المكس وأصحاب السلع .

---

(١) الحجرات : ١٣

والإســـلام دين إخاء بكل أبعاد الكلمة ومظاهر دلالتها : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [1] . والترفق فى الخصومة طبيعة المسلم لأنها السبيل إلى الترابط حين ينقطع حبل المودة . قال تعالى : ﴿ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِنْهُمْ مَوَدَّةً ، وَاللَّهُ قَدِيرٌ ، وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [2]

وفي الحديث : « أحبب حبيبك هوناً ما ، عسى أن يكون بغيضك يوماً ما ، وأبغض بغيضك هوناً ما . عسى أن يكون حبيبك يوماً ما » .

* * *

• فى العلاقات الأسرية :

هذا بوجه عام ، فما بالك بالخصومة تقع فى إطار الأسرة .. إنها لمظهر شاذ وغير طبيعى فى الإسلام .. فعلى كل من الزوجين أن يبادر إلى استرضاء صاحبه حين يغضب ، وكل منهما يملك أعظم الوسائل المتاحة لاسترضائه ، ففى الحديث : « من باتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة ، ومن باتت وزوجها عنها غير راض باتت والملائكة تلعنها » .

وما يقال للمرأة قيل مثله للرجل وكانت آخر كلمات الرسول ﷺ عند وفاته الوصية بالنساء . وفى خطبته عليه الصلاة والسلام يوم حجة الوداع ، وهى آخر حجة حج فيها رسول الله ﷺ قال : « أيُّها الناس .. اتَّقُوا الله فى النساء ، واستوصوا بهن خيراً . فإنهن عندكم عَوَانٌ - أى أسيرات - لا يملكن لأنفسهن شيئاً وإنكم أخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله ، ولكم عليهن ألا يوطئن فُرُشكم أحداً تكرهونه ، فإن فعلن ذلك فإن الله قد أذن لكم أن تهجروهن فى المضاجع . وتضربوهن ضرباً غير مبرِّح . ولهن عليكم رزقهنّ وكسوتهن بالمعروف » .

ومن مـــودة الزوج : الإحسان إلى أهله وصَحبه ، واحتمال أذاهم وطرحه من الذاكرة . حدثتنى خريجة لآداب القاهرة أن حماتها يوماً لطمتها فى أمر ترى أختنا أنها

---

(١) الحجرات : ١٠ .

(٢) الممتحنة : ٧

كانت فى عمله على حق ، فاحتملت أختنا اللطمة قائلة : إن حماتى تركية حادة الطبع ، وأنا فى نظرها لا أتجاوز بنتاً كأى بنت أو امرأة ، فليسانس الآداب وثقافتى وطبقتى الاجتماعية ، كل هذه أمور لا تدركها «الحماة » . فكل ما فى تصورها للأسرة أنها أم الزوج ، وبقية ما فى البيت رعيتها . فالتفاهم معها على غير هذا المفهوم مستحيل . فليس لها من حل إلا أن يكون الصبر والنسيان . وإلا تهدَّم البيت ، وفقدتُ الزوج ، وأصبحتُ فى الطريق أبحث عن رجل آخر ، وليس هنالك رجل وأم ، خيراً من رجل وأم آخرين ..لأن طبائع الاجتماع متشابهة ، والبحث عن شخص أفضل فى الحياة الزوجية مقامرة خاسرة .

إننى أعذر حماتى فى كل إساءة كما أعذر رجلاً أمسك بتلابيب السارق الذى سلبه ماله يركله ويلكمه . ألست فى نظر الأم ، وعلى الأقل فى حسها ، سارقة أو مغتصبة كنزها العظيم « ابنها » . مهما قيل إن اسم هذا الاغتصاب « زواج »؟! ولقد تقدَّم العلم بفن السرقة والاغتصاب فعلينا استلال سخائم الحماة برفق ، ومودة وحذق .

* * *

• امرأة الحطاب :

ويُروى أن رسول الله ﷺ أخبر أصحابه أن امرأة الحطَّاب من أهل الجنة بفضل صنيعها لزوجها ، فلما سُئلت قالت : إن زوجى إذا خرج يحتطب - أي يجمع الحطب من الجبل ، فيبيعه ويشترى ما يحتاجه - أحِسُ بالعناء الذى لقيه فى سبيل رزقنا . وأحِسُ بحرارة عطشه فى الجبل تكاد تحرق حلقى ، فأعد له الماء البارد حتى إذا ما قدم وجده . وقد نسقت متاعى وأعددت له طعامه ، ثم وقفت أنتظره فى أحسن ثيابي ، فإذا ما ولج [1] الباب استقبلته كما تستقبل العروس

(١) ولج : دخل .

عريسها الذى عشقته ، مسلمة نفسى إليه ، فإن أراد الراحة أعنته عليها ..
وإن أرادنى كنت بين ذراعيه كالطفلة الصغيرة يتلهى بها أبوها .

* * *

• تحاشى المنغصات :

أذكر من أسباب ضيق الرجال بنسائهم بعض الأمور : سيدة يقول زوجها إنه عندما يأتى زوجه فى ثورة شهوته .. لا تبادله عاطفة بعاطفة .. بل ربما كانت كالحشيَّة - أي المرتبة - لا حرارة رلا سلام ولا كلام ، بل ربما أخذت تغط [1] بشخيرها فى النوم ، وأخرى تؤثر [2] المبيت بحجرة الأولاد تاركة زوجها يبيت وحده فى صورة أعزب .

وآخر يقول : إنه يضايقه من زوجته أنها لا تنظف نفسها ولا تزيل شعرها وكأنها إغريقية تؤمن بأن نتف الشعر إثم فى ملتها .. وهو مذهب شائع فى الغرب المسيحى .

وآخر يقول : إن امرأته قد تتزين له ثم تسرف فى مراودته وقد تجعل هذه الوسيلة المثيرة طريقها لمطالبها الخاصة .. ملابس - ثلاجة - زيارة الوالد - مصلحة أعمامها .. إلخ .. حتى تُزَهِّدهُ فيها بسبب ما أثقلته من مطالب بغيضة إلى نفسه ،، أو ليس لديه مجال لبحثها فى هذا المقام ، أو هذا وقت المطالبة ؟ أم هذه الحال التى عليها السيدة التى تهمل نفسها ونظافتها جديرة بشرف لقب « ست البيت » [3] .

إن النبى ﷺ جاءته امرأة تسأله عن أحكام الغُسل من الحيض فأجابها وأوصاها أن تضع بعد الغسل قطعة فيها مسك لتزيل آثار رائحة دم الحيض وتجعل هذا المكان طيب الرائحة ، حتى إذا ما أراد زوجها منه شيئاً يشم أو يلمس رائحة طيبة .. وهذا العمل عبادة .

---

(١) غط وتغط في نومها : تنام نوما عميقاً . (٢) تؤثر : تفضل .
(٣) ست البيت : تعبير مصرى يطلق على السيدة الماهرة في أعمال المنزل .

وفى ليلة الزفاف قالت حماة لزوج ابنتها : « هات حَـلَّةُ اللباس » أى مقابل أنك استطعت اكتشاف ما لا يراه أحد من المرأة .. وهى بهذا تخالف الإسلام الذى أفتى فقهاؤه بكراهية طلب المرأة أى شئ من زوجها عند لقاء المتعة بها ، لأن هذا يشبه الزنا وصورة مما تفعله البغايا .. أن تأخذ على الاستمتاع بها أجراً .. والنبى ﷺ يطلب من المرأة أن تكون تحت أمر زوجها حين يطلبها للمتعة ، ولو راودها عن نفسها فوق ظهر جمل لم يحل لها أن تمتنع منه .

ويطلب النبى ﷺ من المسلمة ألا تكون حشيَّة ملقاة ، وإنما عروساً تتلهى بزوجها وتداعبه .. كما فى حديثه لجابر بن عبد الله : « هلاَّ بكراً تُداعبها وتداعبك» ؟! فالمداعبة شئ واجب على الطرفين تَدَيُّناً ، ويقول النبى ﷺ للرجل كذلك : « لا يقع أحدكم على زوجته كما يقع العير - أي الحمار - ولكن ليلاطفها ويداعبها ».

وعليه أن يراعى شعورها .. فلا يضربها ثم يواقعها حتى يزيل ما بنفسها أولا ، بهذا أوصى رسول الله ﷺ .

* * *

• طبق الحلوى :

ومن الآداب التى ذكرها الغزالى فى الإحياء أن تجمع الزوجة أسرتها أسبوعياً على طبق جميل من الحلوى .. فإن الأسرة عندما تشعر أنها فى فرح كل أسبوع تمتلئ بالسعادة والاعتزاز والحب للبيت ، قال سفيان الثورى : بلغنا أن الله وملائكته يصلون على أهل بيت يأكلون فى جماعة .

* * *

• فى الثبات والعمل :

كان النبى ﷺ يعمل مع أهله ما يمكنه أن يعمله تطييباً لخاطر الزوجة .. ولأن المرأة تُحب أن ترى زوجها معها فى كل وقت وعمل ، ومساعدتها فى المطبخ ذات لذة وتمنحها نشوة ونشاطاً .. وقد كان رسول الله ﷺ يُرَقِّع ثوبه بنفسه ، ويخصف نعله ، ويحلب شاته ..

وكانت زوجاته وزوجات الصحابة يحاولن ما استطعن الإسهام فى زيادة دخل الأسرة ومساندة الزوج .. فأسماء بنت أبى بكر تحمل النوى على ظهرها مسيرة عدة أميال ، ثم تعده غذاء لفرس زوجها ، وإحدى زوجات النبى ﷺ تدبغ بعض الجلود ، فالأصل فى الحياة الزوجية التعاون المخلص فليس فى البيت المسلم إمبراطور متبجح متغطرس ، ولا ملكة متكبرة .. إنما الزوجان فى فرح ومرح ، يعيشان فى تعاون صادق مخلص .

* * *

• عدم التفاخر بالجمال :

قال الغزالى : ومن آداب الزوجة ألا تتفاخر على الزوج بجمالها ولا تزدرى زوجها لقبحه ، فقد رُوِى أن الأصمعى قال : دخلت البادية فإذا أنا بامرأة من أحسن الناس وجهاً تحت رجل من أقبح الناس وجهاً .

فقلت لها : ياهذه . . أترضين لنفسك أن تكونى تحت مثله ؟

فقالت : ياهذا .. اسكت ، فقد أسأت قولك . لعله أحسن فيما بينه وبين خالقه ، فجعلنى ثوابه . أو لعلى أسأت فيما بينى وبين خالقى فجعله عقوبتى .

* * *

• مشاهد لا تليق بمسلمة :

١- مشهد من تلتقط الخيط من رجال يتحدثون بالقطار أو النادى فتقحم نفسها فى حديث مع من لا تعرفهم .

٢- والتى تستوقف سيارة رجل لا تعرفه لتركب معه تقليداً لساقطات الغرب.

٣- والتى تفتح الباب لترى الزائر ولا تسأله من وراء حجاب ، وأكثر بعدا عن الآداب الرجل الذى يطرق الباب ، ثم لا يتوارى قليلاً ، أو لا يدير ظهره حتى يسمع الإذن له بالدخول .

٤- والتى تقابل اللبَّان والكوّاء والباعة الجائلين حاسرة الرأس أو كاشفة الصدر كأنه بحرفته هذه أصبح بدون خصائص الرجولة .

٥- والتى تقف لتنشر « الغسيل » أو تقف فى الشرفة دون تحفظ وكأن المارة فى الشارع عمى لا يرون عورتها التى حرّم الله كشفها .

٦- والتى تمضغ العلك (اللبان) أو تأكل فى الطريق العام إلا لضرورة الحمل عند بعض من يفعلن هذا لمنع القئ وأعراضه .

٧- والتى تجعل أجمل ثيابها للعرض فى الشـوارع ومجالات العمل وكأنها « مانيكان » متنقلة . فإذا رجعت الى بيتها انخلعت من الجمال إلى القبح لترى أمام زوجها « قبيحة » على « الحقيقة » .

٨- والتى تقحم نفسها على ضيوف زوجها دون طلب لها .

٩- المرأة العاملة التى تودع زوجها مقطبة الجبين لتستقبل زميلها بإشراقة الصباح .

١٠- المرأة التى ترتدى زياً إسلامياً وتسترعى انتباه المارة ضحكاتها الثقيلة وحركاتها الرعناء .

* * *

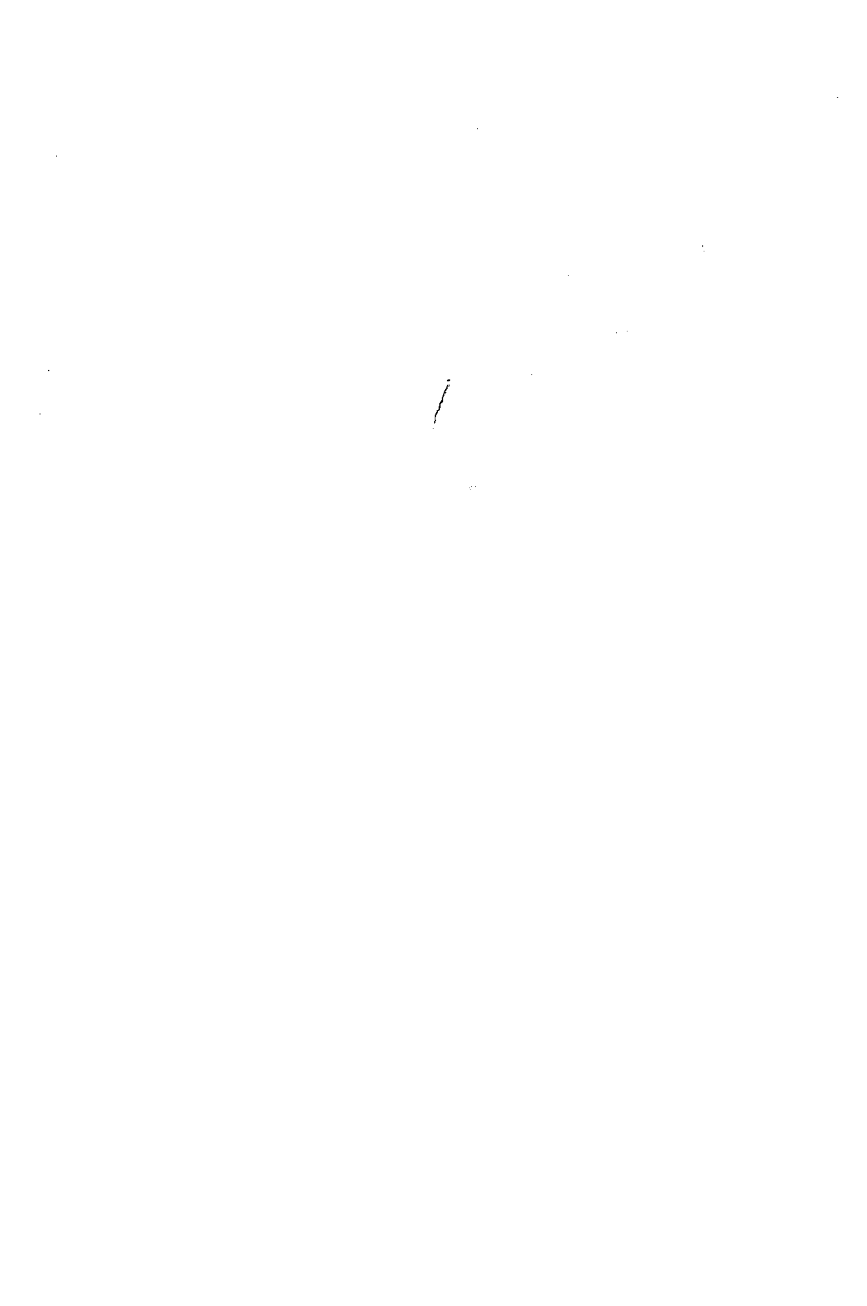


الفصل الثالث



• تعليم المرأة .

- علاقة الإسلام بتعليمها .
- تعليم البنت في العصر الأموي .
- في العصر العباسي .
- عائشة بنت أحمد .
- فضل المدنية .
- حسّانة التميمية .
- عُلَيَّة بنت المهدي .
- ولأدة الروائية .
- قمـــــر .
- عمـــــرة .
- النساء والتدريس والأستاذية .
- ماذا تتعلمه الفتاة ؟
- من دفاع باحثة البادية .
- عيب التربية لا التعليم .
- مقترحات باحثة البادية .



تعليم المرأة

• علاقة الإسلام بتعليمها :

المرأة نصف المجتمع .. فعليها إذن العبء الواجب للعمران ، ولا ريب أن المسئولية الشخصية والمسئولية الاجتماعية تقتضيان العلم للنهوض بواجب هاتين المسئوليتين .

فالمرأة مسئولة عن صلاتها وصيامها وزكاة مالها وحجها ، وتصحيح عقيدتها. وعن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . وعن الاستباق إلى الخير . وبالإجمال كل ما جاء به الإسلام فى الكتاب العظيم وفى السنة المطهرة لبيان واجب المسلم والمسلمة : على المرأة أن تتعلمه وتعلمه نظرياً وعملياً .

وإذا كان من المسلّم به أن الإسلام عبادة وقيادة وسياسة واجتماع واقتصاد وحركة للحياة فى شتى مجالات الحياة .. وإدراك كل ذلك لا يأتى عفوياً . وإنما بالدرس والتلقين والتلقى .. كان من المنطقى أن يكون تعلم الإسلام - والإسلام ثقافة واسعة شاملة عميقة متنوعة - واجباً على كل مسلم ومسلمة ، ولهذا فلا غرابة فى أن يروى عن رسول الله ﷺ أنه قال : « العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » ، بل الذى يكون غريباً وليس منطقياً مع الإسلام بمفهومه الذى ذكرنا أن ينكر تعليم المرأة ، أو أن يعد تعليمها نافلة وأمراً ثانوياً .. وأن يأتى من يقول : كلمة « ومسلمة » إضافة زائدة على الحديث الذى رواه ابن ماجه ، وقد نقل العراقى تصحيحه عن بعض العلماء [١] .

وهذا فضلاً عن أن كلمة مسلم فى ذكر التكاليف الشرعية تعنى كل من آمن بالإسلام من ذكر أو أنثى،صغيرأو كبير من الإنس أو الجن باعتبار «محمد»عليه الصلاة والسلام مبعوثاً إلى الثقلين .. وكان خطابه موجهاً لهما :

---

(١) والحديث وإن قال أحمد بضعفه فإن له بمعناه شواهد تزيل ضعفه .

﴿ يَامَعْشَرَ الجِنِّ والإنْسِ إنِ استَطَعْتُمْ أنْ تَنفُذُوا مِنْ أقْطَارِ السَّمَواتِ والأرْضِ فَانْفُذُوا ﴾ (١) .

ومن هذا المنطلق الواقعي لطبيعة الإسلام ، دين الحياة والعمران ، رأينا رسول الله ﷺ يبايع النساء ، وببيعتهن بايع الرجال ، ولا يستطيع أى امرئ له إلمام بالتاريخ أن يجهل « بيعة النساء » فى السيرة ، وبنصها بايع النبى عليه الصلاة والسلام الأنصار فى « العقبة » .

بل إن الله فى سورة اللّيل يقول مقسماً : ﴿ وَمَا خَلَقَ الذكَرَ وَالأُنْثَى * إنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى ﴾ (٢) فيسوى سبحانه بين الجنسين فى القابلية للكسب من العمل : صالحاً وطالحاً ، وفيما يترتب عليهما من جزاء .

ويؤكد وحدة التكاليف فى كثير من آى القرآن ، ففى سورة آل عمران : ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أنِّى لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُم مِنْ ذَكَرٍ أوْ أُنْثَى ، بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ ﴾ (٣) . ويقول الله فى سورة المائدة : ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا ﴾ (٤) .

بل إن النساء يحتشدن لسماع النبى ﷺ والصلاة الجامعة معه من أجل التعليم . فإن صلاة المرأة فى بيتها أفضل من الصلاة فى المسجد بلا نزاع ، ومن أجل التزاحم خصص النبى ﷺ لهن باباً يُسمى - حتى الآن فى مسجد الرسول ﷺ بالمدينة - « باب النساء » وما عصى الله تعالى بمعصية أعظم من الجهل بالدين.

وذكر البلاذرى فى « فتوح البلدان » نساء مسلمات تعلمن القراءة والكتابة يبلغ عدد المعروف منهن نصف عدد المعروف من الرجال والكتَّاب .

وروى أن الشِّفاء العدوية (من قبيلة بنى عدى رهط عمر بن الخطاب) طلب

(١) الرحمن : ٣٣
(٢) الليل : ٣ - ٤
(٣) آل عمران : ١٩٥
(٤) المائدة : ٣٨

إليها النبى ﷺ أن تُعَلِّم زوجه أم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطّاب تحسين الخط وتزيين الكتابة .

وكانت أم المؤمنين عائشة بنت أبى بكر ، وأم المؤمنين أم سلمة رضى الله عنهما تقرآن وإن لم تكتسبا مهارة الكتابة .

وذكر الواقدى أن كريمة بنت المقداد كانت تكتب وتقرأ . ورُوِىَ أن عائشة بنت سعد قالت : علمنى أبى الكتاب - أى الكتابة .

وذكر البلاذرى أن أم كلثوم بنت عقبة كانت تكتب .

لقد بلغ التعليم فى المجال النسائى حداً كبيراً جعل النساء يشاركن الرجال تبعة الزحف بالإسلام نحو الخافقين . فعائشة رضي الله عنها تروى لنا أكثر من مائتين وألفى حديث ، وأختها أسماء تروى ٥٦ حديثاً .. وغيرهن كثيراً نأخذ عنهن سنة النبى عليه الصلاة السلام .

بل إن موقف عائشة رضي الله عنها فى محاولة للصلح بين علىّ وخصومه تلك التى اتهمت فيها بالانحياز ، يدل على ما كان للمرأة من وزن فى العمل السياسى ، وموقف أسماء من الحجاج حين استشهد ابنها عبد الله بن الزبير - وترفعها عن الاستشفاع له عنده ، بل تحضيضها ولدها على الثبات ، يدل على مدى الوعى الذى يمسك بزمام العاطفة .

ويروى عن أم الدرداء الفقيهة الزاهدة حضّها على العلم وتفضيله على كل ما سواه إذ تقول : لقد طلبت العبادة فى كل شئ فما أصبت لنفسى شيئاً أشفى من مجالسة العلماء ومذاكرتهم .. وقد وصفها النووى بقوله : « اتفقوا على وصفها بالفقه والعقل والفهم ». وقد عاشت فى أيام معاوية . وكانت تقيم ستة أشهر فى بيت المقدس وستة أشهر فى دمشق .

قال الأستاذ صالح عبد العزيز - العميد السابق لمعهد التربية العالى للمعلمين - فى كتابه « تطور النظرية التربوية » :

« والأمثلة كثيرة على النساء العربيات المسلمات اللواتى تعلمن القراء والكتابة والنحو ، وروين الحديث ، بل كثيرة على أنهن لم يتعلمن فقط وانما كُر يعلمن غيرهن ، وكان ممن درس عن النساء بعض مشاهير الرجال » .

وقد ورد فى كتاب « تهذيب الأسماء » للنووى أسماء أولئك النساء اللاتى تولين هذه الرسالة ، وكان يُنظر إليهن بعين التبجيل والإعجاب . وفى اهتما مؤلفى العرب بتسجيل أسماء أولئك السيدات دليل قوى على تقديرهم لعلمهن وعلى إيمانهم بأن جهودهن فى نشر العلم جديرة بالتسجيل .

* * *

• تعليم البنت فى العصر الأموى :

ثم قال أستاذنا صالح عبد العزيز : كانت صبغة العصر الأموى دينية عربيا عامة . فإزاء من نشأ فيه من الرجال فى العلوم الدينية واللُغوية .. قامت طبقا من النساء الزاهدات عُرفن غالباً بالعلم مع التقوى . وقد ساعد على ظهورهن قُرب العهد بصاحب الرسَالة وما فى فطرة النساء من التدين ، وأشهرهن رابعة العدوية .

« هذه الطبقة من جمهور الإماء اللاتى كان الأمويون يُعْنَونْ بتعليمهن الآداب من شعر ورواية وموسيقى .. كانت تمثل المتعلمات فى العصر الأموى ، ولقد كان من بينهن « سكينة بنت الحسين بن علىّ » التى قال عنها المستشرق الفرنسى بيرون : « إنها سيدة سيدات عصرها ، وأجملهن وأرقاهن وأسماهن صفاتاً وأخلاقاً . وكان منزلها كعبة الأدباء والعلماء » .

وتدل الدلائل على أن البنت منذ عصر الأمويين حذت حذو الولد ، فتلقت علومها بالمدارس على معلمين أجانب عنها ، فقد جاء فى الجزء الثانى من « البيان والتبيين » للجاحظ فى نوادر الوليد بن عبد الملك : أنه مر بمعلم صبيان ، فرأى جارية فسأله : ما شأنها ؟ قال : أُعَلّمها القرآن ..

وفى أخبار الأغانى أن خليل بن عمرو المعلّم كان يؤدب الصبيان ، ويعلّم

الجوارى الغناء فى مكان واحد ، أى أنه فى مرحلة الطفولة كان يضاف إلى حفظ القرآن - فى الكتَّاب - ما يُفيد كُلاً من الفتى والفتاة فى مستقبل حياته ، فيتعلم الصبيان الأدب شعراً ونثراً ، وتتعلم الجارية فى صغرها الأغانى التى تغنيها لطفلها أو لزوجها - أو لسيدها إن كانت الجارية من الإماء .. فقد كان انتشار الإماء فى العصر العباسى بسبب كثرة الفتوح أمراً معروفاً ... ومنهن هؤلاء الجوارى اللاتى تحدَّث عنهن أستاذنا .

* * *

• فى العصر العباسى :

ثم قال أستاذنا : « بانتشار الثقافة أيام العباسيين فى كل من أسبانيا والأجزاء الشرقية من الإمبراطورية ازدادت نواحى النشاط العقلى بين النساء . ونحن نسمع عن كثير من النساء اللاتى برزن فى ميدان الدراسات الأدبية والدينية وخاصة فى رواية الحديث .

« وبين اللاتى جمع منهن البخارى أحاديثه : كريمة الحرورية والتنوخية ، ويشير السبكى فى كتابه « طبقات الشافعية » . إلى كثير من النساء اللاتى كن مرجعاً له فى معرفة تقاليد النبى ﷺ وعاداته .

كما أن عدد النساء اللاتى تبحرن فى الميدان اللُّغوى والأدبى ، لا يقل عن سابقاتهن ، وقد برعت كثيرات من الجوارى - أى الإماء - فى هذا الميدان وكان علم الجارية وأدبها من أهم مقوماتها ، فكان ثمنها يغلو كلما كانت آدب وأوسع علماً ، وكان من ذلك مال جَمٌّ لسادتهن ، ومراكز عليا لهن فى قصور الخلفاء والحكام . ولا شك أن بعض الأمثلة القليلة لأولئك النساء المتعلمات سيلقى الضوء على ميول العصر العقلية الحرة .

- عائشة بنت أحمد :

وصفها المؤرخون بأنها على جانب عظيم من الذكاء والعلم والنقاء ، والمهارة فى النواحى الأدبية وبخاصة الشعر . وكانت فصيحة مهذبة ذات خط جميل . وصلت بفصاحتها إلى مركز عظيم هيأ لها الاتصال بملوك ذلك الوقت . وقد ماتت سنة ٤٠٠ هـ .

- فضل المدنية :

كانت حاذقة الغناء كاملة الخصال . وأصلها جارية لإحدى بنات هارون الرشيد نشأت وتعلمت فى بغداد . ولم تكن تغنى لغير سيدها . فالإسلام يرفض غناء المرأة للرجال ، وما رُوِىَ من غناء الجوارى فى استقبال النبى ﷺ يوم الهجرة « طلع البدر علينا » ضعيف الرواية ، وذلك لما يصاحب الغناء من تلاعب بالصوت مثير للرجال ﴿ فَلاَ تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِى فِى قَلْبِهِ مَرَضٌ ﴾ [١] . فالغناء لا يقاس بالكلام فى الإباحة .

- حسّانة التميمية :

تأدبت وتعلمت الشعر . ولما وقف الحاكم على شعرها استحسنه وأمر بإجراء مرتب لها . تقديراً لفنها الأدبى .

- عُليّة بنت المهدى :

قيل عنها : إنها كانت من أحسن الناس وأظرفهم . تقول الشعر الجيد ، وتصوغ الألحان الحسنة للأغانى العفيفة . وقد حضرت على « الدمياطى » وغيره من العلماء ، وأجازها[٢] من المغرب « أبو جعفر » ، وحفظت مقدمته

---

(١) الأحزاب : ٣٢

(٢) الإجازة : الشهادة العلمية والإذن بالتدريس .

فى النحو ، وكانت تكتب وتقرأ . وقد ألف فيها والدها كتاباً سماه « النضار فى المسلاة عن نضار » وذكر الصفدى : « قال لى والدها : إنها كانت تُعرب جيداً . وأظنه قال لى إنها كانت تنظم الشعر ، وكان يقول دائماً : ليت أخاها حيّان كان مثلها » وأخوها من النابهين فى النحو .

- وَلادة الروائية :

بلغت من البراعة واللباقة حداً أتاح لها مطارحة الشعراء ، حتى الوزير الأديب الشاعر ابن زيدون طارحته الشعر . مما أدى إلى قيل وقال فى شأنهما . ويجعلنا نقول إن ما فعلته لا ينبغى للمسلمة ... وحسب المرأة أن تقول الشعر موضوعياً وهادفاً كما كانت تفعل الخنساء ، إذ تلقى على الرسول ﷺ من شعرها فى صخر مكارم الأخلاق التى تحلّى بها ، وكان النبي ﷺ يستزيدها ويقول : « إيه ياخُناس » .

- قمـــــر :

وهى جارية لابن حجاج صاحب أشبيلية ، وقد كانت من أهل الفصاحة والبيان ، تصوغ الألحان ، كما عرفت ببراعتها فى الأدب والقصص والشعر . هذا فضلاً عن ذكائها الجم ، وذاكرتها القوية .

- عَمْـــــرة :

قال صاحب الأغانى : « وكانت امرأة جزلة ، يجتمع الرجال عندها لإنشاد الشعر والمحادثة » . ومعنى هذا أن بيتها كان منتدى للشعر والأدب والاجتماع. لا للسهرات الهابطة الخالية من المضمون .

وظاهرة الصالونات الأدبية التى تفشت فى العصر العباسى تُقيمها السيدات اللاتى علا كعبهن فى الأدب ، يغشاها الجنسان إن كانت النسوة محجبات ،

وقليل منهن التى تكشف عن وجهها فقط ، لا شك أنها ثمرة ركود الجهاد ، وانتشار الترف الذهنى والحضارى ، وليست ثمرة غرس إسلامى نقى .

ومما يُذكر عن جوار اشتراهن هشام بن عبد الملك أنه لما استنطقهن رأى فصاحة وأدباً ، فاستقرأهن القرآن ، واستنشدهن الشِعر فأنشدنه القصائد البليغة .

« ويروى لنا الأستاذ المستشرق برون (E . C . Browne) قصة تبين حالة النساء من حيث التعليم فى ذلك العصر . وهى أنه قدم لهارون الرشيد جارية ثمنها (١٠٠٠٠ دينار) فدفع الخليفة الثمن المطلوب . واشترط أن تؤدى امتحاناً فى بعض العلوم أمام مجلس يُعَيِّنُه الخليفة . ثم جمع الأعلام من علماء الشريعة والطب والفلك وأساتذة الفلسفة والبلاغة ومهرة اللاعبين بالشطرنج[١] وقدم تلك الجارية إليهم ليختبروها ، فامتحنت فى الفقه والتفسير والطب والفَلَك والعلوم اللُغوية والشـطرنج . ولم تكتف بالإجابة على الأسئلة إجابة سديدة صائبة . بل طرحت هى على ممتحنيها أسئلة عجزوا عن الإجابة عليها . ومهما كان فى هذه الرواية من المبالغة ، فلا شـك أن الجوارى حصلن على وسـائل التعلم ، ويُسِّرت لهن السُبل لدراسة الأدب العربى .

وما زلنا نجد فى أيدى القرويين القارئين قصة « تودَد » الجارية تحكى نموذجاً لما قاله المستشرق .

« بأمثال أولئك المتأدبات النوابغ من الجوارى افتخر الجنس اللطيف بالعصر العباسى ولكن افتخاره كان أتم فى طبقة أخرى من بنات البيوتات . تسربت لهن العدوى الأدبية ، فما لبثن أن صِرن عماد النهضة النسائية » .

* * *

(١) ولعب الشطرنج هل يسري عليه ما يسري على كل وسائل اللهو من الحظر ؟ قال بهذا البعض ، وقال آخرون إنه يخالفها لما فيه من تدريب على الخروج من المآذق الذهنية ، وما فيه من تفتيح للعقل فجعلوه مباحاً وأحياناً مستحباً .. إذا صحبته نية تفتيح الذهن ، والفرق بين النرِد وبين الشطرنج وجود غرر في النرِد ولا يوجد غرر في الشطرنج فأنت تجهل ما سيأتي به الزهر بخلاف الشطرنج .

• النساء والتدريس والأستاذية :

ثم قال أستاذنا : « لم تقتصر النساء على الدراسة ، بل قمن إلى جانبها بالأشغال المنوعة فكن يشاركن الرجال فى مهن مختلفة . كالتدريس والطب والقضاء وشغل الوظائف العامة فى الخدمة المدنية » .

والمراد بالقضاء ما كان فيما يختص بشئون النساء ، وفى غير الجنايات عند من أجاز لهن ذلك ، وكذلك باقى المهن المذكورة إلا من تفوقن على الرجال فى بعض العلوم فكن يحاضرن للجميع فى وقار وحجاب .

« ولقد جذب ميدان التعليم معظم هؤلاء النساء . فمؤرخو الإسلام ومعاجم الطلبة تشير إلى كثير من النساء المحاضرات . وقد بلغن ثمانين امرأة .

كما ذكر ابن خلِّكان أيضاً أسماء عدة نساء اشتهرن طالبات للعلم ومحاضرات، ويذكر ابن أبى أوسيبيا طبيبتين هما أم وابنتها كانتا تَعْنيَان بنساء قصر الخليفة المنصور فى الأندلس .

كما اشتغلت « لانبا » و « موزنا » سكرتيرتين للخليفة الحَكَم عبد الرحمن والناصر لدين الله (فى غير تبذل عصرنا المعروف ، فضلاً عن أنهما كانتا ملك يمين) .

وقد برعت « لانبا » فى الفن والإنشاد وقواعد اللُّغة والشِعر والحساب، بينما اختصت « موزنا » بالكتابة .

هذا .. وقد ورد ذكر أسماء بعض النساء العربيات اللاتى احترفن التدريس . وتتلمذ لهن الرجال كما تتلمذ بنات جنسهن . وَمَنَحْنَ إجازات التدريس . والرواية لكبار الرجال . ومن هؤلاء :

١- أم المؤيد (زينب) أستاذة المؤرخ الشهير ابن خلِّكان . قال عنها :« إنها كانت عالمة وأدركت جماعة من أعيان العلماء . وأخذَت عنهم رواية وإجازة ، وأجاز لها الحافظ أبو الحسن (أى أذن لها أن تروى علمه فى الحديث والأخبار) ولنا منها إجازة .

٢ - فخر النساء شهدة : واشتهرت بالخط الجيد ، وسمع عليها خلق كثير حتى اشتهر ذكرها ، وبعد صيتها .

٣ - السيدة نفيسة بنت أبى محمد : وقد كان لها بمصرمجلس علم ، وحين وفد الإمام الشافعى إلى مصر جلس إليها واستمع منها الحديث النبوى ، ويُروى أنها قالت عند وفاته : « رحمه الله .. كان يحسن الضوء ».

٤ و٥ و٦ - ومن أساتذة أبى حيّان المفسر النحوى الكبير « مؤنسة الأيوبية» أُخت الملك العادل أخى صلاح الدين الأيوبى ، و« شامية بنت الحافظ »، و«زينب بنت عبد اللّطيف » .

٧ - شهدة الكاتبة بنت الابرى : كانت جيدة الخط وأستاذة فى الحديث ، قرأ عليها عبد الرحمن بن داوود صحيح البخارى .

٨ - العَرُوضية : وهى جارية ابن المطرف فى بلنسية بأسبانيا ، وأخذت عن مولاها النحو واللُّغة وبذّته فى العُرُوض[١] حتى اشتُهِرَتْ به . وكانت تحفظ كتاب « الكامل » للمبرد ، وكتاب « النوادر » لأبى على القالى ، وهما من أهم كتب الأدب ، وتشرحهما .

قال أبو داوود سليمان : « قرأت عليها الكتابين . وأخذت عنها العُرُوض ».

٩ - مريم بنت أبى يعقوب الأنصارى : سكنت فى أشبيلية . وقيل إنها كانت أديبة مشهورة . وكانت تُعَلِّم النساء الأدب . وهذا يعنى وجود مجالس نسائية للدراسات الأدبية تحمل النساء فيها عبء التدريس .

---

(١) علم أوزان الشعر العربي .

هذه أمثله ، وغيرهن كثير ، فقد روى ياقوت أن شيوخ عليٍّ بن الحسين بن عساكر العالم المؤرخ المحدِّث المشهور بلغوا (١٣٠٠ شيخ) ومن النساء بضعاً وثمانين امرأة من فُضليات العلماء .

وقد لا نخطىء إذا قلنا : إنه إذا وازنَّا نساء الإسلام بنساء الإفرنج فى القرون الوسطى تبين لنا أن المسلمات كنَّ أرقى من أخواتهن الإفرنجيات. ولقد تمتعت المسلمات بفرص عقلية أكثر من نساء الرومان ونساء العصور الوسطى فى أوروبا.

ولا غَرو . فقد هيأ لهن الإسلام فرصاً للتربية الراقية. من انتهزتها منهن بلغت بها أعلى المراتب التى قُدِّر للرجال بلوغها. وكثير منهن قد انتهزنها.

وما لاحظناه فى الجيل الماضى من تخلف المرأه علمياً لم يكن الأصل فيه محاربة الإسلام لتعليم المرأة ، وإنما كان مظهراً من مظاهر الجهل المُطْبَق فى عصور الدول المتتابعة . ذلك الجهل التى عَمَّتْ أثاره الرجال والنساء على السواء .

وكيف يُنسب إلى الإسلام أنه يحارب تربية البنات وتثقيفهن إلى أعلى درجة فيها صلاح لهن . وهو الذى ينقذها من الوأد صغيرة ، وهدَّد بالعذاب من يئدونها : ﴿ وإذَا المَوْءودَةُ سُئِلَتْ * بِأىِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴾ (١) . وفى الحديث الشريف الذى يرويه الشيخان والترمذى عن النبى عليه الصلاة والسلام : « من بُلِىَ من هذه البنات بشىء فأحسن إليهن كُنَّ له ستراً من النار » .

وهل هنالك إحسان للبنات أعظم من تعليمهن تعليماً يرتقى بهن عن مستوى التصرف الحيوانى إلى مستوى السلوك العلمى الراقى ؟

إن النبى ﷺ يعلن عن مضاعفة الثواب لمن كانت عنده جارية أدَّبها فأحسن تأديبها . وعلَّمها فأحسن تعليمها ثم أعتقها وتزوجها وأحسن إليها ، وهذا فى الأَمَة ، فما بالنا فى الحرة تكون بنتاً أو أختاً أو ذات رحم للمسلم ؟

---

(١) التكوير : ٨ -٩

روى الترمذى عن أبى سعيد الخدرى عن رسول الله ﷺ أنه قال : « من كان له ثلاث بنات - أو ثلاثة أخوات - أو بنتان - أو أختان - فأحسن صحبتهن واتقى الله فيهن فله الجنة » وفى رواية أبى داوود : « فأدبهن وأحسن إليهن وزوّجهن فله الجنة » .

* * *

• ما تتعلمه الفتاة ؟

وفى الحديث أن النبى ﷺ علّم أم عطية كيف تختن الفتيات . وعلّمها كيف تُغَسِّل الميتة . وهذه من صناعة كانت تزاولها .. كما علمّها وغيرها كيف يعالجن الجروح حتى تندمل فى إحدى الغزوات ، وكانت أم سلمة وبعض الصحابيات يَضمِّدن الجرحى ويسقين العِطاش .

وعن أم حرام قالت : « إن رسول الله ﷺ لأرأف بالمسلمين من عمر، وكان ﷺ يزورنى كلما ذهبت إلى قُباء . فَقَالَ[1] ذات يوم فى بيتى ثم أستيقظ وهو يضحك وقال : عُرِض علىّ أناس من أمتى يركبون ظهر البحر الأخضر كالملوك على الأسِرَّة . فقلت : يارسول الله .. ادع الله أن يجعلنى منهم ، قال : أنت من الأولين »

فركبت أول أسطول عربى مقاتل فى البحر الأبيض المتوسط .. وهذا ما لم تصل إليه المرأة فى البحرية المحاربة حتى الآن لا شرقاً ولا غرباً .

واستأذنت امرأة فى أن تخرج لجذاذ النخل فأذن لها قائلا :« ولعلك أن تصَّدَّقى » وخطب النبى ﷺ العيد فى الرجال، ثم انتقل إلى مُصَلَّى النساء خلف صفوف الرجال يعظهن ويجمع الصدقة منهن فكن يرمين فى حِجر بلال الفضة

(١) قَالَ : أى نام ساعة القيلولة بعد الظهر

والحُلى . وفى حديث البخارى عن رسول الله ﷺ :« نِعْمَ النساء نساء الأنصار لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن فى الدين » وفى غزوة حنين كان من النساء من يحملن الخناجر للقتال ، وكان النبى ﷺ يُنيب عائشة فى شرح المراد من حديثه لمن لا تعى ما يقوله عليه الصلاة والسلام مما فى تصريحه به إحراج للسائلة .

واشتهرت زينب - طبيبة بنى عوأد - بالطب فى الجاهلية والإسلام ، فكانت فضلاً عن معالجة الأبدان تُحسن طب العيون والجراحة » (١)

كل هذه الآثار تعطينا ملامح الثقافة التى يمكن أن تخوضها المرأة .. وهى : التعليم والخدمة الاجتماعية والصناعات التى تستطيعها . والفقه والدين والطب والجندية - فيما يمكن أن نسميه « سلاح الخدمات » - براً وبحراً وجواً عندما تدعو الضرورة إلى ذلك

وبعبارة أخرى قال الفقهاء : ما تتعلمه المرأة نوعان :

١- فرض عين : وهو الذى تصح به عبادتها وعقيدتها وسلوكها .

وتُحْسِن به تدبير منزلها وتربية أولادها إن كان العرف يلزم أمثالها التدبير والتربية .

٢ - فرض كفاية : وهو ما تحتاج إليه الأمة ، ونحن الآن فى حاجة إلى طبيبات لأمراض النساء والطفولة تكفين حاجة المجتمع ، فلزم إعداد عدد كاف من الطبيبات لذلك .. وهكذا قُلْ فى تمريض النساء ، وفى تعليم الفتيات بمدارسهن ، فنحن نحتاج ممرضات ومدرسات ودروس الفتوة واجبة ، لأن أولى الأمر قرروا الحاجة إلى التعبئة العامة على هذا المنحى ، وذلك لاحتلال أعدائنا أرضنا ..

---

(١) تطور النظرية التربوية لصالح عبد العزيز ص ٦٧ - المطبعة الأميرية - سنة ١٩٤٧ .

وكلما اقتضى الأمر شغل أيدى الرجال عن عمل مدنى إبان المعركة ، أو الاستعداد لها ، واحتيج إلى أن تشغل المرأة مكانهم فتعليمها وإعدادها لذلك العمل يكون واجباً .

أما إذا لم تكن ضرورات تفرض على الأمة إعداد النساء لثقافة معينة ، فالمرأة المسلمة تعرف أن ثقافتها يجب أن تتجه إلى ما يخدم وظيفتها الطبيعية ، فى رعاية البيت من : طهى وحياكة وحضانة وعلم التغذية .. ومبادئ الصحة العامة والوقائية .. ودراسة علم نفس الطفل . وقسط من الفنون يُساعد على التذوق الفنى ويُعين على تنسيق البيت ، فالوظيفة الطبيعية والأصلية للمرأة مكانها البيت ، وكنهها أعمال البيت ، ولهذا فإن اتفاق المنهج الدراسى للجنسين لا يتفق مع الفروق الفردية .

وطالما كان لدى الفتاة فراغ فشغله بالتعليم واجب .. وفى كل كلية جامعية ومعهد عال يوجد فى الأقسام ما يتفق قليلاً أو كثيراً مع وظيفة المرأة الطبيعيـة . فكلية الزراعة بها قسم للصناعات الغذائية ... وهكذا .

وقد درجنا على أن نرى الفلاّحة تعمل مع زوجها فى تربية الدواجن بالمنزل ، وقد تساعده فى الحقل فى زيها المحتشم ، ولم يثر واحد من العلماء على هذا . ولئن عملت المهندسة الزراعية فى مزرعتها ، أو مزرعة زوجها ، بالأسلوب العلمى فى زِى إسلامى لم يكن هنالك مانع ولا اعتراض ، اختلف أسلوب العمل فى المجال الزراعى طبقاً للاختلاف بين ثقافة الفلاّحة الزراعية .. وثقافة المهندسة الزراعية ..

فى سنترال مصر الجديدة صعدت السلم فتاة لعمل توصيلة كهربية . فماذا كان وجه الاعتراض عليها ؟ كان ثوبها القصير عندما صعدت السلم هو بيت القصيد . والعقدة والمشكلة الأولى . وكان عدم تأنيث مجال العمل بحيث لا يكون الاختلاط بين الرجل والمرأة هو المشكلة الثانية .. ولو تخلصنا من المشكلتين لما كان هناك اعتراض على نوع الثقافة ، ولا على استخدام أو عدم استخدام هذه الثقافة فى زيادة دخل الأُسرة الفقيرة .

أما أن يكون عمل المرأة مزاحمة للرجل المسئول عن نفقات من يعولهم من زوجة وبنين ، وربما أبوين عجوزين فقيرين ، فهو خطيئة اجتماعية .. لأنها بعملها تُرَوِّج البطالة . وتسد أبواب رزق أطفال آخرين حجبت بعملها والدهم عن كسب قوتهم . ودفعت بهم إلى التشرد والضياع ، ثم الانحراف والجريمة والعدوان على المجتمع وكراهيته .

ولا يستطيع امرؤ رشيد أن ينكر أن تربية الأم لأولادها أجدى بكثير من تربية الخدم لهن ، فالطفل فى أيامه الأولى يستقى لغته وعاداته ونموه العاطفى والاجتماعى من خلطائه القريبين . وهؤلاء الخلطاء إن غابت الأم فى عملها سحابة النهار ليسوا إلا الخدم ومن فى مستواهم من أصدقائهم ممن لا يمكن أن يورثوا الطفل إلا أسوأ العادات والمعايير ..

والتربية الناقصة للطفل تنجم عنها خسارات كبيرة يتجرعها الطفل وأبواه أولاً، ثم يجنى المجتمع ثمارها حنظلاً مريراً بعد ذلك .

ولا تنتهى الطفولة المبكرة إلاَّ وتعقبها الطفولة الراشدة ، ودور المراهقة . وهما من أخطر الأدوار على تربية الطفل إذا لم يكن دائماً تحت عين الأم وبصرها ، سواء أكان الولد ذكراً أو أنثى ، فالأم فى بيتها مربية ومعلّمة فى مدرسة ذات برنامج نوعى يتلقاه الطفل حين يعود من مدرسته مساء ، وعملية تربيته وتعليمه لا تنقطع بمجرد دق ناقوس انتهاء اليوم الدراسى .

والأم المتعلمة أقدر على متابعة العملية التربوية لأولادها فى المنزل ، وإدراك حاجات الطفل النفسية والعقلية ، كما أنها أقدر على تفهم طبيعة الحياة والمجتمع وتطلعاته ، وأقدر على أداء دورها فى ارتقائه .

بل إنها لأقدر على تفهم خصائص زوجها وسبر أغوار نفسه حتى تتكيف معه . ولا يطول أمد هذا التكيف والتوافق الذى يأخذ فى العادة ردحاً من الزمن إلى أن يكتشف كل من الزوجين رفيقه ، ويوائم بين عاداته وأهوائه وبين عادات

وأهواء قرينه ، كلما ارتفعت الثقافة - وبخاصة فى العلوم الإنسانية وعلى رأسها الدينية - كلما اختزلت خطوات « مُعادلة » التوافق والتواؤم الزوجى .

* * *

• من دفاع باحثة البادية :

وتقول مَلَكْ حفنى ناصف الملقَّبة بباحثة البادية [١] :

« وحقيقة أن النساء لم يخترعن اختراعات عظيمة ، ولكن كان منهن النابغات فى العلوم والسياسة والفنون الجميلة . وبعضهن فقن الرجال فى الفروسية والشجاعة كخَولة بنت الأزور الكندى ، فقد عجب منها عمر بن الخطاب . وأعجب باستقتالها فى فتوح الشام حينما أرادت تخليص أخيها من أسر الروم » .

ثم تقول : « إن الأم مهما تعلّمت وبأى حرفة اشتغلت فلن ينسيها ذلك أطفالها ، أو يُفقدها عاطفة الشفقة والأمومة ، بل بالعكس ، إنها كلما تنوّرت أدركت مسئوليتها ، ألم ترين الفلاحات والجاهلات يظل يبكى طفل الواحدة منهن ساعات وهى تسمعه ولا تتحرك إليه . فهل يا ترى كان شغل هؤلاء أيضاً القضايا والاشتغال بالتحرير والقراءة ؟ .

قال قائلهم : لا تعلموا البنات من الحساب إلا القواعد الأربع : لأنهن لن يحتجن لأكثر منها ، فمن أين له أننا لن يغالطنا وكيل فى قياس قطعة أرض ؟

العلم منير للعقل على أى حال . سواء عُمِلَ به أو لم يعمل (أى يُستخدم) ... لو لم يكن للعلم لذة فى ذاته لما اشتغل بتحصيله الملوك . وهم واثقون أنهم لن يكونوا مهندسين ولا تجاراً ولا سائقى قطارات .

وهل تُفَضّل السيدة التى تعرف تطبخ أن البطاطس وتنسق الأزهار فقط ، أم

---

(١) المنار جزء ٥ - المجلد ١٢ ص ٣٥٣ وما بعدها .

التى تعرفها أيضاً ولكنها تعلم متى تؤكل البطاطس ؟ وهل توافق زوجها المريض بالسكر أو جسمها السمين التى تريد تضميره ! وهل وجود أصص (قصارى) الزرع فى حجرتها ليلاً صالح لرئتيها الضعيفتين أم مُضَرٌ بهما ؟

فهذه تعرف تدبير المنزل ، وتلك تعلمه ، ولكن زيادة معرفة واحدة بعلم النبات تحفظ لها صحتها وصحة عيالها من التلف ، فضلاً عما تشعر به من السرور الناشئ عن العلم .

إن المدارس مهما اجتهدت فى تثقيف عقول النشء وتهذيبها فإن المنزل له تأثير خاص على الأطفال .

وإذا شعر تلميذ بأن أمه عالمة ، أو لها نصيب من العلم ، فإنه يسعى جهده ليريها أنه أهل لحبها وتقديرها إياه ، فيجتهد ليحفظ سلسلة العلم : لتكون الصلة بينه وبينها شديدة . فتعلُّمنا الحالى ناقص ، يجب أن يزاد عليه لا أن ينقص منه » .

* * *

• عيب التربية لا التعليم :

ثم قالت : « أما ما أشكل على الرجال من علة فسادنا فهو ما ينسبونه خطأ للتعلم . وحقهم أن ينسبوه للتربية .

ودليل على ذلك أن كثيرين من المبرزين والمبرزات فى العلوم لا خلاق لهم . وأن الكتاب الواحد قد يُدَرِّسه معلمان مختلفان فى فرقتين . كل على حدة ، فتتعلم الفرقتان الكتاب ، ولكن نجد أثر الهمة وعلو النفس فى واحدة ، ولا نراه فى الثانية .

فهذا ناشئ من تأثير روح المعلِّم فى تلاميذه . لا من العلم . وإلا فلو كان من العلم لتساوت الفرقتان . لأن الكتاب واحد ، والعلم لا يختلف .

التربية الحسنة : هى التى تعوِّد الإنسان من صغره احترام الغير إذا استحق الاحترام ولو كان عدواً .

فالتعلم لم يفســد أخلاق الفتيات . وإنما هى التربية الناقصة ، تلك التربية - فى الحقيقة - يجب أن تكون من أعمال البيت لا المدرسة .

ولما كانت بيوتنا لم تبلغ الدرجة التى تؤهلها لإحسان تربية الأطفال . فقد وجب علينا أن نضاعف مجهوداتنا لإصلاح شأن أنفسنا أولا ، ثم إصلاح النشء؟ . ولا يتم ذلك فى لحظة كما يُتوهم . ومن الظلم أن نُلقى مسئولية الفساد كلها على المدرسة فإن المدارس لها تأثير فى التربية ولكن ليس عليها كل الذنب . بل العيب فى الأسر » ؟

* * *

• مقترحات باحثة البادية :

وفى ختام حديثها قالت : « ولو كان لى حق التــشريع لأصدرت اللائحة الأتية :

المادة الأولى : تعليم البنات الدين الصحيح . أى تعاليم القرآن والسنة الصحيحة .

المادة الثانية : تعليم البنات التعليم الابتدائى والثانوى ، وجعل التعليم الأولى إجبارياً فى كل الطبقات .

المادة الثالثة : تعليمهن التدبير المنزلى علماً وعملاً ، وقانون الصحة وتربية الأطفال والإسعافات الأولية .

المادة الرابعة : تخصيص عدد من البنات لتعلم الطب بأكمله ، وفن التعلُيم حتى يقمن بكفالة النساء فى مصر .

المادة الخامسة : إطلاق الحرية فى تعلم غير ذلك من العلوم الراقية لمن تريد .

المادة السادسة : تعويد البنات من صغرهن الصدق والجد فى العمل والصبر وغير ذلك من الفضائل .

المادة السابعة : اتباع الطريقة الشرعية فى الخطبة . فلا يتزوج اثنان قبل أن يجتمعا بحضور محرم .

المادة الثامنة : اتباع عادة نساء الأتراك فى الآستانة في الحجاب والخروج (١٣٢٧هـ / ١٩٠٧م) (غطاء الرأس بالخمار الذى يُغطِّى الشعر والعينين والأذنين ، ورداء أشبه بالبالطو بأزراز أو بلا أزرار ، كملابس الجزائريات والمغاربة ينسدل على الجسم إلى الكعب ويكون طويل الكمين) .

المادة التاسعة : المحافظة على مصلحة الوطن والاستغناء عن الغريب من الأشياء بقدر الإمكان .

المادة العاشرة : على إخواننا الرجال تنفيذ مشروعنا هذا »[١] .

* * *

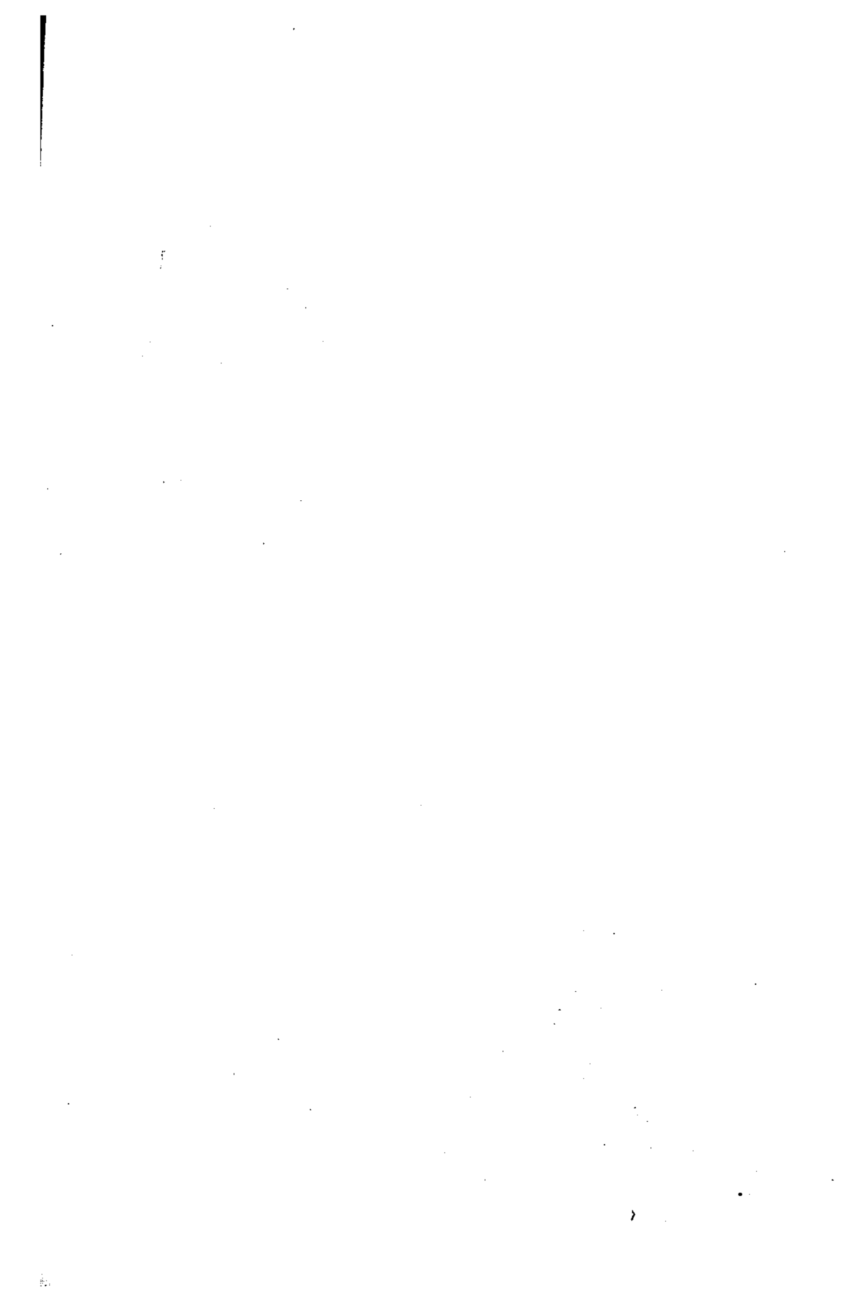
(١) المسلمة العصرية عند باحثة البادية .



الفصل الرابع

ليلة الزفاف

- **ليلة الزفاف :**
  - من الآداب المرعية في هذه المناسبة السارة .
- **وصايا للعروس :**
  - وصية أب لابنته .
  - وصايا لأم .
  - وصية أخ .
- **آداب قضاء الوطر :**
  - المداعبة .
- **أمثلة من ليالي الزفاف :**
  - في بيت عبد الله بن وداعة .
  - في بيت شريح القاضي الفقيه .
  - ما ينبغي تجنبه .



ليلة الزفاف

هى ليلة العمر كما يسميها الشباب . والواقع أنها ليلة مجيدة فى حياة الأسـرة ينبغى أن تُذكر كل عـام لتراجع إنجازات الأسرة من الأحلام التى كانت تُناط بالـزواج وتُؤجل إلى الليلة الأولى من الالتحـام الأخوى ، كما ينبغى أن يكون لها تمهيدات وتُحاط بآداب .

أمـا التمهيدات لهـا فطويلة . تبدأ من اختيار كل من العروسين رفيقه على قـاعـدة مـن التكافؤ والتدين ، والتـوافق الطبعى ، فيرى كُلٌ شريكَ حياته رؤية تُقنعه نفسياً وعاطفياً ، فى غير تبذل من الفتاة ولا خروج عن آداب الشرع . روى أحمد وأبو داوود والحاكم عن جابر بن عبد الله عن رسول اللهُ ﷺ قال : « إذا خطب أحدكم المرأة فإن استطاع أن ينظر منها ما يدعوه إلى نكاحها فليفعل » . وللرجل أن يُرسل من النساء العاقلات من تستكمل دراسة ما يطلبه فى زوجته مما لا يَطّلِع عليه الرجال . أخرج أحمد والطبرانى والحاكم والبيهقى عن أنس أن رسول الله ﷺ بعث أم سليم إلى امرأة فقال : « انظرى إلى عرقوبها وشمى معاطفها » وهى ناحيتا العنق . وفى رواية : « شمى عوارضها » . وهى الأسنان التى تكون فى عرض الفم ، وهى ما بين الثنايا والأضراس .

فإذا ارتضى كل من العروسين رفيقه كانت الخطبة الرسمية .. ومن آدابها خطبة يُذكر فيها مآثر كل من الزوجين وأهليهما ، بعد اتفاق على المهر ، وبعد تَعَرُّف كل من العروسين - بطريق مباشر وغير مباشر - على طبيعة عمل الزوج وعاداته ومستواه العلمى والمالى والطبقى ، فى المجتمعات التى لا تزال تعبأ بالطبقية ، فإذا كان الزوج متعلماً ومتديناً كان كفئاً لكل زوجة من أى مستوى طبقى تكون . لأنه لا أشرف من نسب العلم والدين .

لا يُقال : يجب الاختلاط الطويل وإتاحة الفرصة للخطيبين كى يتعرفا منفردين

على بعضهما تعرفاً على أوسع نطاق . فهذه مغالطة .. إذ انفرادهما يجعل الشيطان ينفخ فيهما النزوات ويهيج الحب الجنسى .. والحب يعمى ويصم ، فلا يكون معه تَعَرُّفٌ على شئ .

وإذا تمت الخطبة .. وجاءت ليلة انتقال العروس إلى بيت زوجها ، فإن الإسلام لا يغفل الجو النفسى الذى يسيطر على كِلا الزوجين .. هذا الجو المشحون بالمشاعر والعواطف والخواطر ، فيحاول ملء هذا الجو بجو آخر يشيع فيه السرور والبِشر ، حتى تبدو الحياة الزوجية فى بداية متفائلة راضية [١] .

* * *

• ومن الآداب المرعية فى هذه المناسبة السارة :

١- الوليمة : ومن سنة الإسلام الوليمة كما فى الحديث : « أوْ لِمْ ولو بشاة » .. وإذا لم تتيسر فأقل شئ يكفى ، فقد أولَمَ رسول الله ﷺ على زوجته صفية بسويق وتمر . ويُتحاشى أن تكون الوليمة على مستوى رفيع من اللحوم والحلوى والفواكه يُحرم منها الفقراء كما فى الحديث : « بئس الطعام طعام الوليمة ، يُدعىَ لها الأغنياء ويُترك الفقراء » [٢] . ومهما يكن فلا أقل من غذاء طيب للزوجين .

٢ – ولا بأس أن يكون هنالك إعلان عن التزواج إذا لم يتم فى يوم عقد القران كما فى حديث الترمذى : « أعلنوا هذا النكاح واجعلوه فى المساجد ، واضربوا عليه بالدف » [٣] . والسمر البرئ مقبول وليس مشروطاً ، والغِناء مقبول ما لم يكن فاحشاً فى موضوعه أو فى طريقة الأداء .. أو فى طريقة السماع

---

(١) المسئولية فى الإسلام ص ٨٠ – ٨١ .
(٢) قال فى المقاصد : ضعَّفه الترمذى لكنه قد تَوبع ، كما فى ابن ماجه وغيره فأصبح مما يَعمل به .
(٣) قال فى المقاصد : ضعَّفه الترمذى لكنه قد توبع ، كما فى ابن ماجه وغيره فأصبح مما يَعمل به .

كالاختلاط المحرَّم شرعاً . فإذا اختلط الجمعان وفيهم امرأة واحدة متبرجة وجب فض الجمع وقصر الحفل على النساء .

ولا يجوز أن تكون الوليمة وحفل السمر إلا من فائض عن حاجة العروس ، وبما لا يرهقه ويجعله يمد يده للآخرين ، ففى الحديث : « اليد العليا خير من اليد السفلى » .

٣ - ويُستحب أن تكون ليلة الزفاف فى غير أيام حيض الزوجة ، فإن وطئها فى الحيض حرام .

٤ - ويُسن الغُسل والطِيب ، ولبس أفضل الثياب ، والحلق وإزالة ما يُسن إزالته من الشعر وما طال من الأظافر .

٥ - إذا دخل الزوج على عروسه استُحِب له أن يُصلى هو واياها ركعتين ، فإذا لم يكونا قد صليا العَشاء صلياها فى جماعة ، ثم يحمدان ربهما ويُصليان على النبى ﷺ وعلى آله وصحبه ، ويدعو العروس وتُؤَمِّن زوجته على دعائه قائلا : « اللّهم ارزقنى إلفَها وودَّها ، ورضاها لى ، وأرضنى بها ، واجمع بيننا بأحسن اجتماع وأيسر ائتلاف ، فإنك تحب الحلال وتكره الحرام » .

وقال بعض الصالحين لبعض أصحابه : اذا دخلت على عروسك فخذ بيدها واستقبل القبلة قائلاً : « اللّهم على كتابك تزوجتها وبأمانتك أخذتها ، فإن قضيت لى منها بولد فأجعله مباركاً تقياً ذكياً ، ولا تجعل للشيطان فيه شريكاً ولا نصيباً » .

٦ - ومن الآداب : استذكار ما يُحب الرجل أن يكون له من زوجته ، وما تُحب المرأة من زوجها ، وحبذا لو قرآ معاً ما كان يقرؤه الصالحون من سورة العصر ، فاستوصيا بالحق والصبر ، وحبذا لو أوصى الرجل ابنته أو أوصت الأم ابنتها ، أو أوصى الأخ أخته - ليلة زفافها - بالخير .

* * *

وصايا للعروس

• وصية أب لابنته :

نصح أحد الآباء ابنته فقال :

١ - احذرى الكذب على زوجك ، فالكذب يخلق فى نفس الرجل الشك والارتياب ، وهما سُمّ الحياة الزوجية .

٢ - احذرى شدة الانفعالات العصبية فهى تجعل البيت شبه جحيم .

٣ - احذرى الإسراف فى التجمُّل متى كان زوجك غيوراً لأن ذلك يُغضب الغيور ويُثيره ، ويُلقى فى روعة أن زوجه تتجمل لسواه حتى ولو لم تكن فى الواقع كذلك .

٤ - لا تمتدحى أى غريب أمام زوجك ، فالزوج يكره ذلك ، بل ولا يحب أن يسمع تفضيل مخلوق عليه .

٥ - اخذرى البِطْنة فإنها تُفسد الجمال وتنحدر بالمرأة إلى مصاف الحيوان .

* * *

• وقال آخر : بنيتى .. اعلمى :

١ - أن هناءك مرتبط إرتباطاً متيناً بهناء زوجك . بحيث لا مهرب لأحدكما من أن يكون سبب سعادة الآخر ، أو علة شقائه ، فاحذرى أول نفور يحدث بينك وبين زوجك ، فلربما يتبعه نفور آخر إلى ما لا نهاية له .

٢ - أطيعى زوجك جهد استطاعتك ، واجتنبى السخرية وأحاديث المجون ، وإياك والمبالغة فى الغيرة فإنها مفتاح الطلاق ، وإياك وكثرة العتب فإنه يورث البغضاء .

٣ - حافظى على صحتك ، وتجنبى ما يشوه نضارتك من الأصباغ المغرية

فإنها تلتحم بالمسام ، فإذا ما سقطت تركت مكانها ثقوباً صغيرة ، تزداد مرة بعد مرة حتى تُفقد الجلد لمعته الطبيعية التى تُشاهد فى الوجوه النضرة الشابة التى لم تلابسها الأصباغ والمساحيق . .

وقد لوحظ أن أصباغ الشفاة تتبلور مع اللُّعاب فتفرزها الكُلى سموماً ، بسببها نُشاهد ظاهرة الإجهاض وتشنجات الحمل فى المستعملات للمساحيق أكثر منها فى غيرهن .

٤ - احملى بكل بسالة ما يجب عليك حمله ، واعلمى أن الشئون الخارجية هى من خصائص زوجك ، أما الداخلية فتخصك أنت .

٥ - اعلمى أن كل رجل لطيف يُقَدِّر المرأة التى عندها من الكياسة وحسن الذوق والسياسة ما يجعلها تكتم فى صدرها معظم شكاواها ، ولا تقلقه بأن تكرر على مسمعه - فى كل حديث - المسائل البيتية الصغيرة التى تضايقها .

٦ - نظمى شئونك المنزلية . ولا تُطلعى أحداً على أسرارك .

وفى الحديث : « إن من شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يُفضى إلى امرأته وتُفضى إليه ، ثم ينشر أحدهما سر صاحبه » .

٧ - لا تَفُضّى رسائل زوجك بدون إذنه ، ولا تُلحى عليه فى معرفة ما لا يريد إخبارك عنه .

٨ - احفظى لنفسك أسباب اختلافك معه . ولا تجعلى الغير يطلّع عليها .

٩ - إذا زرتك عدة مرات عديدة متوالية - دون أن أراك - فإن ذلك يحزننى ، وإذا وجدتك - وأسعدنى الحظ بأن أراك تهتمين بشئونك كما أتمنى - فإن قلبى يفيض فرحاً وسروراً .. وأثقل شئ على قلب الأم والأب والأخ أن تعود إليهم ابنتهم غضبى .

١٠ - احتفظى بهذه النصائح وطالعيها - على الأقل - مرة كل شهر ، واذهبى بسلام ، وأستودعك الله .

* * *

• وصايا الأم :

أوصت امرأة عوف بن محلّم الشيبانى ابنتها عند زفافها إلى ملك كندة :

أى بنية : إنك قد فارقت بيتك الذى منه خرجت ، وعشك الذى فيه درجت ، إلى وكْرٍ لم تعرفيه ، وقرين لم تألفيه . فكونى له أمَةً يكن لك عبداً. واحفظى له عشر خصال يكن لك ذخراً :

أما الأولى والثانية : فالصحبة بالقناعة . والمعاشرة بحسن السمع والطاعة .

أما الثالثة والرابعة : فالتعهد لموقع عينه ، والتفقد لموضع أنفه : فلا تقع عينه منك على قبيح ، ولا يشم منك إلا أطيب ريح ، والكحل أحسن الحسن ، والماء والصابون أطيب الطيب المفقود .

وأما الخامسة والسادسة : فالتفقد لوقت طعامه . والهدوء عند منامه ، فإن حرارة الجوع مُلهبة ، وتنغيص النوم مُغضبة .

وأما السابعة والثامنة : فالعناية ببيته وماله ، والرعاية لنفسه وحشمه وعياله . وملاك الأمر فى المال حسن التدبير .

وأما التاسعة والعاشرة : فلا تُفشى له سراً ، ولا تُعصى له أمراً ، فإنك إن أفشيت سره لم تأمنى غدره ، وإن عصيت أمره أوغرت صدره .

ثم اتقى مع ذلك الفرح إن كان تَرِحاً [١] . والاكتئاب عنده إن كان فَرِحاً . فإن الخصلة الأولى من التقصير ، والثانية من التكدير ، وكونى أشد ما تكونين له إعظاماً ، يكن أشد ما يكون لك إكراماً . وأشد ما تكونين له موافقة ، يكن أطول ما يكون لك مرافقة . واعلمى أنك لا تصلين إلى ما تحبين حتى تؤثرى رضاه على رضاك . وهواه على هواك فيما أحببت وكرهت ، والله يخيّر لك .

* * *

---

(١) أى حزيناً .

● وأوصت أم ابنتها فقالت :

أى بُنية : لا تغفلى عن نظافة بدنك فإن نظافته تضئ وجهك . وتُحبّب فيك زوجك ، وتُبعد عنك الأمراض والعِلَل ، وتُقوّى جسمك على العمل ، فالمرأة التَّفِلةُ - أى النتنة - تمجها الطباع ، وتنبو عنها العيون والأسماع ، وإذا قابلت زوجك فقابليه فرحة مسرورة مستبشرة ، فإن المودة جسمٌ روحه بشاشة الوجه .

* * *

● وأوصت أم ابنتها ليلة زفافها قائلة :

لا أريد أن أخدعك يا ابنتى : إن حلاوة الزوجية تنتهى بنهاية الشهر الأول الذى لا تزال فيه الحقائق والأوهام غالبة فى تخيلات تلك الصبوة . فإذا تمنيت مزيداً من الحلاوة فى حياتك الزوجية فعليك بالنصائح الآتية :

١ - اجتهدى أن تُنَمّى فيك السجايا التى حببّتك إلى زوجك ، وجعلتك عزيزة فى عينيه يوم كنت آنسة . ولا تظنى أنك - وقد صرت زوجة - يجوز لك أن تُغَيّرى مظاهرك السابقة . واذكرى دائماً أن وظيفة الزوجة لا تبتدىء وتنتهى فى مخدعها .

٢ - لا تُسَلّمى لأحد فى دعواه أنه يفهم زوجك أكثر منك ، حتى ولا لأُمك التى هى أنا . لا تُصغى للذين ينتقدون زوجك بحجة النُصح له ، فإنهم أعدى أعدائك .

٣ - إذا عرفت خطأ لزوجك أو شعرت بقصور منه فإياكِ أن تؤنبيه أو تعظيه ، لئلا تعتدى على حقّ هو لأبويه أو لأخيه الأكبر .

٤ - تيقنى أنك لا تقدرين على محاربة الرجل بسلاحه - قوته فى لفظه وكفه وعناده - لأنه ثقيل فى يدك النضيرة . وإنك لتتعبين من حمله .. وسيريك الزمان أن أسلحة المرأة الماضية - أى الحادة - هى الجمال والاستسلام والحلم واللطف والسكينة والاتكال ، والخجل والبكاء . ولعلك تظنينها أسلحة ضعيفة . ولكن أؤكد لك إنها إذا شحذتها الحمْية والأمانة كانت ماضية جداً . كافية لأن تُدمّث الطباع الخشنة ، وتُخَفّض من غلواء الرجل ، وتحط من كبريائه حتى يجثو أمامك خاضعاً .

٥ - لا تُعَظّمى المصائب فى بيتك ، ولا تستسلمى للحزن والأسى بعد وقوع النازلة ، يكفى زوجك جهاده خارج المنزل ، فعليكِ أن تخلقى التعزية والسرور له داخل البيت ، فبُشى له على أى حال . واستقبليه بكل ابتسامة تُنبئ عن متسع الأمل . وتحيى الرجاء فى النفس ، وتُوقظ الحِمَيَّة فى أعماق القلب .

٦ - تحاشَىْ أن تستطلعى أسرار ماضى زوجك [١] . فقد انقضى ، وفى وقوفك عليه ما يُنَغِّص عيشك . ويجعل هناءك شقاء . ولا تنسى أن زوجك إنسان لا ملاك .

٧ - ارفقى بجيب زوجك ، فلا تستنفدى نقوده لاقتناء الحلى والحُلل . وعليك أن تكتفى بما تمس الحاجة إليه من ذلك . أما ما زاد عنه فيعد إسرافا لا مسوغ له ، والكساء البسيط بهندام حسن يدل على سلامة ذوق السيدة ونبلها .

٨ - احترمى عواطف بعْلِكَ ، وتسلمى مواضع حاجاته ، وبادرى إلى قضائها قبل أن يطالبك بها . حبّبى إلى نفسك حِرفته . فإذا كان من أهل الأدب مثلاً فرتبى أوراقه ومكتبه . ونظفى أقلامه وأدواته . وإن كان طبيباً فافعلى ما يرضيه من ذلك وتولّى هذا العمل بنفسك ، لأن الخدم لم يُكَلَّفوا حب سيدهم .

٩ - اعتنى باختيار صديقاتك ، فبالنظر إليهن يحكم العالم على مكانتك ، ولا تُطْلِعى صديقة لك على كل شئ من دخائل منزلك ، مهما بلغت منزلتها عندك ، ولا سيما ما يتعلق منها بعيب أو نكبة .

١٠ - حينما تجلسين إلى المائدة ، اجتهدى أن تكونى فى أوضح مظاهر البهجة والسرور ، لأن الوجه العابس يعوق الهضم ويُفسده ، وفساده داع إلى اعتلال الصحة .

---

(١) أى التى تكرهينها منه ، أى لا تفتشى عن عيوبه .

١١ - كونى للزوجات نموذجاً صالحاً ؛ فأحبى ، وشَّجعى - وعَزِّى . واحتملى، وسامحى ، واحترمى . ترى نفسك فى السبيل الذى يُفضى بالزوجة إلى السعادة والهناء .

* * *

• وأوصت أمريكية ابنتها فكان فيما قالته :

١ - لا يبرح من ذهنك أنك تزوجت بإنسان لا بكائن فوق البشر ، فلا تأخذك دهشة مما ترينه فيه من النقص والعيب .

٢ - قد يكون زوجك بلا قلب ، ولكن له على كل حال معدة يجب إرضائها بتهيئة ما تشتهينه من الأطعمة .

٣ - اتركى له من آن إلى آخر الكلمة الأخيرة والقول الفصل .. ففى هذا ما يسره ولا يضرك .

٤ - كونى معه على أدب دائماً . وتذكرى أنه هو خطيبك الذى كنت تنظرين إليه كمن هو أرقى الكائنات . وأنه لا مسوغ لتغيير وجهة النظر بعد الزواج .

٥ - دعيه يعتقد - من آن إلى آخر - أنه أكثر منكِ علماً وأغزر معرفة ، فإن فى هذا الاعتقاد ما يَسُرُّه ويُرضى عواطفه - باعتبار كَونه رجلاً .

٦ - احترمى آله وخصوصاً والدته التى أحبها قبل أن يحبك [١] .

* * *

• وصية أخ :

وأوصَى أخ أخته عند زواجها ، وقد فقدت والديها قائلاً : أختى .. كل المهابة والإجلال والخوف والحب الذى يظهر منك لنا .. عليك أن تحوِّليه إلى زوجك فله أعظم الإجلال والمهابة والحب والخوف كذلك . والله يُسَدِّد خُطاكِ ويُوفِّقكِ .

* * *

(١) سعادة الزوجين : جـ١ ص ٢١ - ٢٣ و ١٤ - ١٧ .

آداب قضاء الوطر

• المداعبة :

من سنن الإسلام مداعبة الزوجة ، والمرح معها وملاعبتها ، فقد كان رسول الله ﷺ يمزح مع نسائه ، وينزل إلى درجات عقولهن فى الأعمال والأخلاق ، حتى روى النسائى وأبو داوود وابن ماجه أنه كان يُسابق عائشة فى العَدو ، فسبقته يوماً ، ثم سبقها فى بعض الأيام فقال : « هذه بتلك » .

وقال عمر بن الخطاب - بالرغم من خشونته المعروفة - : « ينبغى للرجل أن يكون فى أهله مثل الصبى ، فإذا التمسوا ما عنده وُجِدَ رجلاً » .

وفى الصحيحين من حديث جارية بن وهب الخزاعى : « ألا أخبركم بأهل النار ؟ كل جَوّاظ عُتلّ مستكبر » ، وفى رواية لأبى داوود : « لا يدخل الجنة الجَوّاظ ولا الجعظرى » أى الشديد على أهله ، والمتكبر فى نفسه ، وفى حديث النبى ﷺ لجابر : « هلاً بكراً تلاعبها وتلاعبك » .

ولكن التوسط فى المداعبة خير ، كالتوسط فى كل الأمور .

ويُستحب أن يبدأ باسم الله تعالى ، ويقرأ : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ أولاً ، ويُكَبِّر ويُهَلِّل . ويقول : باسم الله العلى العظيم ، اللّهم اجعلها ذرية طيبة إن كنت قَدَّرْتَ أن تُخرج ذلك من صلبى .

وقال عليه الصلاة والسلام فيما يرويه الشيخان عن ابن عباس : « لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال : اللّهم جَنِّبنى الشيطان وجنِّب الشيطان ما رزقتنا ، فإن كان بينهما ولد لم يضره الشيطان » .

وإذا قربت من الإنزال فقل فى نفسك ولا تحرك شفتيك : الحمد لله ﴿ الَّذِى خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَراً فَجَعَلَهُ نَسَباً وَصِهْراً ، وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيراً ﴾ (١)

---

(١) الفرقان : ٥٤

ثم ينحرف عن القبلة ولا يستقبل القبلة بالوقاع إكراماً للقبلة .

ثم إذا قضى وطره فليتمهل على أهله حتى تقضى أيضاً نهمتها . فإن إنزالها ربما تأخر فيهيج شهوتها ... ثم القعود عنها إيذاءً لها . والاختلاف فى طبع الانزال يُوجب التنافر مهما كان الزوج سابقاً فى الإنزال ، والتوافق فى وقت الانزال ألذُّ عندها ، وليشتغل الرجل بنفسه عنها فإنها ربما تستحى .

وينبغى أن يأتيها فى كل أربع ليال مرة إن كان فيه قوة لذلك ، فهو أعدل ، إذ عدد النساء أربع ، فجاز التأخير إلى هذا الحد ، نعم .. ينبغى أن يزيد أو ينقص بحسب حاجتها فى التحصين . فإن تحصينها واجب عليه ، وإن كان لا يثبت المطالبة بالوطء . فذلك لعسر المطالبة والوفاء بها .

قيل : ويَكره له الجماع فى ثلاث ليال من الشهر العربى : الأولى والأخيرة والنصف . رُوِىَ ذلك عن علىٍّ ومعاوية وأبى هريرة .

وأقول : ليست فتوى الصحابى حجة شرعية ملزمة إذا لم يسندها إلى رسول اللهﷺ عند الجمهور .

قال الغزالى : ومن العلماء من استحب الجماع يوم الجمعة وليلته تحقيقاً لأحد التأويلين من قوله ﷺ « رحم الله من غَسَّلَ واغتسل » .

ويكره الجِماع فى أول اللّيل حتى لا ينام على غير طهارة . فإن أراد النوم أو الأكل فليتوضأ أولاً وضوء الصلاة ؛ فذلك سنة . روى الشيخان فى صحيحيهما أن عمر سأل رسول الله ﷺ : أينام أحدنا وهو جُنُبٌ ؟ قال : « نعم . إذا توضأ » . ولكن قد وردت فيه رُخصة . قالت عائشة رضى الله عنها : « كان النبى ﷺ ينام جُنُباً لم يمس ماء » .

ومهما عاد إلى فراشه . فليمسح وجه فراشه ، أو لينفضه ، فإنه لا يدرى ما حدث عليه بعده .

أقول : وما قاله الغزالى يجعل قوله : « يُكره الجِماع فى أول الليل » لعله

النوم على غير طهارة ، وهو منقوض بفعل النبى ﷺ وقوله . وبالرغم من أن البيهقى نقل الطعن فى حديث عائشة إلا أنه قال : إنه صحيح من جهة الرواية .

ثم قال الغزالى : « ولا يأتيها فى المحيض ، ولا بعد انقضائه وقبل الغُسْلِ ، فهو مُحَرَّم بنص الكتاب . وقيل : إن ذلك يُورث الجُذام فى الولد » .

والعلم الحديث أثبت أضراراً جسيمة تتعرض لها المرأة والرجل إذا التقى ختاناهما فى الحيض أو النفاس .

كما أن إزالة غشاء البكارة قد يصحبه تسرب بعض الميكروبات إلى الدم ، مما يؤدى إلى إصابة الصمامات التالفة بالالتهاب الخبيث [1] . وما جرى عليه العوام من إزالتها بالأصبع بوحشية عمل غير اسلامى .

ثم قال الغزالى : « وله أن يستمتع بجميع بدن الحائض ، ولا يأتيها فى الدبُّر فهو أشد تحريماً من إتيان الحائض » وقوله تعالى :﴿ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ ﴾ [2] يعنى : أى وقت شئتم . وله أن يستمنى بيدها [3] . وأن يستمتع بما تحت الإزار بما يشتهى سوى الوقاع (أى الجماع) . وينبغى أن تَتَزر المرأة بإزار من حِقْوِها (أى الخِصر) إلى ما فوق الركبة ، أو ترتدى سراويل (بنطلون) فى حالة الحيض ، فهذا من الأدب . وله أن يؤاكل الحائض ويخالطها فى المضاجعة وغيرها . وليس عليه اجتنابها .

أقـول : ويأثـم مـن أتى امـرأة فى فتحة الشرج ، وتأثم هى كذلك إن رضيت

---

(١) المارس العام مجلد ٢ عدد ٣ تصدرها نقابة الأطباء والجمعية الطبية المصرية .
(٢) البقرة : ٢٢٣ .
(٣) وأرى أن فى وسائل إفراغ الشهوة الكثيرة كالمفاخذة ما هو أقرب للفطرة من الاستمناء باليد .

بذلك ، ولكنها لا تُطلَّق ، كما هومفهوم العوام ، ولم يخرج بعمله من الاسلام ما لم يستحل ذلك بعد علمه بالتحريم ، بل هو مذنب وعليه أن يستغفر الله ، وفعله شذوذ فى العلاقة الجنسية وعقوق لحق الأنثى .

ثم قال الغزالى : « وإن أراد أن يُجامع ثانياً بعد أخرى . فليغسل فرجه أولاً ، تنشيطاً لنفسه ، وان احتلم فلا يُجامع حتى يغسل فَرجه أو يبول .

ومن الآداب ألا يعزل . بل لا يسرح إلا إلى محل الحرث ، وهو الرحم ، فما من نسمة قدَّر الله كونها إلا وهى كائنة - كما قال رسول الله ﷺ - فإن عزل نفسه عند الإنزال فقد ضيَّع على نفسه ثواب الولد يُربيه ليُجاهد فى سبيل الله »[1] .

ومن الآداب ألا يتحدث أحد الزوجين جهاراً بما فعلاه سراً : أخرج مسلم وأبو داوود وغيرهما من حديث أبى سعيد الخدرى عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إن من شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يُفضى إلى امرأته وتُفضى إليه ثم ينشر أحدهما سر صاحبه » .

وروى أحمد عن أسماء بنت يزيد أنها كانت عند رسول الله ﷺ والرجال والنساء قعود عنده فقال : « لعل رجلا يقول ما فعل بأهله . ولعل امرأة تُخبر بما فعلت مع زوجها » فأرمَ القوم (أى سكتوا) فقلت : أى والله يا رسول الله .. إنهم ليفعلون ، وإنهن ليفعلن ، قال : « فلا تفعلوا ، فإنما مثل ذلك مثل شيطان لقى شيطانة فغشيها والناس ينظرون » .

* * *

أمثلة من ليالى الزفاف

• فى بيت عبد الله بن وداعة :

كان عبد الله بن وداعة ممن يتلقون العلم عن الإمام سعيد بن المسيَّب ، وحدث أن تأخر عن الدرس أياماً فسأله الإمام عن سبب تخلفه ، فقال : توفيت زوجتى

(١) الإحياء : كتاب آداب النكاح جـ ٤ ص ١٤٩ - نشر : الثقافة الاسلامية .

فشُغِلتُ بأمرها ، فلما انتهى الدرس وهَمَّ عبد الله بالانصراف ناداه الإمام سعيد:

- هل تزوجت يا عبد الله بعد وفاة زوجتك ؟

عبد الله : يرحمك الله تعالى ، ومن يُزَوِّجنى وما أملك إلا درهمين أو ثلاثة؟

سعيد : أنا أُزَوِّجك ... زوَّجتك ابنتى - فلانة - التى رفضتُ تزويجها الأمير الأموى « الوليد بن عبد الملك بن مروان » على صداق قدره كذا ، تدفعه إن رُزِقْتَ ذلك بمشهد إخوانك هؤلاء . فهل قبلت ؟

عبد الله : نعم قبلت زواجها .

وانصرف عبد الله إلى منزله يتناول طعام الإفطار خبزاً وزيتاً حيث كان صائماً ، وإذا بالباب يُقرع . فنهض عبد الله يفتح للطارق ، فإذا هو أستاذه سعيد بن المسيب .

عبد الله : يا أبا محمد . لو أرسلت إلىّ لأتيتُك ؟

سعيد : بل أنت أحق أن أسعى إليك . إنك كنت رجلاً عزباً فتزوجت ، ها هى ذى امرأتك .

فأخذ سعيد بيدها إلى داخل بيته .. وجلس الثلاثة فى فرح يتجاذبون أطراف الحديث بعض الوقت ، ثم انصرف سعيد . ودخل عبد الله على زوجته فإذا هى أجمل الناس وأحفظهم لكتاب الله ، وأعلمهم بسنة رسول الله ﷺ وبحقوق الزوجية . وما إن أسفر الصبح حتى نهض عبد الله يريد أن يخرج . فقالت زوجته : إلى أين ؟

عبد الله : إلى مجلس أبيك .. أتعلم العلم !

فقالت : اجلس أُعَلِّمُك علم سعيد .

فمكث « عبد الله » على هذا شهراً لا يحضر حلقة العلم . ثم حضرها .

وسأله سعيد : ما حال هذا الانسان ؟ - يريد الزوجة .

عبد الله : بخير يا أبا محمد ، على ما يُحب الصديق ويكره العدو .

سعيد : إن رأيت منه أمراً فأدبه .

ثم انصرف كُلٌ إلى منزله . وما كاد يستقر عبد الله فى داره حتى جاءه إنسان من قِبَلِ والد الزوجة ، يحمل هبة مالية ليستعين بها على معيشته مع زوجه .

وهكذا دون إرهاق وعنت دخل ابن وداعة على زوجته : ابنة سعيد بن المسيِّب عالم عصره الذى لم يخش أن يقول لعبد الملك بن مروان حين خطب اليه ابنته : تحية لأمير المؤمنين . ولكن ابنتي سيكون لها رجل آخر » .

* * *

• فى بيت شريح القاضى الفقيه :

تزوَّج شريح بزينب ابنة جرير إحدى نساء بنى حنظلة وحدَّث شريح عن نفسه قائلا :

« فلو رأيتنى - يا شعبى - وقد أقبل نساؤهم يهدينها حتى أُدخلت علىّ ؟ فقلت إنَّ من السُّنة إذا دخلت المرأة على زوجها أن يقوم فيصلى ركعتين ، فيسأل الله من خيرها . ويعوذ به من شرها قائلا : « اللهم إنى أسالك خيرها وخير ما جبلتها (أى طبعتها) عليه . وأعوذ بك من شرها وشر ما جبلتها عليه » ، فصليت وسلمت . فإذا هى من خلفى تُصَلّى بصلاتى . فلما خلا البيت ودنوت منها ، ومددت يدى إلى ناحيتها قالت : على رِسلك يا أبا أمية ، كما أنت . ثم قالت : « الحمد لله . أحمده وأستعينه ، وأصلى على محمد وآله ، إنى امرأة غريبة . لا علم لي بأخلاقك ، فبيِّن لى ما تُحب فآتيه ، وما تكره فأبتعد عنه . وقالت : إنه قد كان لك فى قومك منكح [1] ، وفى قومي مثل ذلك . ولكن إذا قضى الله أمراً كان . وقد ملكتَ فاصنع ما أمرك الله به : إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان . أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولك » .

---

(١) مجال للزواج .

وقال شريح : فأحوجتنى والله - يا شعبى - إلى الخطبة فى ذلك الموضع فقلت :

« الحمد لله ، أحمده وأستعينه ، وأصلى وأسلم على النبى وآله ، وبعد .. فقد قلتِ كلاماً إن تثبتى عليه يكن ذلك حظك ، وإن تدَعيه يكن حجة عليك .. أحب كذا ، وأكره كذا . ونحن سواء فلا تفرقى .

وما رأيت من حسنة فانشريها . أو سيئة فاستريها .

قالت : وكيف محبتك لزيارة الأهل ؟

شريح : ما أحب أن يملّنى أصهارى .

قالت : فمن تحب من جيرانك أن يدخل بيتك آذن له ، ومن تكرهه أكرهه ؟

شريح : بنو فلان قوم صالحون ، وبنوفلان قوم سوء .

قال شريح : فبتُ - يا شعبى - بأنعم ليلة . ومكثت معى حولا لا أرى إلاَّ ما أحب ، فلما كان رأس الحول جئت من مجلس القضاء ، فإذا بعجوز تأمر وتنهى فى البيت . قلت : من هذه ؟

قالوا : فلانة ختِنك [1] . فسُرّى عنى ما كنت أجد .

فلما جلست أقبلت العجوز وقالت : السلام عليك يا أبا أمية .

قلت : وعليكِ السلام . من أنت ؟

قالت : أنا فلانة ختِنك .

قلت : قرّبك الله .

قالت : كيف رأيت زوجتك ؟

قلت : خير زوجة .

فقالت : يا أبا أمية : إن المرأة لا تكون أسوأ حالاً منها فى حالتين : إذا

---

(١) أى : حماتك .

ولدت غلاماً أو حظيت عند زوجها . فإن رابك ريب فعليك بالسوط ، فو الله ما حاز الرجال فى بيوتهم شراً من المرأة المدللة .

قلت : أما والله لقد أدبتِ فأحسنتِ الأدب ، ورُوِضّتِ فأحسنتِ الرياضة .

قالت : تحب أن يزورك أختانك ؟ [1] .

قلت : متى شاءوا ..

قال شريح : فكانت تأتينى فى رأس كل حول تُوصينى تلك الوصية ، فمكثت معى عشرين سنة ، لم أعتب عليها فى شئ إلا مرة واحدة كنت لها ظالما .

* * *

• ما ينبغى تجنبه :

ولا يجوز أن تكون العروس فى زينتها يبدو منها ما لا يحل للآخرين ، فيراها الآخرون .. وكأن الله قد أسقط تشريعاته فى حدود العورة للأجانب هذه اللّيلة .

كما لا يجوز أن تُقام الولائم للأغنياء ولا يُشارك فيها الفقراء ، وتكره الاستدانة من أجل المظاهر الكاذبة .

والمشاركة من الأهل والأصدقاء فى الوليمة والمهر عمل مشروع إذا رضيه الزوج، وإلا فإن مَنْ فى طبعه الاستعلاء على الهدايا يعتبر ذلك قاصمة الظهر، ومذلة العمر. فعلى صحبه أن يترفعوا عن ذلك ولا يحرجوه ، و الا فالأصل التضامن .

وروى أحمد - بإسناد حسن - حديث ربيعة الأسلمى قائلا : كان ربيعة الأسلمى قد انقطع إلى رسول الله ﷺ يخدمه ويبيت عنده لحاجة طرقته ، فقال له رسول الله ﷺ : ألا تتزوج ؟ فقال : يارسول الله ، إنى فقير لاشىء لى وأنقطع عن

---

(١) الأختان : أقارب الزوجة .

خدمتك . فسكت ثم عاد ثانياً . فأعاد الجواب . ثم تفكَّر الصحابى وقال : والله لَرَسول الله ﷺ أعلم بما يصلحنى فى دنياى وآخرتى وما يُقَرِّبنى إلى الله منى . ولئن قال لى الثالثة لأفعلن . فقال له الثالثة : آلا تتزوج ؟ قال : فقلت : يارسول الله ، زوجنى . فقال : اذهب إلى بنى فلان فقل : إن رسول الله ﷺ يأمركم أن تزوجونى فتاتكم . فقال : فقلت : يارسول الله : لاشىء لى . فقال لأصحابه : اجمعوا لأخيكم وزن نواة من ذهب . فجمعوا له . فذهبوا به إلى القوم فأنكحوه فقال له : أوِلمْ ، وجمعوا له من الأصحاب شاة للوليمة . (نواة الذهب عملة زنتها خمسة دراهم).

كما يُكره أن يُقَدِّم الزوج لزوجتة عند الوقاع نقوداً أو حلياً (حلواناً) لإزالة البكارة أو لمضاجعتها أول مرة ، كما هى عادة بعض السفلة حتى لا يشبه ذلك الزنا .

فليأخذ الزوج عروسه بالمداعبة حتى يسلس له قيادها ويضاجعها برفق متلطفاً بها ، ويظن غير المجربين أن الموضع مسدود بغشاء البكارة وأنه لا يمكن أن يُزيله بالطريق الطبيعى الذى يتم به اللقاح فى كل ما خلق الله . والواقع أنه يولج دون أن يعلم أن فتحة المكان تميل الى أسفل البطن وهى غير فتحة البول الضيقة . وعليه أن يلاحظ ذلك ، فعندئذ لايجد إنسداداً وما دخل الرفق فى شىء إلا زانه ، ولا خلا من شىء إلا شانه ، وممارسة الجنس لأول مرة تجربة كأى تجربة يلعب فيها الحظ دوره ، فقد يُوَفَّق الرجل فى التجربة ويعرف السبيل المفضي إلى تحقيق غرضه من أول محاولة ، وقد تتكرر المحاولات أسبوعاً أو أكثر - ولكنه سيصل إلى غرضه ، لأن هذه التجربة ييسرها أنها استجابة للفطرة.. ومطلب يتضافر على تحقيقه الطرفان فى رغبة صادقة

ولا أصل لرهبة الموقف التى تعترى كُلاً من العروسين فهى رهبة ليس لها أصل إلا الأوهام .. التى سرعان ما تتبدد عندما يخلو العروسان إلى أنفسهما ويسكن ضجيج الأقارب والأصدقاء بعودة كُلٌ إلى بيته

ولا داعى للقلق بأى حال .. وما دام هناك تلطف ورفق ومداعبة للزوجة حتى ترضى ، فإن الأمر يكون هيناً لا يصحبه الضجيج والصراخ الذى لا ينشأ إلا عن الاستكراه.

ومع تكرار الممارسه يتم زوال غشاء البكارة شيئاً بعد شيء دون آلام .. وفى أمن من أخطار النزيف الذى ينشأ عن إزالتها بغير أسلوب الفطرة .

وما عليه العامة من فض البكارة بالأصبع ، ثم إعلان دم البكارة على ثوب أبيض يُعلق أو يُنشر على الناس.. ليس من الإسلام . ويجافى تقاليده الكريمة .

وإنما تُعد « منشـــفة » أو أى خرقة لتنظيـف المـكان من الإفـرازات المنـوية ، تُوارَى عن الأعين ، وتُغسل وتُحفظ فى سِتر ، سواء فى ليلة الزفاف أو فى اللّيالى الأخرى .

* * *



الفصل الخامس

حُقُوق الزَّوجْ
أوْ
وَاجبَاتُ الزَّوجَة

● الواجبات الزوجية .

● واجبات على الزوجة .

- الطاعة للزوج .
- عدم الخروج من البيت إلا بإذن الزوج .
- تربية الأولاد .
- القناعة والحرص على مال الزوج .
- قصقص طيرك .
- الاقتصاد .
- صور من الحياة الاقتصادية .
- الخدمة في الدار .
- التزين للزوج .
- النظافة .
- حسن الخلق .
- ترضية الزوج عند الغضب .
- حسن معاشرة أهل الزوج .
- احترام مشاعر الزوج .
- شكر الصنيع .
- الوفاء للزوج .
- الإحداد على الزوج .
- العفة والأمانة .
- كيف نحافظ على عفاف المرأة .



الواجبات الزوجية

الحق أن كلمة « حقوق الزوج » لا يجوز أن يأخذها الزوج المأخذ الجاف ، فذلك يجعل المرأة فى موقف المحاسبة والمؤاخذة .. وهو موقف تضيق به النفوس ضيقاً قد يؤدى إلى الانفجار . وهكذا قل فى كلمة « حقوق المرأة على زوجها » . ولو أننا استبدلنا بهذه الكلمة التقليدية فى هذه الدراسة كلمة « الواجب » لكانت أخف على النفس .

فالحياة الزوجية شركة ، رأس مالها الحب ، منه الإنفاق ، وهو مادة التعامل .. وهو حب فى الله ، وفى مرضاته .. وما كان لله دام واتصل، وما كان لغيره انقطع وانفصل .

فبدافع الحب فى الله يحلو للمرأة أن تعمل كل ما يُرضى الزوج ، وتساعده على الارتقاء فى مدارج التُقَى ، وعلى التخلص من الشيطان ووساوسه.

وبدافع من الحب كذلك يكدح الرجل ويُرضى زوجته ، ويعمل على الارتقاء بها فى مدارج التُقَى ، ويعصمها من انفتاح قلب أو جارحة على خطيئة .. إنهما التقيا على الإسلام، وتزوجا على سنة رسول الله ﷺ وهنا الرسول ﷺ يقول : « لايؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يُحب لنفسه » فإذا أحب المرء لنفسه الراحة واللّذه والأمن والغِنَى والكرامة والاحترام والمعونة الصادقة فى شئون الدنيا والآخرة . بل وأحب من يؤثره على نفسه .. فإنه يحب كذلك أن يمنح الآخرين - وفى مقدمتهم زوجه أو زوجته - كل هذه الرغائب من الراحة إلى درجة الإيثار .

فى ظل الحب لا تكون المشكلات ولا يُستثقل عمل ، ولاتضيق نفس بواجب ، وفى ظل الإيمان بالله مُنَزِّل الوحى على رسوله يكون التزام وصايا الله فى الحياة الزوجية طاعة لله ، والقيام بالواجب - واجب الزوجة نحو الزوج والزوج نحو

الزوجة - عمل عبادى يُسترضَى به الله . فالنهوض به إنما يكون فى رضا وإخلاص ، لا رغباً ولا رهباً من زوج أو زوجة .

من منطلق الحب .. ومنطلق الإيمان بأن آداب الحياة الزوجية المشروعة للزوجين ، إنما هى واجبات لله قبل أن تكون واجبات لأحد الزوجين .. تزدهر السعادة فى البيت ، وعندما تختلف صور الواجبات أحياناً بالنسبة لكل من الرجل والمرأة فذلك ناشىء عن الاختلاف الذى جعله الله فى طبيعة كل من النوعين : الذكر والأنثى ، فالقوة البدنية ومتانة الأعصاب ، ورجحان العقل ، واتزان العاطفة ، وما إلى ذلك من خصائص الرجولة جعل على الرجل أعباء وواجبات من نوع خاص .

والعواطف السيابة ، والمشاعر الملتهبة ، والخيال الواسع ، والضعف والرقة والحمل والأمومة وحاجة الطفل إليها مدة طويلة . وأعراض العادة الشهرية ، وما إلى ذلك من خصائص للأنوثة .. كل هذا جعل للمرأة مسئوليات من نوع خاص ، واستوجب لها حقوقاً تقابلها كذلك .

وشأن الله فى التاريخ والحياة كلها ، وفيما بثه على الأرض من دابة أن تكون أعباء الحياة موزعة بين الزوجين الذكر والأنثى، بل وأصبح من البدهيات المحسوبة فى قوانين النجاح أن توزع الاختصاصات ، وتحدّد المسئوليات ، ولا يبغى أحد على الآخر ، ولا تُنتقص كرامة واحد إلا بالخروج عن دائرته ، أو التقصير أو التجاهل لحدود الله التى وضعه فيها ، ﴿ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ﴾ (١) .

ويمكن أن نتناول هذا فيما يلى :

---

(١) الطلاق : ١ .

واجبات على الزوجة

• الطاعة للزوج :

يجب على الزوجة إطاعة زوجها فيما يأمرها به سراً وعلانية . حتى تكون قد قامت بما يقتضيه عهد الزواج، لأن الطاعة مجلبة للهناءة والرضاء ، والمخالفة تولِّد الشحناء والبغضاء ، وتُوجب النفور وتُفسد عواطف الإخاء ، وتنشيء القسوة فى قلوب الآباء .

وما من امرأة نبذت طاعة زوجها إلا حَلَّ بها الشقاء ولحقها البلاء . وكلما زادت طاعة الزوجة لزوجها ازداد الحب والولاء بينهما، وتوارثه أبناؤهما ، لأن الأخلاق المألوفة إذا تمكنت صارت ملكات موروثة ؛ يأخذها البنون عن آبائهم والبنات عن أمهاتهن .

وقد حَثَّ عليها النبى ﷺ بقوله : « ثلاثة لا تمسهم النار : المرأة المطيعة لزوجها ، والولد البار بوالديه ، والعبد القاضى حق الله وحق مولاه » فانظر ذلك الترتيب فى ذكر الثلاثة الناجين من النار .

وقال عليه الصلاة والسلام لأم المؤمنين « أم سلمة » : « إذا أدَّت المرأة فريضة ربها وأطاعت زوجها ، وحركت المغزل كانت كأنها تُسَبِّح الله » .

وقال أيضا : «جهاد المرأة حسن التبعُّل » .. أى إطاعة البعل والتزين له .

وقيل له : أى النساء أفضل ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : « التى تطيع زوجها إذا أمر ، وتسره إذا نظر » .

وجاء بالمادة ٤١٤ من الأحكام العبرية : « متى خرجت الزوجة من بيت أهلها، ودخلت بيت زوجها ، صار له عليها حق الطاعة التامة والامتثال الكامل ، فعليها ألأ تخالفه فى شيء مما يطلبه منها . بل تُذعن له كما تُذعن الجارية لسيدها » .

وفى العدد ٢٢ من الإصحاح الخامس من رسالة بولس الرسول إلى أهل أفسس : « أيها النساء .. اخضعن لرجالكن كما للرب ، لأن الرجل هو رأس المرأة كما أن المسيح هو رأس الكنيسة » .

وفى رسالة بطرس الرسول الأولى من الاصحاح ٣- العدد الأول : « كذلكن أيتها النساء : كن خاضعات لرجالكن كما للرب » .

ورُوِىَ أن أسماء بنت يزيد الأنصارى (رضى الله عنهما) أتت إلى النبى ﷺ وهو بين أصحابه فقالت : يارسول الله ، إنى وافدة النساء إليك ، إنَّ الله بعثك بالحق للرجال وللنساء . فآمنا بك واتبعناك . وإنَّا - معشر النساء - محصورات . قواعد بيوتكم . وحاملات أولادكم . وأنتم معشر الرجال- فُضِّلتُم علينا بالجُمع والجماعات ، وعيادة المرضى ، وشهادة الجنائز ، وأفضل من ذلك الجهاد فى سبيل الله تعالى ، وإن الرجل إذا خرج حاجّا أو مرابطاً . أو معتمراً ، حفظنا لكم أموالكم، وغزلنا لكم أثوابكم ، وربينا لكم أولادكم . أفما نشارككم فى هذا الخير والأجر يارسول الله ؟

فالتفت ﷺ بوجهه الكريم إلى أصحابه ثم قال : هل سمعتم مقالة امرأة أحسن من هذا عن أمر دينها ؟ فقالوا : يارسول الله ، ما ظننا امرأة تهتدى إلى مثل هذا .

فالتفت النبى ﷺ إليها ثم قال : « انصرفي أيتها المرأة ، وأعلمى من خلفك من النساء : أن إطاعة الزوج - اعترافاً بحقه - يعدل ذلك وقليل منكن من يفعله » .. (أخرجه البزار والطبرانى) .

فانصرفت وهى تُهلِّل حتى دخلت إلى نساء قومها من العرب . وعرضت عليهن ما قاله رسول الله ﷺ ففرحن وآمن جميعهن . وسُميت أسماء : رسول نساء العرب إلى النبى ﷺ .

وقال الإمام الغزالى فى حق الزوج على زوجته : « فعليها طاعة الزوج مطلقاً

فى كل ما طَلبَ منها فى نفسها مما لا معصية فيه . وقد ورد فى تعظيم حق الزوج عليها أخبار كثيرة .

وأضاف النبى ﷺ طاعة الزوج إلى مبانى الإسلام (أركانه الخمسة) ، وذكر النساء فقال : « حاملات ، والدات ، مرضعات رحيمات بأولادهن ، لولا مايأتين أزواجهن - دخل مُصَلّيَاتُهنَّ الجنة » ، وفى الصحيحين عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال : « اطلعت فى النار فإذا أكثر أهلها النساء » . فقلنا : لِمَ يارسول الله ؟ قال : « يُكثرون اللعن ويكفرن العشير » - يعنى الزوج المعاشر .

* * *

• عدم الخروج من البيت إلا بإذن الزوج :

عن ابن عباس وابن عمر : « أتت امرأة مــن خثعـم إلـى رسـول الله ﷺ فقالت : إنى امراة أيِّم [(١)] وأريد أن أتزوج ، فما حق الزوج ؟ قال : إن من حق الزوج على الزوجه إذا أراد فراودها عن نفسها وهى على ظهر بعير لا تمنعه ، ومن حقه ألا تُعطى شيئاً من بيته إلا بإذنه ، فإن فعلت كان الوِزر عليها والأجر له ، ومن حقه ألا تصوم تطوعاً إلا بإذنه ، فإن فعلت جاعت وعطشت ولم يُتقبل منها ، وإن خرجت من بيتها بغير إذنه لعنتها الملائكة حتى ترجع إلى بيته أو تتوب » .. (أخرجه البيهقى) .

ألا ما أجمل أن تسأل المرأة عن الواجب عليها قبل أن تسأل عن الحقوق .

وما أبدع كل حق من هذه الحقوق . فملكية ما فى البيت للمسئول عن القوت ومن المنطق ألا تمتد إلى شىء فى البيت يد إلا بإذن المسئول ، ومن المنطقى أن يكون صيام الزوجة لا مثوبة فيه ، لأنها لا تتعبد بالصوم إنما تحرض زوجها وتدفعه إلى الرذيلة إذا لم تطاوعه حين يراودها عن نفسها ، أو يطلب أن تكون

---

(١) الأيم : التى لا زوج لها .

علـى أهـبة الاستعداد ، وتحت طلبه ، ومن المنطقى أن تكون التى حرمت زوجها الأنس فى بيته مجرمة أوقعت رجلاً فى وحشة ، وفى شعور بالحرمان من شىء يحب ألا يقارفه ، وجريمتها هذه قمينة باستمطار لعنة الله والملائكة .

إن خروجها يهدد العش الآمن الدافىء المستقر الراضى .. بآلام المخاوف والقلق والطموح المرذول والريبة . وهذه هى معاول الهدم للسعادة الأسرية » .

ثم قال الإمام الغزالى : وقال ﷺ : « أقرب ما تكون المرأة من وجه ربها إذا كانت فى قعر بيتها ، وإن صلاتها فى صحن دارها أفضل من صلاتها فى المسجد ، وصلاتها فى بيتها أفضل من صلاتها فى صحن دارها ، وصلاتها فى مخدعها أفضل من صلاتها فى بيتها » .

والمخدع : بيت فى جوف البيت - وذلك الفضل للستر . لذلك قال عليه الصلاة والسـلام :« المرأة عورة ، فإذا خرجت استشرفها الشيطان ». (أخرجه الترمذي من حديث ابن مسعود وقال : حسن صحيح، وأخرجه ابن حبان أيضاً).

* * *

• تربية الأولاد :

ومن واجبات الزوجة تربية أولادها ، والحَدب على صغار زوجها إن كان له صغار من غيرها . تلمح هذا من ربط القرآن المرأة بابنها ورعايته منذ يولد إذ يقول : ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ، لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ ﴾ (١) ، وفى الحديث : « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ؛ فالأب راع وهو مسئول عن رعيته . والزوجة راعية وهى مسئولة عن رعيتها ». ولا رعية للزوجة إلا أبناؤها وما فى بيتها من مال .

وقد امتدح النبى ﷺ نساء قريش معلّلا فضلهن على غيرهن بأنهن : « أحناهن على ولد » .

---

(١) البقرة : ٢٣٣

فالمرأة التى تترك أولادها للخدم أو للشارع ، إنما ترمى فى الهاوية بمستقبلها وبمستقبل أبنائها، بل بمستقبل وطنها ومستقبل القيم الإنسانية ، ورحم الله شاعر النيل إذ يقول :

الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعباً طيب الأعراق

وكما قال نابليون بونابرت : « الأم تهز الطفل بيمينها فتثلُّ عروشاً بشمالها » .

إن الطفل يتعلم من أمه لغة قومه . ويتعلم منها كيف يتحدث .. فى صخب مزعج أو صوت خافت ، أم صوت معتدل ؟ بل ويتعلم ما يصحب ذلك من إشارات ووسائل للتوضيح . الأم التى تملأ البيت صراخاً إنما تصب فى هذا القالب المرذول من الصوت الصاخب أسلوب أبنائها فى الحديث ، والأم الصادقة التى تنكر ذاتها من أجل الغير تشوفاً لمرضاة الله وإيثاراً لما عنده ، تورث أبناءها هذه الصفة التى يحتاجها الوطن أشد الاحتياج . والأُم التى تحترم زوجها وتُقدِّر أهل الفضيلة والدين ، وتتحاشى الرذيلة وتنفر منها ومن صحبة أهليها ؛ تورث هذه العادة أبناءها وبناتها . فيشبون على الفضيلة نافرين من الرذيلة .. والأُم التى تحرص على النظافة فى نفسها وبيتها ، كما تحرص على ترتيب وتنظيم الأثاث وتنسيقه ، إنما تزرع هذه العادة فى أبنائها فلا يستثقلون أعباء النظافة والنظام ، لأنهم سوف لا يجدون لهم راحة ولا يهنأ لهم مقام إلاَّ إذا نهضوا إلى النظافه والنظام .

وذلك أن الأم لا ترضى لأبنائها أن يكونوا على غير أفضل صفات المكارم التى تحرص عليها ، وعلى تنشئتهم عليها كذلك . ولذا صح أن يُقال : إن الجنة تحت أقدام الأمهات ، بمعنى أن فى طاعتها والانصياع لنصائحها وتوجيهاتها اللّفظية والفعلية ما يوصل إلى الجنة .

ومن أجل مسئولية المرأة عن أولادها أبيح لكل من المرضع والحامل أن تُفطر إذا شعرت أن الصيام يُجهدها أو يُجهد الطفل .

وجعل النبى ﷺ كذب الأم عـلى الطفل جريمة بالرغم من تسميتها « أكذوبة » أو « كذيبة »

وما أجمل تعويد الأطفال منذ نعومة أظفارهم على التشبث بالدين ، وعلى الصلاة فى أوقاتها ، وعلى تلاوة القرآن يومياً فى جَوٍّ طيب تصنعه الأم لتحبيب الطفل فى هذه التلاوة .

ومما يؤسف له أن المنظمات النسائية اليهودية تقوم بدور تحبيب الطفل فى دينه ، وتعويده تلاوة التوراة صباح مساء ، بينما كثير من الأمهات العربيات لايُحْسِنَّ تلاوة القرآن ، وربما كُنَّ لا يعرفن القراءة والكتابة مطلقاً !!

إن الأم هى معهد التربية الذى يتربى فيه الطفل . وإذا قيل : إن كل عظيم وراءه امرأة ، فتلك المرأه أكثر ما تكون هى الأم .. وأمامى الآن صورة لعظماء خالدين كانت الأم وراءهم ، وكان لهم فى عالم الفكر والتطوير السياسى والاجتماعى والدينى آثار جلى .

* * *

• القناعة والحرص على مال الزوج :

قال الإمام الغزالى (١) : وأهم حقوق الزوج على زوجته أمران ، أحدهما : الصيانة والستر ، والآخر : ترك المطالبه بما وراء الحاجة ، والتعفف عن كسبه إذا كان حراماً .

وقد هَمَّ رجل من السَلَف بالسفر ، فكره جيرانه سفره . فقالوا لزوجته : لِمَ ترضين بسفره ولم يَدَع لك نفقة ؟ فقالت : زوجى - منذ عرفته - عرفته أكّالاً وما عرفته رزّاقاً ، ولى رب رزّاق ، يذهب الأكّال ويبقى الرزاق .

---

(١) الاحياء جـ ٧ ص ١٨ - ٢٢- ط . دار إحياء الكتب العربية .

وهى سخية على زوجها سخاء خديجة أم المؤمنين .

وقد خطبت « رابعة بنت إسماعيل » أحمد بن أبى الحوارى ، فكره ذلك ، لما كان فيه من العبادة ، وقال لها : والله ما لى همة فى النساء لشغلى بحالى . فقالت : إنى لأشغل بحالى منك ، وما لى شهوة ، ولكن ورثت مالاً جزيلاً من زوجى فأردت أن تُنفقه على إخوانك . وأعرف بك الصالحين ، فيكون لى طريقاً إلى الله عز وجل ، فقال : حتى أستأذن أستاذى .

فرجع الى أبى سليمان الدارانى ، وكان ينهاه عن التزويج قائلا : ما تزوج أحد من أصحابنا إلا تغير . فلما سمع كلامها قال له : تزوج بها ، فإنها ولية لله . وهذا كلام الصدِّيقين .

قال أحمد : فتزوجتها . فكان فى منزلنا ركن من جِصّ ، ففنى من غسل أيدى المستعجلين للخروج بعد الأكل (أى الضيوف) فضلا عمن غسل بالأشنان [1] .

وقال : تزوجت عليها ثلاث نسوة فكانت تطعمنى الطيبات ، وتطيبنى وتقول : « اذهب بنشاطك وقوتك إلى أزواجك » .

وكانت رابعة هذه تشبه - فى أهل الشام - برابعة العدوية بالبصرة .

ومن الواجبات عليها ألا تُفرِّط فى ماله ، بل تحفظه عليه . قال رسول الله ﷺ : « لا يحل لها أن تُطعم من بيته إلا بإذنه إلا الرُّطبَ من الطعام الذى يُخاف فساده ، فإن أطعمت - عن رضاه - كان لها مثل أجره . وإن أطعمت - بغير إذنه - كان له الأجر وعليها الوزر » (أخرجه أبو داوود الطيالسى والبيهقى من حديث ابن عمر) .

---

(١) الأشنان بديل للصابون من الحشائش .

وأخرج أبو داوود : قالت امرأة : يارسول الله .. إنّا كَلٌّ على آبائنا وأبنائنا وأزواجنا . فما يحل لنا من أموالهم ؟ قال : « الرُّطَبُ تأكلنه وتهدينه » .

وفى صحيح مسلم عن عائشة : « إذا أنفقت المرأة من طعام بيتها - غير مفسدة - كان لها أجرها بما أنفقت ، ولزوجها أجره بما كسب » .

فالقول الجامع فى آداب المرأة من غير تطويل : أن تكون قاعدة في قمر بيتها ملازمة لمغزلها [١] . لا يكثر صعودها واطلاعها . قليلة الكلام لجيرانها . لا تدخل عليهم إلا فى حال يوجب الدخول . تحفظ بعلها فى غيبته . وتطلب مسرته فى جميع أمورها ولا تخونه فى نفسها وماله . ولا تخرج من بيتها إلا بإذنه ، فإن خرجت بإذنه فمختفية ، فى هيئة رثة ، تطلب المواضع الخالية ، دون الشوارع والأسواق ، محترزة من أن يسمع غريب صوتها ، أو يعرفها بشخصها ، لا تتعرف إلى صديق بعلها فى حاجاتها (حرصا على كرامته) . بل تتنكر على من تظن أنه يعرفها أو تعرفه . همها صلاح شأنها وتدبير بيتها ، مقبلة على صلاتها وصيامها .

قال المرحوم على فكرى [٢] : يجب ألا تطلب الزوجة من زوجها ما لا تمس الحاجة إليه من مأكل أو ملبس أو غيرهما . فقد قال سبحانه : ﴿ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعاً بِالْمَعرُوفِ ، حَقّاً عَلَى الْمُحْسِنِينَ ﴾ [٣] . فلا يسوغ لها أن تطلب إلاّ ما يكون فى طاقته . إذ بتكليفه ما لا يطيق تُسئ إلى نفسها بعد إساءتها إلى زوجها ، إذ تضعه فى مركز حرج لا تحيق نتائجه السيئة بغيرها .

وقد قال رسول الله ﷺ : « أعظم النساء بركة أقلهن مؤنة ».

وثق أحد دعاة الإسلام بزوجته الأمينة وثوقاً كبيراً ، وكان يسمع منها الحديث

---

(١) هذه لغة عصر الغزالى ، ولكل عصر آلاته وأعماله المنزلية .

(٢) سعادة الزوجين جـ ٢ ص ٩٨ .

(٣) البقرة : ٢٣٦

عن الغلاء كما يسمع عنه خارج المنزل .. وقد ترك لها تدبير المنزل حتى فى اقتصادياته .. وذات يوم طالبته بقروش لم تكن معه .. وقد اعتادت - بعد انتهاء المبلغ الذى اتفق عليه نفقات للبيت - أن تعود إليه فى أثناء اشتغاله بمكتبه ومطالعاته بالمنزل تطلب تكملة ، فكان لا يبخل ولا يناقش ، لكيلا يضيع الوقت ، ولثقته فى أمانتها .. وفى هذه المرة لم يجد معه ما تطلب فكان إعتذاره غير مقبول لديها ، ولا مقبول لدى أهلها ، مما أدى إلى الشقاق فالطلاق .

إنه رجل اعتاد ألا يمد يده للآخرين ، وكان يُحب أن يكون فى مرتبه كفاية ، خاصة وهو من ذوى المؤهلات العالية ، الذين يتمتعون ببعض الدخول الإضافية .. ولا سيما الدخل غير المنظور الذى يتمثل فى تخلصه من جميع «المكيفات» وأعباء السهرات خارج المنزل .

مع هذا كله ، عجز المرتب والدخل الإضافى والدخل غير المنظور عن الوفاء بمطالب الزوجة فاعتبر مقتراً .. وأرهق ، فكان المطلب البسيط جداً هو القشة التى قصمت ظهر البعير .

ولقد كان فى هذا الأسلوب ما جعل العلاقة الزوجية تنتهى بشر صورة . وما جعل الزوج يتصور امرأته (بالوعة) أو (أخطبوطاً) . وما جعله يخاف شر كل امرأة ، ولا يتخيل وجود الصالحة المستقيمة .. مما أشقاه شقاءً عطّل إنتاجه العلمى كثيراً ، حتى أشرق نور الرجاء فى الله .. فبدأ يفرك عينيه ليفتحهما على الأمل المرجو .

بل إن ضغط المرأة على زوجها بما يُرهقه قد يُعرِّضه إلى الكسب غير المشروع ، وهذا ما يقضى على مستقبله فى الدنيا والآخرة ، بل ومستقبلها هى وأولادها كذلك ، فالحاجة منزلق إلى الكفر والجريمة .

أخرج الترمذى فى صحيحه أن رسول الله ﷺ قال : « خذوا العطاء ما دام عطاء . فإن صار رِشوة على الدين فلا تأخذوه ، ولستم بتاركيه ، تضعكم الحاجة والفقر » .

وقال البيهقى فى الزهد : عن أبى هريرة عن النبى ﷺ أنه قال : « يأتى على الناس زمان لا يسلم لذى دين دينه ، إلا من هرب بدينه من شاهق إلى شاهق ، ومن جحر إلى جحر . فإن كان ذلك لم تُنَل المعيشة إلا بسخط الله ، فإذا كان ذلك كذلك كان هلاك الرجل على يد زوجته وولده ، فإن لم يكن له زوجة ولا ولد كان هلاكه على يد أبويه ، فإن لم يكن له أبوان كان هلاكه على يد قرابته أو الجيران » . قالوا : كيف يارسول الله ؟ قال : « يُعيِّرونه بضيق المعيشة ، فعند ذلك يُورد نفسه الموارد التى يُهلك فيها نفسه » .

ومن هنا فقد كان من أدب نساء السَلَف رضى الله عنهن - إذا خرج الرجل من منزله - أن تقول له امرأته أو ابنته : « إياك وكسب الحرام ، فإنَّا نصبر على الجوع ولا نصبر على النار »[١] .

* * *

• قصقص طيرك :

فى المثل المصرى : « قصقص طيرك لا يلوف بغيرك » أى قص أجنحة طائرك حتى يظل عاجزاً عن الطيران بعيداً عنك ... وهو كناية عن تعجيز المرأة رجلها عن الزواج بأخرى . وذلك بجعله لا يملك المال الذى يتزوج به . إما عن طريق إرهاقه بالمطلوب للبيت من الكماليات . وإما ببذل أمواله وتبديدها على أهلها أو أصدقائها .

وهى سياسة خاطئة ، إذ أنها تجعل الرجل يشقى كثيراً - ويعمل ليل نهار حتى يجهده العمل فيكره الحياة ويعيش فى نكد يظهر أثره فى حديثه مع زوجته ، وفى شجاره المستمر الذى ينتهى إلى ما خشيت منه الزوجة ، وهو طلاقها وزواجه بغيرها .

---

(١) احياء علوم الدين للغزالى : الجزء الثانى .

وكان من الخير لها أن تحتبس طيرها بالطريق الطبيعى .. الحب ، وإظهار حسن تدبيرها لاقتصاديات منزلها .. فإنما يسقط الطير حيث يرى الحب .

فبالحب تحسن المعاشرة وتطيب الإقامة مع المحبوب . وبحسن تدبير المنزل يستريح الرجل من العنَاء ، ويتوافر له الوقت الذى يجلس فيه مع أولاده ، يُسهم فى تربيتهم بتجاربه وأقاصيصه .

* * *

- **الاقتصاد :**

قال المرحوم على فكرى : الاقتصاد معناه حسن التدبير ووضع الشئ فى موضعه . وهو روح المعاملة ، ودعامة الحياة الزوجية . وهو الوسط بين الإفراط والتفريط . وقد أمر الله به ونهى عن الإسراف والتقتير حيث قال عز وجل : ﴿ وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ البَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً ﴾ (١) .

وقال ﷺ : « ما أحسن القصد فى الغِنَى ، وما أحسن القصد فى الفقر ، وما أحسن القصد فى العبادة » .

وقال أبو بكر رضى الله عنه : إنى لأبغض أهل البيت ينفقون رزق أيام فى يوم واحد .

وقال معاوية : حسن التدبير نصف الكسب ، وهو نصف المعيشة .

وقال أبو حنيفة : لا خير فيمن لا يحفظ ماله ليصون به عِرضه ، ويصل به رحمه ، ويستغنى به عن لئام الناس .

---

(١) الاسراء : ٢٩ .

وربة المنزل هى المكلّفة بتدبير شئونه ، ولا يغنى الرجل كسبه شيئاً إذا لم تقتصد زوجته ، فإن معظم المال يذهب فى سرف النساء وخيلاتهن ، وإذا لم تكن الزوجة مقتصدة فقد عرّضت حياتها وحياة أسرتها للشقاء والبلاء .

فالمرأة مسئولة عن استخدام ما لديها من المال والوقت فى خير الطرق ، كما أن كسب المال من شأن الرجال . فإن أحسنت التدبير تمكنت من أن تعين زوجها ، وتزيد سرور الأسرة ونعيمها .

وليس الاقتصاد معرفة استعمال الدرهم فحسب . بل يشمل الترتيب والنظام والعمل والعناية بكل أمور المنزل . فالملابس التى تعنى بها تطول مدة استعمالها ، والأثاث الذى يتعهد بالتنظيف وحسن الترتيب لا يبلى سريعاً .

أما الزوجة المسرفة فهى عدوة لنفسها ، ونكبة على زوجها . تهلك بيدها ثمرة أعماله ، وكم من امرأة هدمت بيتها بسوء تصرفها ، وكم من سيدة أحيت موات منزلها بحسن تدبيرها .

وليس احترام السيدة متوقفاً على غلاء ملابسها وكثرة حليها وجوهرها ، بل على جميل خصالها وحسن سمعتها واقتصادها .

هذا .. وإن ارتقاء شأن الأسرة وسعادة الرجل ومستقبل الأطفال متوقف على حسن تدبير ربة البيت وصلاحها .

وقد أوصت سيدة ابنتها فقالت : لا تُكلفى زوجك إلا ما يطيق طبقاً للأحوال. وارفعيه بيدك عن مواطن الضعف والضيق ، فحمل الصخور أخف من ثقل الديون .

إذا لم تكن فى منزل المرء حرة   تدبره ضاعت مصالح داره

* * *

• صور من الحياة الاقتصادية :

ذات الدخل المحدود تستطيع أن تحمى أسرتها ذل الحاجة إذا هى تريثت فى شراء الفاكهة والخضروات أول ظهورها .. ثم اشترت لأسرتها حاجاتها بعد ذلك بقليل ، وتستطيع أن تتعرف مواسم تخزين السمن والبصل والبقول والليمون وصنع المربى من الفواكه عند كثرتها .

تستطيع أن تكسب قلب زوجها باقتصاد يرى الزوج ثمرته ، فتنسج بهذا حول قلبه ستاراً جديداً لا تنفذ إليه القيان الحسان .

اضطر فتى إلى اقتراض ثلاثين جنيهاً فى احتفال زواجه ، وأهمه الأمر حتى رأت عروسه ذلك فى وجهه عقب زفافها إليه . ولما كشفت الأمر خلعت سواريها وقالت : بعهما ، واجعل دينك عندى بدلاً من الآخرين . واستجاب لرغبتها . وأعطاها من مرتبه ثلثيه ، وجعل لنفسه الثلث . وأخذت الزوجة توفر من مصروف المنزل ، وهو يوفر من مصروفه . حتى إذا اكتمل معه ثمن سوارين ، أخذها إلى الصائغ فاشترى لها سوارين أعجباها . فقالت : هيا إلى الساعاتى لنرى ساعة جميلة ، وهناك فوجئ بأنها تدفع ثمناً لساعة رائعة ، وتأخذها وتقلده إياها قائلة : مبارك . كلٌ يدبر من أجل لحظة يُسعد فيها الآخر ، فما أحلاها ليلة عقدا فيها بتدبيرهما وإخلاصهما عقداً جديداً للثقة والحب المتبادل .

وآخر ضغطت الظروف التجارية عليه ، فأراد اقتراض مبلغ من زوجه ذات الأساور الذهبية السميكة ، ولكنها رفضت ذلك الرجاء الباكى فى عينيه ، فرفض الحياة معها إلى الأبد .

وخطب إنجليزى سِكِّير فتاة فاشترطت عليه يوم زفافها أن يعطيها كل يوم ثمن كأس مما يشربه ، وبَرَّ بوعده .. فلما اكتمل الحَول (١) قال لزوجته : أودُّ لو أمكننا أن نذهب إلى بيت أبيك ونعيِّد فيه ، تذكاراً لزواجنا .

---

(١) الحوِل : العام .

فقالت : ما يمنعنا من الذهاب ؟

قال : يمنعنا الإفلاس .

قالت : أتذكر أنك تعطينى كل يوم ثمن كأس من الشراب ؟

قال : نعم .

قالت : أما أنا فلا أشرب مسكراً . ولن أشرب أبداً .. هذا هو كل ما أعطيتنى رصدته للزمن . فقام إليها يُقَبِّلها وأخذ يعانقها .. وقال : هيا إلى بيت أبيك .. ولن أشرب مسكراً أنا كذلك بعد اليوم .

وقد قيل : المرأة تبنى البيت ، والمرأة تخربه . فهى أصل تقدمه وسعادته ، وهى علة تأخره وشقائه .

* * *

● الخدمة فى الدار :

« من أخص الأعمال الواجبة على النساء مباشرة أعمال المنزل وإدارة شئونه وتدبيره ».

وفى الشريعة العبرية : « الزوجة مكلفة بتهيئة الطعام ، وغزل الكتان أو الصوف اللازمين لكسوتها وكسوة زوجها وأولادها ، وخياطة هذه الملبوسات وترقيعها وغسلها ، وتنظيف بيتها والاعتناء بأمره ، وبإرضاع أولادها ، وتربية بناتها وتعليمهن ما يلزم لهن ، وملاحظة أحوال العبيد والجوارى والنظر فى شئونهم وأحوالهم » (انظر المادة ٤١٥ فى الأحكام العبرية) .

وقد جاء بالمادة ٤١٧ منها : « مهما بلغت ثروة الزوجة ، ومهما كان مقدار المال الذى دخلت به للإعانة على حوائج الزوجية ، فإنه يجب عليها القيام بالأعمال اللازمة لبيتها ، صغيرة كانت أم كبيرة ، لأن البطالة تؤدى إلى فساد الأخلاق » .

أما الشريعة الإسلامية فإن هذه الأعمال واجبة على المرأة ديانة وإن كان لا يجبرها القاضى عليها ، كما فى « الفتاوى الظهيرية » و « البحر الرائق » .

وقد قضى النبى ﷺ على ابنته فاطمة بخدمة البيت ، وعلى « علىٍّ » ما كان خارجاً عن البيت من عمل . (رواه الجوزجانى من طرق) [1] .

وإنما لم يكلف الإسلام الزوجة الخدمة نصاً ، منعاً لظلم الرجال ولسوء معاملتهم للنساء ، لأن الكثير من الرجال يكلفون نساءهم أشق الأعمال وأصعبها مع ورود عدم التكليف بالمرّة .

وفى افتتاح مطبخ وطنى بانجلترا يوم ٢١ اكتوبر سنة ١٩١٢ ألقى « روبرست » وزير العمل والعمال البريطانى خطبة جاء فيها : « إذا لم تبذل البنات البريطانيات مجهوداً فى سبيل الحياة المنزلية ، فإن البنات الفرنسيات سيحللن هنا ، لأنهن طاهيات وعالمات فى آن واحد ».

وقالت كاتبة إنجليزية : « لقد اجتمعت بمئات من نساء أمريكا اللواتى تربين فى المدارس وتزوجن بالأطباء والمحامين ورجال الصحافة والقساوسة ، فلم أجد فى منزلهن خادمة ، بل كلهن يعملن فى أعمال البيت بأنفسهن ، حتى غسل الملابس وكيها » .

وجاء فى رسالة من باريس أن المدموازيل « استانسبيوف » البلغارية قد عينت فى وظيفة بالوكالة البلغارية السياسية فى واشنطن . وكان لهذه الآنسة شقيق يدرس الشريعة فى « السربون » بباريس ، فلما بلغه النبأ أبرق إليها قائلا: « إن البيت مركز المرأة ، وشغلها هو تربية الأولاد ، لا المجادلات السياسية . وتنظيم الموائد والأسِرَّة ، لا إبرام المعاهدات . والخياطة ، لا عقد المؤتمرات . ولذلك فإنى - بدلاً من أن أهنئك بوظيفتك - أنحى عليك باللائمة ، عن اخلاص نية ، وبروح الرفق والحنان »[2] .

---

(١) تربية المرأة والحجاب : لمحمد طلعت حرب ص ٥ طبعة المنار سنة ١٣٢٣ هـ .
(٢) الأهرام : ١٩٢١/٩/١

وأضرب خدم القصر الملكى بإسبانيا يوماً عن العمل ، فقامت الملكة بنفسها هى وبناتها . وخلعن عنهن ثياب العز ، ودخل بعضهن المطبخ وأعددن الطعام ، ونظف البعض الآخر القصر والأثاث ، حتى عرف الخدم أنهم فى منزل تستطيع ربته وبناتها الاستغناء عنهم فى كل الأوقات . فعادوا إلى الملكة نادمين .

وأوصت أم ابنتها فيما يتعلق بأمور المنزل فقالت : يا ابنتى .. البيت مملكة صغيرة . والعاقلة من تسوس هذه المملكة بحكمة وحسن إدارة ، وتعطى كل فرد من أفرادها حقه ، فتحسن معاملة زوجها ، وتربية أولادها ، ومعاملة الخدم ، لتكون محبوبة من زوجها ، محترمة من أولادها ، مطاعة من خادمتها ، مشكورة من آلها ، مقبولة عند الله والناس ، فترفع مملكتها إلى ذروة السعادة ، وترقى بأسرتها قمة الراحة والمجد ، أما المرأة الجاهلة التى لا تُحسن القيام بإدارة منزلها ، ولا تقوى على سياسة مملكتها فإنها تسقط من نظر زوجها وأولادها وخدمها أيضاً . وتهوى بأسرتها إلى وهدة البؤس والشقاء .

فإذا قيل للمرأة الجاهلة : إن ملابس أولادك ليست نظيفة ، أجابت : إن الذنب على الخدم . وإذا قيل لها : إن أولادك يتفوهون [1] بما لا يليق . أجابت : إنهم تعلّموا ذلك من الخدم ، وإذا كان المنزل محروماً من النظافة والترتيب ، أو الأطعمة غير ناضجة أو متقنة الطبخ ، أو ... أو ... إلخ ، نسبت ذلك كله إلى الخادمات تلومهن ، وهى أحق منهن باللوم . فالذنب ذنبها والخطأ راجع إليها .

والرجل - يا ابنتى - إن لم يكن مسروراً من حسن إدارة منزله وراحة أفراد أسرته ، وكان سبب ذلك جهل امرأته ، فلا بد أن ينفر عنها ويهرب منها ، مهما يكن بفؤاده من الحب والميل إليها .

---

(١) يتفوه : يتكلم .

شرف المرأة - يا ابنتى - هو أن تقوم بواجباتها النسائية وأمورها المنزلية ولا تترك زوجها يفكر فى غيرها ، أو يطلب سواها لراحته وترتيب منزله .

قال الإمام الغزالى : ومن آداب الزوجة أن تقوم بكل خدمة فى الدار تقدر عليها . فقد رُوِىَ فى الصحيحين عن أسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنهما أنها قالت : تزوجنى الزبير وما له فى الأرض من مال ولا مملوك ولا شئ غير فرسه وناضحه (أى بعيره الذى يحمل له الماء) فكنت أعلف فرسه وأكفيه مؤونته وأسوسه ، وأدق النوى لناضحه ، وأعلفه ، وأستقى الماء وأخرز غربه (أى دلوه) وأعجن ، وكنت أنقل النوى على رأسى من ثلثى فرسخ حتى أرسل إلىَّ أبى بجارية . فكفتنى سياسة الفرس . فكأنما أعتقنى .

ولقيت رسول الله ﷺ يوماً ومعه أصحابه ، والنوى على رأسى ، فقال ﷺ : أخ ، أخ - لينيخ ناقته ويحملنى خلفه . فاستحييت أن أسير مع الرجال . وذكرت الزبير وغيرته ، وكان أغير الناس . فعرف رسول الله ﷺ أنى قد استحييت ، فجئت للزبير وحكيت له ما جرى . فقال : والله لحَمْلكِ النوى على رأسك أشدُّ علىَّ من ركوبك معه .

* * *

• التزين للزوج :

قال الغزالى : « قال الأصمعى : رأيت فى البادية امرأة عليها قميص أحمر وهى مختضبة [1] وبيدها سبحة ، فقلت : ما أبعد هذا من هذا !؟ فقالت :

ولله منى جانب لا أضيعه ... وللهو منّى والخلاعة جانب

فعلمت أنها امرأة صالحة لها زوج تتزين له .

ومن الأسف .. أن نرى كثيرات من السيدات يهملن الزينة والتجمل منذ اليوم

---

(١) يدها محمرة بالخضاب (الحناء) .

الثانى من الزواج ، وهذا تقصير فاحش ، ربما كانت الزوجة لا تشعر به ، لاعتقادها ارتفاع الكلفة بينهما ، ولكن لهذا تأثيراً سيئاً فى نفس زوجها ، ولا سيما إذا آنس منها التجمل والزينة قبيل خروجها لزيارة قريباتها وصديقاتها .

والحقيقة أن التجمل لا يكون إلا للزوج تطييباً لخاطره ، وهو واجب عليها وحق له لا يسقط وإن مضى الشطر الأعظم من الحياة .

وليس القصد من حض المرأة على التجمل لبعلها أن تضيع وقتها الثمين أمام المرآة معجبة بجمال صورتها ، أو بطول شعرها ، أو باعتدال قوامها ، فإن الإعجاب بالنفس دليل على ضعف العقل .

وإنما القصد حثها على النظافة والترتيب . وهو يتناول تسوية الشعر ، وتنسيق الملابس على وجه خال من آثار التصنع والتكلّف .

وما أرقى خلال المرأة : إذا أحست بحضور زوجها فهبت للقائه بأبهى مظاهرها من نظافة ثياب ، وطلاقة وجه ، وبسمة ثغر . لأنه ما من امرأة قابلت زوجها على هذا الوجه إلا حازت فى قلبه المكانة العالية والمنزلة السامية [1] .

* * *

• النظافة :

النظافة للمرأة ألزم لها من الجمال . لأن الجمال لا يلبث أن يزول متى زالت نضارة الشباب . أما النظافة فعادة باقية ما بقيت المرأة . ولذا حث عليها الإسلام .

وقد قال جان جاك روسو :... وليس ينفر الإنسان من شئ فى العالم أكثر مما ينفر من المرأة القذرة .

ولا شك أن المرأة التى تُهمل نظافة نفسها تعمل على إبعاد زوجها بيدها

---

(١) سعادة الزوجين جـ ٢ ص ٩٥ .

ليرتمى فى أحضان أخرى نظيفة . إذ يجب على المرأة أن تُنَظِّف المنزل وجميع ما فيه من الأمتعة والأثاث . فلا يعشش العنكبوت ويتراكم الغبار عليها ، وعليها بعد الفراغ من أعمالها اليومية أن تستحم قبل حضور زوجها من أشغاله ، ثم تلبس ملابسها الفاخرة كما لو كانت فى انتظار عظيم عزيز .

وقد أوصت امرأة ابنتها فقالت : يا بنيتى ... لا تنسى نظافة بدنك . فإن نظافته تُحبب زوجك إليك . ونظافة بيتك تشرح صدرك وتُصلح مزاجك وتُنير وجهك ، وتجعلك جميلة ومحبوبة ومكرَّمة عند زوجك ، ومشكورة من أهلك ومن ذويك وأترابك وزائريك . وكل من يراك نظيفة الجسم والبيت تطيب نفسه ويسر خاطره .

هذا فضلاً عما للنظافة من تأثير فى توطيد أركان الصحة والصفاء ، وما للقذارة من أثر فى جلب الأمراض والشقاء [١] .

وكل هذا يجب أن يكون - إلى جانب الحكمة الواضحة منه - صادراً عن الاعتقاد بأنه استجابة لأمر الله وطاعة لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [٢] حتى لا نُحرم الأجر فى الآخرة ، وثمار النظافة فى حياتنا الأولى .

ومما يندرج فى باب النظافة حلق العانة أو انتيارها (أى إزالتها بالنورة وهى مسحوق يُزال به شعر العانة) .

وكذلك من السنن نتف الآباط وتقليم الأظفار ، ويُسن أن يكون كل ذلك يوم الجمعة ، ويكره أن تبقى الأصابع دون قص الأظافر أكثر من عشرة أيام .

وفى الحديث الشريف : « من الفطرة حلق العانة [٣] ، وتقليم الأظفار ، ونتف الآباط ، والختان » .

---

(١) سعادة الزوجين ، جـ ٢ ، ص ٨٨ - ٨٩ . (٢) البقرة : ٢٢٢ .

(٣) العانة : الشعر الذى حول أعضاء التذكير والتأنيث ، وحلقه يُسمى الاستحداد ، وإزالته بالمسحوق يسمى « التنور » . ويقال للمرأة التى تفعله : تنورت وانتارت .

والفطرة هى الدين الذى فطر الله عليه الشعوب المستقيمة ﴿ فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِى فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ، لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ، ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ (١) .

ومن الفطرة تنظيف المغابن - وهى الأرفاغ والآباط - والأرفاغ جمع رُفغ : بواطن الأفخاذ عند الحوالب . وفى حديث عِكرمة : « من مَس مغابنه فليتوضأ » وذلك منه احتياطاً . فإن الغالب على من يلمس ذلك الموضع أن تقع يده على ذكره .

وقال اللُغويون : الرفغ : مابين الأثنيين (أى الخصيتين) وكل ما ثنيت عليه فخذك مما من شأنه أن يجتمع فيه الوسخ والعرق .

وفى الحديث أن النبى ﷺ صلى فأوهَم فى صلاته (أى أسقط من صلاته شيئاً وهماً وسهواً) . فقيل له : يارسول الله . . كأنك قد أوهَمتَ . قال : « وكيف لا أوهم ورفغ أحدكم بين ظفره وأنملته » ؟!

والمعنى : أن أحدكم يحك الموضع من جسده فيتعلق درنه ووسخه بأصابعه فيبقى بين الظفر والأنملة . وإنما أنكر من هذا طول الأظفار وترك قصها حتى تطول . فتكثر الحركة فى الصلاة ، فتبطل أو يذهب خشوعها على الأقل .

فليعتبر بهذا نساؤنا وفتياتنا ورجالنا وفتياننا الذين شاعت فيهم اليوم بدعة ترك الأظفار . ولست أدرى - ولا المنجم يدرى - أى هدف يترامون إليه بذلك !! هل يردن بذلك أن يكن كالقطط فى مخالبها . وفى غدرها - عندما تشاء الغدر- مهما أكرمتها ؟ . أيردن أن يجعلنها مجمعات للأوساخ ؟

وربما يجنب الرجل أو المرأة فلا يصل الماء إلى البشرة لوجود الحائل بين الماء والبشرة ، وهو ذلك الوسخ الذى يتجمع بسبب طول الأظفار ، ولقد كان النبى ﷺ يأمر الأعراب الذين أسلموا بالتقليم . ويُنكر عليهم ما يُرى تحت أظفارهم ، ففى الحديث الشريف : « قُصُوا أظفاركم ، وادفنوا قلاماتكم ، ونَقُّــوا براجمكم ، ونَظِّفوا لثاتكم من الطعام ، ولا تدخلوا علىَّ قُلحاً بخراً » .

---

(١) الروم : ٣٠.

والقَلح : صُفرة الأسنان . والبخر : نتن الفم . والبراجم : هى العقدة التى فى ظهور الأصابع يجتمع فيها الوسخ . والمراد بدفن القلامة : تغييبها تحت الأرض .

قال البرقوقى : « جمال المرأة وتجملها مدرجة[1] ميل الرجل وافتتانه بها . وقوام الزينة النظافة ، ولتحذر المرأة كل الحذر أن يقع بصر الرجل منها - أعنى زوجها - على شئ يشمئز منه وينفر ، من وَسخ ، أو شعث ، أو رائحة مستكرهة ، أو شئ من هذا القبيل .

يجب على المرأة أن تتجمل لبعلها . وذلك بتنظيف البدن وما يحيط به من ثياب ، وتنظيف البدن بتنظيف البشرة بالماء . وهذا بإدمان المضمضة والاستنشاق والاستنثار (أى إخراج فضلات الأنف) . وغسل الرجلين ، ومسح الرأس (أى العناية بنظافة الشعر) . وهذا ما يُعَبَّر عنه فى الإسلام بالوضوء . وبالاغتسال ، وهو الذى يُعبَّر عنه بالغُسل من الجنابة . أو من الحيض والنفاس . أو الأغسال المسنونة . كغُسل الجمعة والعيدين والتراويح .

كما تكون النظافة بالعناية بالأسنان وبتسويكها وتخليلها ، وبتنقية العين وتكحيلها ، وبتقليم الأظفار وتسويتها . وبتنظيف المغابن وإزالة ما بها . وبحلق العانة أو انتيارها ، وبالخفاض [2] ، وما إلى ذلك من كل ما تعوزه النظافة عن سائر أعضاء البدن .

ويُغنى عن السواك الفرشاة بنية السواك سواء مع المعجون أو الصابون أو بدونهما .

وقد عُنِىَ العرب بنظافة أسنانهم فى الجاهلية والإسلام . وكان أفضل ما يستاكون به من فروع شجر الأراك . الذى تراه يباع أمام المساجد والأضرحة الكبرى .

---

(١) مدرجة : طريق .
(٢) الخفاض والختان : يُسمى بلغة المصريين الطهارة ، وأكثر ما يستعمل الخفاض فى ختان الأنثى .

وقد ورد الحض على استعماله فى الأحاديث الشريفة ، وأصفق [1] القدماء وجمهور المحدثين من الأطباء على أنه أنفع الأشياء . فهو يجلو (أى يصقل) الأسنان ويقويها ، وهو يشد العمور (وهو اللحم النازل بين الأسنان) ويمنع الحفر (وهو الصُفرة التى تعلو الأسنان) ، ويطيب النكهة (أى رائحة الفم) . وبلغ ثمن سواك الأراك فى إنجلترا جنيها استرلينياً بعد نشر دراسة علمية عن مزاياه عام ١٩٧٥ ، وصُنِعَ معجون أسنان فيه أراك .

وكان أصحاب سيدنا رسول الله ﷺ يغدون ويروحون والسواك على أذانهم . ولم يكن فى عهد النبى ﷺ أكثر استعمالاً للسواك من نسائه رضوان الله عليهن .

ويُستحب السواك عند كل الصلاة ، وعند كل وضوء ، وعند تغير النكهة بالنوم أو أكل ما تُكره رائحته كالبصل ، وعند أى لقاء لآخرين .

وقالوا - فى علة طيب الفم والبخر : من كثر ريقه وسال لعابه لا يعرض له الخَلوف (أى تغير ريح الفم لتأخر الطعام) ، ومن ثَمَّ كان النشاط رالحركة ومناجاة الآخرين من عوامل إسالة الريق وطيب النكهة . لما يسببه من جريان الريق .

* * *

- حُسْنُ الخُلُق :

« أجمع الحكماء على أن المرأة الحسنة الخُلُق تستميل قلب زوجها وتجمع حوله بنيها وذوى قرباها ، ولا ينفر منها أحد . ولا سيما إذا اقترن حُسن الخُلُق بلطف المحادثة .

وقد قال رسول الله ﷺ : « أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خُلقاً ، وألطفهم وأبرهم بأهله » .

---

(١) أصفق : أجمع و اتفق .

وقال عمر بن الخطاب : لم يُعطَ عبْد - بعد الإيمان بالله تعالى - شيئاً خيراً من امرأة حسنة الخُلق ، ولم يُعطَ - بعد الكفر بالله تعالى - شيئاً أشد من امرأة بذيئة اللسان . سيئة الخلق .

وقال بعض الأدباء : حَسِن الخُلق : من نفسه فى راحة ، والناس منه فى سلامة وأمان ، وسَيِّئ الخُلق : من نفسه فى عناء . والناس منه فى بلاء .

وجاء بالمادة ٤٣٢ من الشريعة العبرية : « عيوب الخُلق التى تُجيز الطلاق هى : الوقاحة والثرثرة والوساخة والإسراف . والشكاسة والعناد ، والنهمة والبطنة والتأنق فى الطعام . وحب الفخفخة والبهرجة » .

وجاء فى بعض الكتب الأدبية : إذا ذهبت محاسن الخِلقة بتوالى الأعوام فإن محاسن الخُلق تبقى على الدوام .

المرأة الجميلة الطبع المهذبة الأخلاق هى التى يبدو كل تصرف من تصرفاتها حسناً للمتأمل البصير . والمرأة الحسنة الخلال لا تروى على مسمع زوجها إلا ما يحسن سماعه .

أما المرأة السيئة الخُلق فتثير الهموم وتجلب الأتراح وتُنَغِّص العيش ، وتذهب بالراحة ، وتطوى بساط الأنس والانشراح .

وفى الحديث : « من صبرت على سوء خُلق زوجها أعطاها الله مثل ثواب آسية امرأة فرعون » .

وقلتُ يوماً لسيدة : إحبسى لسانك عن زوجك . فالرجل لا يحب أن يعيش مع سليطة اللسان . والمرأة التى أنجبت لزوجها ولداً إن لم تُدِم المعيشة معه على الحب له أدامتها من أجل أولاده ، فعليها أن تُلطِّف حدة الكراهية باعتياد إطفاء غضب الزوج بكلمة معسولة ، أو ابتسامة ولو خافتة ، ويتقرب حان يمسح متاعب اليوم عن كاهله ، فبهذا يزرع فى قلبه الحب لليد التى تَربُت على كتفيه ، فإذا به ينقلب إلى هذه اليد يُقَبِّلها ، وإلى صاحبتها يحتضنها ، فيبادلها حباً بحب ، وحنواً بحنو .

وقد قال بعض الحكماء : العيش كله مقصور على الزوجة الهاشة الباشة والبارة الصالحة . والبلاء موكَّلٌ بقرينة السوء التى لا تسكن النفس إلى معاشرتها . ولا تَقَرّ العين برؤيتها . وقد جاء فى الحِكم : « المودة جسم روحه بشاشة الوجه » .

حكمت إحدى المحاكم الأجنبية على سِكِّير بأقل مدة الحبس المقررة عقوبة حين قال للقاضى إنه لا يطيق أن يجلس فى بيته من مضايقات زوجته . وصرخ السِكِّير : لا يا سيدى القاضى ، أرجوك أن تحكم بأطول مدة حبس مقررة للسِكِّير ، لترحمنى !! . فقال القاضى مبتسماً : أنت مدمن والقانون يفرض أقصى العقوبات للإدمان . وعندى أن أقصى العقوبة أن ترجع إلى زوجتك من السجن عاجلاً .

واشتد إيذاء امرأة لداعية إسلامى معاصر ، وطبقاً للسنة غادر المنزل فى جوف اللّيل حتى يُسَكِّن ثائرة الغضب المشتعل داعياً ربه : « ربِّ السجن أحبُّ إلىَّ . اللّهم ارحمنى من هذه المرأة ولو أسبوعين فى السجن الحربى » . وما هى إلا شهر حتى استُجيب له الدعاء . ولما أُفرج عنه وعجز عن إصلاح بيته قال وهو يطوف بالمسجد الحرام : اللّهم إنى عجزت ، وعجز أهل العلم معى عن حل مشكلتى . وضعتُ على بابك حملى فأرفعه عنى . وافعل لى الخير ، وليس لى بعد ما بذلته حَولٌ ولا طَولٌ ، ولا حول ولا قوة إلا بك .. وإذا بالله يُعَوِّضه زوجاً خيراً من زوجه علماً وحسباً ، ونسباً . وشباباً وقواماً وحديثاً ، ونِعْمَ جزاءُ الصابرين .

وحُكِىَ أن قارئاً [1] كان يرتل ورده القرآنى ، فلما بلغ قوله تعالى : ﴿ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴾ [2] : أى تفرحون وتسرُّون .. وضع المصحف على كرسيه

(١) سعادة الزوجين لعلى فكرى جـ ٢ ص ٩٧ ط . المعارف سنة ١٩٢٣ (١٣٤١هـ.) .
(٢) الزخرف : ٧٠ .

وقال : اللّهم لا تفعل . اللّهم لا تفعل . وجعل يكرر ذلك . قالت له زوجته : ما الذى دهاك ؟ قال لها : كيف لا أقسم على اللّه وأدعوه وقد قال سبحانه : ﴿ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴾ [1] . فأنتِ في هذه الدنيا الفانية لا أقدر عليك فيها لكثرة ما أرى من إيذائك لى ، فكيف تكونين معى فى دار البقاء ؟ أنا لا أطيق ذلك . قالت : لا تدع اللّه - بحقه عليك - فإنى تائبة إليه . واسأله أن يجمع بيننا فى الآخرة . فقال : اللّهم نعم .. إن كانت صادقة .

* * *

• ترضية الزوج عند الغضب :

قال أبو الأسود الدؤلى لامرأته : « إذا رأيتنى غضبت فأرضينى ، وإن رأيتُك غضبتِ ترضيّتُكِ . وإلا لم نصطحب ».

وكان عند الحسن بن علىٍّ بن أبى طالب رضى اللّه عنه امرأة من قريش ضجرت منه يوماً فقال لها : أمرك فى يدك - أى لها الخيار فى البقاء فى عصمته وفى أن تُطلِّق نفسها - فقالت له : أما واللّه لقد كان فى يدك عشرين سنة فحفظته وأحسنت صحبته ، فلن أضيعه إذا كان فى يدى ساعة من نهار . فأعجبه قولها ، وأحسن صحبتها .

وإنَّ مما يُرضى الرجل الاعتذار إليه على الفور عندما يكون الخطأ من المرأة ، فإن سقطت منه هفوة كان لا بد من الانتظار حتى تهدأ ثائرته ، ثم يكون الحديث متلطفاً فيه إلى قلبه منفرداً . والاعتراف بالحق فضيلة . وكما قال الشاعر :

إذا اعـتذر الجانى مـحا العذر ذنبه ... وكل امرئ لا يقبل العذرَ مـذنبُ

---

(1) الزخرف : ٧٠.

ومما هو عذر أقبح من الذنب : أن تقول المرأة لزوجها ، أو المعتذر لمن وقع الخطأ في حقه : ألا يكفيك أن أعتذر . هأنذا قلت لك : « متأسفة » أو « متأسف » .

إنه لغباء أن نتصور كلمة « متأسفة » تياراً كهربياً يستأصل السرطان فى دقائق .. يجب الاعتذار . ثم يترك للمعتذر إليه فرصة تستريح فيها نفسه ويبحث فى قلبه عن مكان يضع فيه هذا الاعتذار ، فقد لا يكون فى القلب مكان له فى تلك الآونة .

قال أحد الحكماء : « ليس لى على المسئ أكثر من اعترافه بذنبه » .

وهذا حق ، ولكن لا يجوز للمعتذر أن يردد هذه الحكمة لمن يعتذر إليه .. إنما يقولها غيره من الشفعاء له .

قالت سيدة لابنتها : لا تغضبى إزاء فلتة زل بها لسان زوجك عند غضبه . بل كونى رزينة متسامحة . ولا تقابليه بالمثل . فبذلك يدرك هفوته ، ويأسف على زلّته . وليكن حُسن الظن وحُسن التفاهم رائدكما فيزول كل ما يقع بينكما.

ويُحكى أن شيخاً من الأعراب تزوَّج جارية من رهطه ، وطمع أن تلد له غلاماً فولدت له جارية فهجرها وهجر منزلها . وصار يأوى إلى غير بيتها ، فمر بخبائها بعد حَوْلٍ فإذا هى تُرَقِّص ابنتها وتقول :

ما لأبى الزلفاء لا يأتينا   وهو فى البيت الذى يلينا
يغضب إذ لم نلد البنينا   تا للّه ما ذلك فى أيدينا
وإنما نُعطِى الذى أعطِينا

فلما سمع هذه الأبيات دخل عليهما فى الخباء ، فقبَّل رأسيهما وقال : ظلمتكما ورب الكعبة .

وقد أوصى أسماء بن خارجة الفزارى ابنته هنداً فقال : اعلمى أنى القائل لأمك :

خـــذى العفو منى تستديمى مودتى ولا تنطقى فى سَورتى حين أغضبُ

ولا تنقـــرينى نقـرك الـدفَّ مــرة فـــإنك لا تـدرين كيــف المـغيبُ

ولا تُكثرى الشكوى فتذهب بالهوى ويأباك قلبى . والقلــوب تَقلُّــبُ

فإنى رأيت الحب فى القلب والأذى إذا اجتمعا . لم يلبث الحب يذهبُ

ورُوِىَ أن سيدة شريفة دخلت على أبيها . فلما نظر إليها دمعت عيناها وتغيَّر لونها . فقال لها والدها : ما لكِ يا بُنية ؟ قالت : يا أبت .. كان بينى وبين زوجى البارحة شئ . فغضب لكلمة بدرت منى . فلما رأيت غضبه ندمت على ما فعلتُ وقلت له : ياسيدى .. عفواً وصفحاً . فإن الذى سمعته منى خطأ ولا أعود إلى شئ من ذلك ، فأبى أن يُكلِّمنى . وحوَّل وجهه عنى فطفتُ حوله حتى ضحك ورَضِىَ عنى ، وأنا خائفة من ربى أن يُؤاخذنى على اللَّحظات التى أحرقت فيها من دمه – ساعة غضبه – بِضع قَطرات .

فقال لها والدها : يا بُنية .. والذى نفسى بيده لو أنك مُتِّ قبل أن يرضى عنك زوجك لما كنتُ راضياً عنك ، أما علمتِ أن أيما امرأة غضب عليها زوجها فهى ملعونة فى التوراة والزبور والإنجيل والفرقان . وشدَّد الله عليها سكرات الموت ، وضيَّق عليها قبرها . فطُوبى لامرأة رَضِىَ عنها زوجها .

وليس صحيحاً فى كل الأحوال قول شوقى :

والشـــر إن تلقَــه بالخـير ضــقت بــه ذرعــاً ، وإن تلقــه بالشـر يَنحســمُ

فيُروى عن لقمانِ أنه قال لابنه : يا بنى ، كذب من قال : إن الشر بالشر يُطفأ ، فإن كان صادقاً فليُوقِد نارين ولينظر هل تُطفئ إحداهما الأخرى ؟ وإنما يُطفىء الخيرُ الشرَّ كما يُطفئ الماءُ النارَ . وفى الحديث الشريف : « ثلاث من كن فيه آواه الله فى كَنَفِه ، ونشر عليه رحمته ، وأدخله جنته : من إذا أعطِىَ شَكَرَ ، وإذا قدر غَفَرَ ، وإذا غَضِبَ فَترَ » .

* * *

• حسن معاشرة أهل الزوج :

الزوج فلذة كبد أمه ، وهو أمانة فى يد زوجته . فوجب أن تتلطف بصاحبة الأمانة ، وتجعلها دائماً مطمئنة على أنها لن تفقد أمانتها . وذلك يكون بالتودد إلى هذه الأم ، وإظهار الاحترام لها باعتبارها أماً للزوجين ، وأنها وسائر إخوة الزوج أبناء لهذه الأم . فلكل أخ حقوق الإخوَّة من الحب والتعاون والاحترام.

وهذا من شأنه كسب قلوب الأم والإخوة ، وهو مما يُسَهِّل للزوجة الاستعانة بهم على ما عساه يحصل بينها وبين زوجها على مدى الأيام . فيكون لها منهم نعم الأزر والنصير .

* * *

• احترام مشاعر الزوج :

الزوج مرهف الحس : يحب زوجته عفيفة اللسان . لا تتحدث إلى غيره من الرجال ، ويحب أن تشاركه وجدانه وأحاسيسه . وأن تكون له وحده كما تحب هى أن يكون لها وحدها . فإذا ضمها مع زوجها مجلس لم تتبسط فى حديثها مع غيره . تكاد لا تتكلّم إلا بإذنه . وفى غيبته تراعى شعوره ، كأسماء زوجة الزبير حين أدركت غيرة الزبير ، فرفضت أن تركب مع الرجال ، بالرغم من أن الدعوة إليها موجهة من رسول الله ﷺ .

قال الإمام الغزالى : « .. وإذا استأذن صديق لبعلها على الباب ، وليس البعل حاضراً لم تستفهم . ولم تعاوده فى الكلام ، غيرة على نفسها وبعلها . وتكون قانعة من زوجها بما رزق الله . وتُقَدِّم حقه على حق نفسها وحق سائر أقاربها . متنظفة فى نفسها ، مستعدة فى الأحوال كلها للتمتع بها أنَّى شاء . مشفقة على أولادها . حافلة للستر عليهم ، قصيرة اللِّسان عن سب الأولاد ومراجعة الزوج.

« ومن آداب المرأة : ملازمة الصلاح والانقباض فى غيبة زوجها ، بمعنى

ظهورها فى صورة الجادة ، والرجوع إلى اللعب والانبساط وأسباب اللّذة فى حضور زوجها . ولا ينبغى أن تؤذى زوجها بحال » .

وروى عن معاذ بن جبل قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تؤذى امرأة زوجها فى الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين : لا تؤذيه - قاتلك الله - فإنما هو عندك دخيل . يوشك أن يفارقكِ إلينا » . (أخرجه ابن ماجه والترمذى . وقال الترمذى : حديث حسن غريب) .

ومن احترام مشاعر الزوج : ألا يُعاب أحد بذم مظهر أو سمة خِلقية تكون فى الزوج : كالعرج والعمى والصمم ، أو أى شئ قد يُحرج الزوج لو أن الكلام كان موجهاً إليه شخصياً .

كان من الأمثال السائرة التى تجرى على لسان أخ فاضل : « ريثما تكتحل العوراء يكون السوق قد خرب » . وتزوج هذا الأخ فتاة عوراء فشطب من معجمه اللُّغوى الذى يتحدث منه لفظ أعور - عوراء - وعور . وكل ما يتصل بهذه الكلمة ، وكان فى استمتاعه بها ينظر إلى كل شئ عدا ما يُستقبح منها ، وهو عينها التى تشعر بحرج منها ، كان يمحوه بأنها لا تشكل أى غرابة .. والمفروض أن تعامله بالمثل فى ظاهرة مماثلة .

قال حكيم : تزوجت فتاة أحست أننى أشعر بفارق السن فقالت : أنا أحب زوجى رجلاً أقرب إلى الكبر ، حتى أشعر بوقاره وأحس بأنه لى أب وزوج معاً ، وحتى أستفيد من تجارب عمره وحكمته ، فيعاملنى بعيداً عن طيش الشباب الذى يهز البيوت فلا تستقر إلا بعد آلام ومتاعب طويلة . إن لم تُدمَّر فى أثناء الشد والجذب والمد والجزر اللّذين يكونان فى مفتتح الحياة الزوجية للشباب .

وقالت أيضاً : لقد كان خطيبى قبلك - الذى اختلفت معه من أجل الاختلاف فى المزاج الدينى - أكثر شيباً منك ، ويكبرنى أيضاً ببضعة عشر عاماً ، وقالت الأم يوماً : لقد تزوجت ابنتى (س) رجلاً كبيراً كذلك .. أحست الأم وابنتها

بشعور خاص ، فأرادتا إزالة الحرج منه عنى : فاستبدلتا بمقالتيهما فى نفسى شيئاً من الطمأنينة فى كلمات غير متكلفة .

وقد يخطئ الرجل خطأ لا يُحب أن يُؤاخذ به ، فمن الأدب ترك مؤاخذته . وإنما بعد هدوء العاصفة يجب أن يبتدع حديث عن شئ مماثل يتضح منه وجه الخطأ حتى يدرك الزوج خطأه بأسلوب المقارنة الذاتية التى تنشأ طبعياً فى نفس كل إنسان ، وذلك رحمة به من الوقوع فى جريرة المكابرة . ولعله من أجل هذا قال رسول الله ﷺ : « أنا زعيم ببيت فى ربض الجنة لمن ترك المُراء وإن كان محقاً ».

قد يعز على المرء أن يكون معه الحق ثم يترك الدفاع عنه . ولكن النفس العظيمة تتخلى عن شهوة الانتصار الجدلى الذى هو « لون » من « عبادات الذات » فتربط حوارها مع الآخر بهدف واضح مخلص هو الوصول بالآخر إلى الحقيقة ، فإن كشف أنه أحال الحديث إلى جدل ، وأنه يبغى باستمرار المناقشة شهوة الانتصار فى جدل ، أو أنه متشبث بخطئه العمد ، فإن من العظمة أن يتصدق على ذلك المسكين بعدم توريطه فى دفاع كاذب . وحبذا لو أشعره بذلك دون حرج له أمام آخرين ، وأن يُلَقَّنَ درساً فى أن الوقت هو الحياة . والحياة أعز من أن تُبَدَدَّ فى جدل ليس وراءه طائل .

من احترام مشاعر الرجل ألا يُعاب أهله . بل وأن يَدَافَع عنهم فى غيابهم . فذلك يرضى الزوج ، لأنه دفاع عن الزوج نفسه بطريق غير مباشر . بل وكالأهل : أصدقاء الزوج الحميمون ، وشيوخه ، وإخوانه فى مذهبه الاجتماعى ، لأن أخوة المبدأ لُحْمَةٌ كلُحمة دم القُربى وماء المصاهرة ، وعيْبُ المبدأ وتجريح رجاله عيب وجرح للزوج .

فإذا كان ثَمَّ ما يعيب شرعاً . عُرِضَ النصح فى أسلوب استفهامى ، حتى

يدرك الزوج الحقيقة ، ويصل إليها فى رفق ، وعلى الزوج مثل ذلك ، وشعار الاثنين قوله تعالى : ﴿ وَلْيَتَلَطَّفْ ﴾ [1] . تلك الكلمة التى جعلها الله واسطة العقد فى القرآن إن ذهبت تعد كلماته من أوله أو من آخره وجدتها الملتقى لنصفى القرآن . كأنها تقول : على التلطف يدور كل ما فى القرآن من سلوك وتشريع .

* * *

• شكر الصنيع :

كل إنسان يحب أن يرى تقدير إحسانه . وما أجمل كلمة « شاكرة » أو « شاكر » ، أو كلمة رسول الله ﷺ : « جزاك الله خيراً » تصدر إقراراً بالفضل لموليه .

إنها تُغرى بالمزيد من التفضل والإحسان ، والإحسان يزيد المودة ورباط القلوب . قال عليه الصلاة والسلام : « خير النساء التى إذا أُعْطِيَتْ شكرت ، وإذا حُرِمَتْ صبرت ، تُسِرك إذا نظرت ، وتُطِيعك إذا أمرت » .

وليس من الأدب أن يُقال فى الحياة الزوجية : لا شكر على واجب . فعلى فاعل الواجب ألا ينتظر الشكر من الناس . ولكن على الناس أن يشجعوه على ذلك الخُلق الطيب بالثناء عليه .

شُكْر المرأة زوجها ، والثناء عليه فى غيابه .. يُزيده إعزازاً لامرأته ، إذ أنها بثنائها عليه فى غيبته عند أهلها وأصدقاء الأسرة .. تغْـلق الباب على الشيطان .

وأثنت امرأة - لأمها - على كرم زوجها فقالت : يا أماه .. من نشر ثواب الثناء فقد أدى واجب الجزاء . وفى كتمان الشكر جحود لما أوْجِبَ منه ، ودخول فى كُفْرِ النِعَم .

---

(1) الكهف : 19

إن الاولاد حين ينشأون يسمعون كلمة « أشكرك » عند تقديم كلمة طيبة . أو أى مساعدة ، فإنهم يعتادونها خارج البيت .

وعندما يسمعون كلمة « آسفة » و « أعتذر » عندما تسقط من المرأة خطيئة فإنهم كذلك يعتادون هذا الخُلُق : ويتكوّن لديهم ميزان سليم ، وحِسّ مُرهف ، يُقَدِّرون به المواقف المختلفة .

ورهافة الحس ، واعتياد التقدير عادة تتكوّن ، فتمتد إلى كل مسائل الحياة .

* * *

• الوفاء للزوج :

الزوجة الوفية حلم عزيز حلو عند الرجل ، لا يحب أن تُفتح عينه على فراقه .

ومن وفاء الزوجة ألا تُفارق زوجها إن أصابته ضراء فى ماله أو بدنه ، وأن تظل تقاسمه الحياة فى مُرّها كما قاسمته إياها فى حلوها ، وقد قيل : « خير النساء المبقية على بعلها . فهى تُؤثر راحة زوجها على راحة نفسها » .

يُحكى أن أعرابياً من بنى عُذرة شكا إلى معاوية بن أبى سفيان عامله مروان ابن الحكم بالمدينة ، لرغبته فى التفريق بينه وبين زوجته - على رغمها - لفقر نزل به بعد عز ، ولرغبته فى أن يتزوج منها لمكانها من الجمال ، فلما حضرت أمام معاوية قال لزوجها مازحاً : نخيّرها بيننا .

فقال الزوج فى ثقة من زوجته : ذلك إليك يا أمير المؤمنين .

فتحوّل معاوية نحوها وقال لها : ياسُعْدَى : أيُّنا أحبُّ إليكِ . أمير المؤمنين فى عزه وشرفه وقصوره ، أم مروان بن الحكم فى غضبه واعتدائه ، أم هذا الأعرابى فى جوعه وأطماره ؟ - ثيابه البالية - فأشارت الجارية إلى ابن عمها الأعرابى وأنشدت تقول :

هذا . وإن كان فى جوع وأطمار   أعز عندى من أهلى ومن جارى
وصاحب التاج أو مروان عامله   وكل ذى درهم منهم ودينارِ

ثم قالت : لست - والله يا أمير المؤمنين - لحِدْثان الدهر بخاذلته . ولقد كانت لى معه عيشة راضية . وأنا أحق من صبر معه على الضراء والسراء وعلى الشدة والرخاء . وعلى العافية والبلاء . وعلى القَسْم الذى كتب الله لى معه .

فأعجب معاوية بعقلها وكمالها ومروءتها . وأمر لها بعشر آلاف درهم وألحقها بصدقات بيت المسلمين ، كما نفعل فى عصرنا الحديث بفرض مرتب أو معاش من (وزارة الشئون الاجتماعية) .

وقال الأصمعى : دخلت بعض مقابر الأعراب ومعى صاحب لى . فإذا جارية تبكى عند قبر ، وعليها من الحُلِىّ والحُلَلِ ما لم أر مثله . فالتفتُ إلى صاحبى وقلت له : هل رأيت أعجب من هذه ؟ قال : لا والله ، ولا أحسبنى أراه .

فقلت لها : يا هذه . . أراكِ حزينة ، وما عليك زِىُّ الحزن ، فأنشدت تقول :

فإن تسألانى فيم حزنى فإننى ... رهينة هذا القبر يافَتَيَانِ

وإنى لأستحييه ، والقبر بيننا ... كما كنت أستحييه حين يرانى

ثم اندفعت فى البكاء وجعلت تقول :

يا صاحب القبر يا من كان ينعم بى ... بالاً ، ويكثر فى الدنيا مؤاساتى

قد زرتُ قبرك فى حُلِىٍّ وفى حُلَلٍ ... كأننى لست مِنْ أهل المصيبات

أردتُ آتيكَ فيما كنت تعرفه ... أن قد تُسَرُّ به من بعض هيئاتى

فمن رآنى رأى عَبْرَى [1] مُوَلَّهَةً ... عجيبة الزىِّ تبكى بين أمواتِ

ولعل مما يدخل فى هذا الباب ما روى عن عائشة أنها كانت لا تُغطى رأسها حين دُفِنَ زوجها وأبو بكر فى حجرتها . فلما دُفِنَ عمر معهما أصبحت تُغطى رأسها دائماً .

---

(١) سعادة الزوجين جـ ٢ ص ١١٨ - ١١٩ .

ولما حاصر « كونراد الثالث » عاهل ألمانيا دوق « بافاريا » فى قصره وانتصر عليه أمر بقتله مع جميع رجاله ، فالتمست الدوقة ونساء قصرها أن يُسمح لهن بالخروج من القصر إلى مكان أمين حاملات ما يستطعن حمله ، فأجابهن إلى ملتمسهن ، فجعلت كل منهن زوجها على ظهرها وخرجت به . فلما رأى الإمبراطور ذلك أعجب بوفائهن لأزواجهن وعفا عن هؤلاء جميعاً .

ومن أفضل صور الوفاء فى أرشيف الواقع ما وقع عام ٢٨٦ هـ إذا رفع ولى أمر الزوجة على زوج ابنته دعوى يطالبه بخمسمائة درهم قيمة صداق ابنته ، وفى المحكمة طلب القاضى الشهود ، فلما حضروا قال القاضى للمرأة : أسفرى عن وجهك ليراك الشاهد ويُشير إليكِ أنَّكِ صاحبة الحق . . فقال الزوج : والله لا يرى وجهها أجنبى ، أنا مُقِرٌّ بالدعوى بلا حاجة إلى شهود . وقالت المرأة : صدق أبى ولكننى أبرىء زوجى من صداقى الذى فى رقبته فى الدنيا والآخرة ، فقال القاضى : يُكتب هذا فى مكارم الأخلاق [١] .

* * *

• الإحداد على الزوج :

قال الغزالى : « ومما يجب على الزوجة من حقوق النكاح إذا مات عنها زوجها - ألا تُحِدَّ عليه أكثر من أربعة أشهر وعشر ليال (كما أنها لا تحد على غير الزوج أكثر من ثلاثة أيام فقط) وتتجنب الطِيب والزِينة فى هـــذه المـدة .

قالت زينب بنت أبى سلمة : دخلتُ على أم حبيبة زوج النبى ﷺ حين توفى أبوها أبو سفيان بن حرب . فدعت بطيب فيه صُفرة خَلوق أو غيره ، فدهنت به جارية ثم مسَّت بعارضيها ، ثم قالت : والله ما لى بالطيب من حاجة . غير أنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا يحلُّ لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تُحِدَّ

---

(١) رحمة الاسلام للنساء : للشيخ محمد الحامد ص ٥٩ .

على ميت أكثر من ثلاثة أيام : إلا على زوج أربعة أشهر وعشراً » (رواه البخاري ومسلم) .

ويلزمها لزوم مسكن النكاح - أى الإقامة به - إلى آخر الفترة - وليس لها الانتقال إلى أهلها ، ولا الخروج إلا لضرورة .

*　　*　　*

• العفة والأمانة :

جاء فى الأثر : « من حفظ ما بين فقميه [1] ورجليه دخل الجنة » ، وهو بمعنى الآية : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴾ ، والآية : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴾ [2] .

إن عفاف المرأة هو الجوهر الذى تُقَوَّم به تربيتها ، والسلاح الذى تُدافع به عن شرفها وكرامتها . وهو عندها بمثابة القوة عند الرجل .

وعفاف المرأة فى الأسرة هو الركن الأول الذى تتوطد عليه دعائم التربية ، والسبيل الأقوم الذى تصل به الفضيلة إلى قلوب البنات والأبناء .

ولا فرق بين أن يكون العَفاف فى الأم فطرياً أو اكتسابياً لينتقل إلى نفوس بناتها فينشأن معه قويات الإرادة ، عزيزات النفس ، ويتخذنه دليلهن الصادق الأمين فى طريق المستقبل حيث تسير الفتاة - غالباً - مدفوعة بقوة الوهم ، مجذوبة بتيار الضعف النسائى ، فإذا كانت عفيفة بالفطرة والنشأة استطاعت أن تقى نفسها طيش الأهواء وعمى الحب .

هكذا يكون العفاف سندها فى الضعف ، ومرشدها فى الغواية ، ومصباحها فى الظلام ، وزينتها مدى الأيام ، وأساس سعادتها وسعادة أسرتها فى المستقبل ، ولا يتم للزوجين سعادة فى الحياة ، ولا يهنأ لهما عيش إذا فارقتهما فضيلتا الأمانة والعفاف .

---

(١) الفقمان : اللحيان أى الفم .　　(٢) المؤمنون : ٣ و ٥

والزواج الحقيقى لا يتم إلا باختصاص كل من الزوجين بالآخر ، ولا سبيل إلى ذلك الاختصاص إلا بسلوك سبيل العفة ، وفى انتهاك حرمة هذه العفة هدمٌ لسياج الأنساب . وفى هذا من الشقاء والبلاء ما فيه .

والزوجان على السواء مطالبان بتأدية هذه الأمانة العظمى ، أمانة الحرص على الأعراض وسلوك سبيل الحياء . غير أن المتعارف عليه أن المرأة مطالبة بذلك أكثر من الرجل ، لأن الله اختصها بالمحافظة على النسل فى بطنها . وفى الحديث الشريف : « الحياء حسن ، ولكنه من المرأة أحسن » .

وأخرج الدارقطنى عن ابن عباس أن امرأة أتت رسول الله ﷺ فجلست إليه فكلمته فى حاجتها وقامت . فأراد رجل أن يقعد فى مكانها ، فنهاه النبى ﷺ أن يقعد حتى يبرد مكانها .

ولا عيب من العيوب النفسية أو الجسمية يُضَيِّع هناء الزوجين ويُذهب بسعادتهما ويمحو غبطتهما . . كخيانة المرأة للرجل فى نفسها ، فخير ما يصبو إليه الرجل فى زوجته عفافها الذى هو سلاحها ، وقد أشار الله إلى وجوب العفة والصون فى كتابه فى سورة النور : ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ﴾ [١] ... الآيتين .

وفى الحديث الشريف : « إن الله إذا أراد أن يُهلك عبداً نزع منه الحياء . ثم لم تلقه إلا مقيتاً »[٢] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « إن لكل دين خُلقاً . وخُلُق هذا الدين الحياء » . وقال : « إن الله يحب الحيىَّ الحليم ، ويبغض الفاجر البذىء » . وقال : « إن شر الناس عند الله من خافه الناس إتقاء فُحشه » .

أقول : وشر الزوجين من خافه الآخر إتقاء فُحشه .

---

(١) النور : ٣٠ .

(٢) مقيت : ممقوت محتقر عند الناس .

وقد سُئلت عائشة رضى الله عنها : أى النساء أفضل ؟ فقالت : « التى لا تعرف عَيْب المقال ، ولا تهتدى لمكر الرجال ، فارغة القلب إلا من الزينة لبعلها والإبقاء فى الصيانة على أهلها » .

ومن عجيب عصرنا أن البنت تنتقى ألذع العبارات ، وأجرح الكلمات وأقبح الأمثال وتُعد هذا من الفطنة والتفوق الاجتماعى ، ولا تدرى قول المؤمنات والمؤمنين : « أفضل النساء من لا تعرف عيب المقال » .

وقال أعرابى لأولاده يَمُنُّ عليهم :

فأول إحسانى إليكم تَخَيُّرى ... لماجدَةِ الأعراق بادٍ عفَافُها

وقالت ليلى الأخيلية :

وذى حاجة قلنا له : لا تبح بها ... فليس إليها - ما حييت - سبيل

لنا صاحب لا ينبغى أن نخونه ... وأنتَ لأُخرى صاحب وخليل

وقال بعض الحكماء : النساء هنَّ معراج الشرف بعفتهن ، ونير المصائب بابتذالهن .

وكان أهالى أثينا القدماء يمنعون الرجل الذى يجتمع بغير زوجته ويعاشرها ، أو يخالط المتبرجات ، أن يكون من أرباب مشورة المدينة ، لأنه لا يُؤمَن على المصلحة العامة .. وبتعبير الشريعة الإسلامية : ساقط العدالة ومجروح .

وقد جاء بالمادة (٤١٦) من الشريعة العبرية : « يجب على الزوجة ألا تخون زوجها ، ويُطلب منها مساعدته وإعانته فيما يحتاج إليه ، ويجب عليها أن تتودد إليه ، وأن تُظهر له الميل والحنان ، ويحرم عليها كل التحريم الاختلاط بغيره ولو كان إبناً أو أخاً . وإذا وُجِدَ معها أجنبى فى مكان وَجَبَ أن يكون المكان مفتوحاً . ولها أن تجتمع بالصبى الذى لم يبلغ التاسعة من عمره » .

* * *

• كيف نحافظ على عفاف المرأة :

قال المرحوم على فكرى [1] : « ولما كانت البيئة التى تنشأ فيها البنت والمؤثرات الخارجية تجعل التهذيب وحده غير كاف لتقويم أخلاقها ، نظراً لأن الله خلق المرأة ضعيفة وميَّالة إلى دواعى الشهوات . وجب أن يُحافظ على البنت من كل ما يُنشىء فى نفسها تأثيراً سيئاً . وذلك بإبعادها عن كل ما يهيج عواطفها تهييجاً تُخشى عواقبه ، فلا يصح أن تغشى دور الملاهى والمراقص . كما أنه يحسن بها عدم قراءة الروايات الغرامية ، وعدم الاختلاط بمن فسدت أخلاقهن من الفتيات .

ويجب أيضاً - لمصلحة الفتاة - ألا تجتمع بالمتزوجات من صديقاتها : أما الاختلاط بالرجال فهو أسوأ ما يكون . ويتحتم ألا تختلط الفتاة برجل ما . قال أحد الحكماء : « العفة حجاب يُمَزِّقُهُ الاختلاط » ، وفى المثل الألمانى : « يجب أن تُحفظ البنت بين أربعة أناجيل ، أو فى وسط أربعة جدران » .

والتذكير بالله وبالآخرة وما أعدَّه الله فيها للشرفاء الأتقياء ، أو العصاة المنحرفين ، هو أعظم الأسباب لوجود العفيفة والعفيف .

وقيل لبعض الأعراب ، وقد طال حبه لجارية - فتاة - : ما كنت صانعاً لو ظفرت بها ولا يراكما إلاَّ الله تعالى ؟ . قال : « أخاف الله . ولا أجعله أهْوَنَ الناظرين ، ولكن أصنع معها ما أصنع بحضرة أهلها ، حديث طويل ، ولحظ كليل - أى يغض بصره - وترك ما يكرهه الرب وينقطع به الحب » - يعنى الإشباع الجنسى .

ودخل رجل غيضة له فقال : لو خلوت هنا بفلانة فلم يرنا أحد . فسمع صوتاً ملأ الغيضة : ﴿ أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ ﴾ [2] .

---

(١) سعادة الزوجين جـ ٢ ص ١٠٨ .

(٢) الملك : ١٤

وهذا كما قال نابغة بنى شيبان :

إن مــــن يركــب الفـواحــش سـراً حـين يخــلو بســره غـير خــال

كـيف يخـلو وعـنده كـاتبـــاه شـاهـــداه وربـــه ذو الجـــلال

ويروى أن سلامة المغنية قالت لعبد الرحمن بن أبى عمار الجشمى الذى سماه أهل مكة قساً لكثرة عبادته ، وكان معجباً بغنائها : يا عبد الرحمن ، أنا والله أحبك . فقال : وأنا والله أحبك . فقالت : وأحب أن أضع فمى على فمك . قال وأنا والله أحب ذلك . قالت : فما يمنعك ؟ فو الله إن الموضع لخال . قال : إنى سمعت الله عز وجل يقول : ﴿ الأخِـــلاَّءُ يَوْمَــئِذٍ بَعْضُــهُمْ لِبَعْــضٍ عَـدُوٌّ إلاَّ الْـمُـتَّقِينَ ﴾ [١] ، وأنا أكره أن تكون خُلَّةٌ ما بينى وبينك تئول إلى عداوة ، ثم قام وانصرف وعاد إلى ما كان عليه من النُسُكِ .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « انطلق ثلاثة رهط ممن كان قبلكم ، حتى إذا جَنَّ عليهم الليل أووا إلى غار فى جبل فانحدرت صخرة من الجبل فسدَّت عليهم الغار ، فقال بعضهم لبعض : انظروا أعمالاً عملتموها لله صالحة فادعوا الله بها لعله يُفَرِّجها ، فقال رجل منهم : اللهم إنه كان لى والدان شيخان كبيران ، ولى صبية صغار ، كنت أرعى عليهم ، فإذا رُحتُ عليهم فحلبت بدأت بوالدىَّ أسقيهما قبل ولدى . لا أغْبِق [٢] قبلهما أهلاً ولا مالاً ، وإنه نأى بى الشجر [٣] ، فما أتيتُ حتى أمسيتُ فوجدتهما قد ناما ، فحلبتُ لهما غَبوقهما وقمتُ عند رأسيهما أكره أن أُوقظهما . وأكره أن أبدأ بالصِّبْيةِ قبلهما ، والصبية يتضاغَون [٤] عند قدمى ، فلبثتُ [٥] والقدح على يدى - أنتظر استيقاظهما ، حتى بَرِقَ الفجر - أى أضاء - فاستيـــقظا

---

(١) الزخرف : ٦٧ (٢) الغَبوق : هو شرب العَشى مقابل الصَبوح . والمراد : لا أقدِّم عليهما أحداً فى شرب نصيبها من اللبن ، والمراد بالأهل : الأولاد ، وبالمال : الرقيق والخدم .

(٣) أى بعد الشجر كناية عن بعد المراعى . (٤) يتضاغون : يصيحون ويبكون .

(٥) مكثت وانتظرت .

فشربا غبوقهما . اللّهم إن كنتُ فعلت ذلك إبتغاءَ وجْهِكَ فافرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة . فانفرجت شيئاً لا يستطيعون منه الخروج .

وقال الثانى : اللّهم .. كانت لى بنت عم كانت أحبَّ الناس إلىّ ، فأردتها عن نفسها فامتنعت منى حتى ألَمّتْ بها سنة من السنين [1] فجاءتنى فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تُخلى بينى وبين نفسها . ففعلتْ . حتى إذا قدرتُ عليها قالت : لا أُحِــلُّ لك أن تَفُضَّ الخاتم إلا بحقه . فتحرجتُ من الوقوع عليها . فانصرفت عنها . وهى أحبُّ الناس إلىّ - وتركتُ الذهب الذى أعطيتها . اللّهم إن كنتُ فعلتُ هذا ابتغاء وَجْهِكَ فافرج عنا ما نحن فيه .. فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها .

وقال الثالث : اللّهم إنى استأجرت أُجراء فأعطيتُهم أجرَهم غير رجل واحد تركَ الذى له وذهب ، فثمَّرْتُ أجره حتى كثرت منه الأموال . فجاءنى بعد حين فقال : يا عبد الله . أدِّ إلىّ أجرى . فقلت له : كل ما ترى من أجرك من الإبل والبقر والغنم والرقيق . فقال : ياعبد الله ، لا تستهزىء بى . فقلت : إنى لا أستهزىء بك . فأخذه كله ، فاستاقه فلم يترك منه شيئاً . اللّهم فإن كنت فعلتُ ذلك ابتغاء وَجْهِكَ فافرج عنا ما نحن فيه . فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون .

وحين حرَّم الله النظر إلى الأجنبى والأجنبية - وإن كان تقياً وشريفاً وقريباً غير محرم - فإنما يسد الذريعة إلى الشيطان ويحمى العفاف . سُئِل رسول الله ﷺ عن دخول الحم على المرأة فقال : « الحمو الموت » أى الأحماء كالموت .

ومن كلام السيد المسيح : « النــظر يُوَرِّع فى القلب الشهوة ، وكفى بها خطيئة » .

---

(١) يريد أنها أصابتها سنة فيها قحط وجدب .

وقال الشاعر :

فتصبَّرْ ولا تشمْ كلَّ برقٍ   رُبَّ برق فيه صواعقُ حَيْنِ
واغضض الطرْفَ تسترح من غرام   تكتسى فيه ثوب ذُلٍ وَشَيْنِ
فقيادُ الفتى موافقة النفـ   ـس ، وبدءَ الهوى طموحَ العَيْنِ

ونظر أشعب ابنه ينظر إلى امرأة نظرة طويلة فقال : يابُنى .. نظرك هذا يُحَبِّل .

وقال بعضهم : إن اللّذة مشوبة بالقُبح . ففكروا فى انقطاع اللّذة وبقاء القُبح .

وقال أبو الفرج فى كتابه « الأغانى » عند ترجمته لجميل بثينة : سمعت أَمَةٌ لبثينة أن جميلاً سيكون عندها الليلة ، فأخرجت والد بثينة وأخاها ، فأتياها مشتملين على سيفين ، فرأياه جالساً حجرَةً - أى ناحية - منها ، يُحدِّثها ويشكو إليها بَثَّه - أى حار عواطفه - ثم قال لها : يا بثينة .. أرأيتِ وُدِّى إياكِ وشغفى بكِ . ألا تجزينيه ، قالت : بماذا ؟

قال : بما يكون بين المتحابَّين ، فقالت له : ياجميل أهذا تبغى ؟ واللّه لقد كنت عندى بعيداً منه . ولئن عاودتَ تعريضاً بريبة لا رأيت وجهى أبداً . فضحك وقال : واللّه ما قلتُ لك هذا إلا لأعلم ما عندكِ فيه . ولو علمت أنكِ تجيبيننى إليه لعلمتُ أنكِ تجيبين غيرى . ولو رأيتُ منك مساعدة عليه لضربتُكِ بسيفى هذا ما استمسك فى يدى .. ولو أطاعتنى نفسى لهجرتُكِ هجرة الأبد ، أوَ ما سمعت قولى :

وإنى لأرضى من بثينة بالذى   لو أبصره الواشى لقرَّت بلابله
بِلا . وبأن لا أستطيع ، وبالمُنى   وبالأمل المرجوِّ قد خاب أمله
وبالنظر العَجْلى ، وبالحول تنقضى   أواخره لا نلتقى وأوائله

فقال أبوها لأخيها : قم بنا ، فما ينبغى لنا بعد اليوم أن نمنع هذا الرجل من

لقائها . فانصرفا وتركاها . ومع هذا فإن الشرع يعتبر انصرافهما وتركه معها - رغم هذا الطهر - خطأ .

فوجود المُحْرِم أو الزوج مع المرأة يكون دائماً وقاية لها من النزوات ووسوسة الشياطين إنساً وجناً ، ولهذا شرع الله ألا تُسافر امرأة إلا ومعها مُحْرِم . ومَنْ تَرخَّصَ من الفقهاء قال بجواز حج الفريضة برفقة صالحات عند عدم المُحْرِم .

قال الهيثم بن عدى : قدمت امرأة شريفة من بنى كلب مكة للحج ، وكانت من أجمل النساء - فرآها عمر بن ربيعة ، فجعل يكلمها ويتبعها كل يوم فتقول له : إليك عنى [1] فإنك فى حَرَم الله وفى أيام عظيمة الحُرمة ، فألحَّ عليها . فخافت الشهرة - أى الفضيحة - فقالت لزوجها ذات يوم : إنى أحب أن أتوكأ عليكَ إذا رُحْتُ إلى المسجد . فراحت متوكئة على زوجها فلما أبصرها عمر ولّى . فقالت : على رِسلك [2] يا فتى :

تعدو الذئاب على من لا كلاب له ... وتتقى مِربض المستثفر[3] الحامى

والتفريق بين الإناث والرجال فى النوم ، وقلة المحادثة والمناجاة بين الجنسين وقاية للعفاف ، وكما يقول المثل المصرى « حُرُّ النساء بُعْدُ الرجال عنهن » أى حرارة العفة تلازم صون المرأة من أن تقترب فى نومها أو حديثها مع رجل ..

قيل لابنة الخُس - وهى هند بنت الخُسِّ بن حابس بن قُرَيْط الإيادية - وكانت معروفة بالفصاحة ، ورُوِىَ لها أمثال كثيرة تداولتها العرب ، وكانت قد زنت بعبدها ، فأتت بغلام ، فقيل لها : زنيتِ وأنت سيدة قومك ؟ فقالت : قرب الوساد ، وطول السوار . - والوساد هو المخدة ، والسوار : المسارة ، وقيل المزودة - . ولهذا فرض الإسلام تنحية العبيد والخدم عن الاطلاع على المرأة فى

---

(١) بمعنى اذهب ، وابتعد . (٢) على رسلك : بمعنى مهلاً .

(٣) المستثفر : الكلب إذا أدخل ذنبه بين فخذيه حتى يلزقه ببطنه - وهذا هو الاستثفار والأمثال لا تغير ، لهذا لا نجد زوجها يغضب من ضربها المثل المذكور .. ولكن على الزوجين أن ينتقيا الأمثال التى لا يكون فيها مساس بكرامة السامع .

زينتها ، وأمر بالتصوُّن من الخدم القادرين على الجماع ، فلا يُسمح للخادم برؤية المرأة فى زينتها إلا كما قال ربنا : ﴿ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ ﴾ (١) .

وما انهارت البيوت إلا من الخدم بسبب عدم التحفظ .

يُروى أن « يسار الكواعب » كان عبداً لبنى غُدانة ، ولم يمنعه سقوط منزلته الاجتماعية من مراودة مولاته عن نفسها فنهته مرة بعد مرة وألَحَّ فوعدته . فجاء ، فقالت له : إنى أريد أن أبخــرك فإن رائحــتك متغيرة ، فوضعت تحته مجمرة ، وقد أعدت له حديدة حادة فأدخلت يدها فقبضت على متاعه ، وهو يرى أن ذلك لشىء . فقطعته بالموسى فقال : « صبراً على مجامر الكرام » فذهبت مثلاً ، وصار هو مثلاً .

وشك أبرويز فى أحد رجاله واختبره فوجده زانياً خائناً فوسمه بسمة الزناة ونفاه من المدائن . فأخذ موسى وجَبَّ نفسه - أى قطع عضو التذكير - وقـــال : « من أطاع عضواً صغيراً . فسدت سائر أعضائه » . ومات من ساعته .

ورضى الله عن ابن عباس إذ قال : « الشيطان من الرجال والنساء فى ثلاثة منازل : فى النظر ، والقلب ، والفرج ».

وفى المخالطة نظرات وألفة قلب . ويسر اقتراب يفضى إلى الخناء ، ولو كان اقتراباً من راهبة فى دير . قيل لأبى الطحَّان القينى : خبرنا عن أدنى ذنوبك . فقال : ليلة الدير . قالوا : وما ليلة الدير ؟ قال : نزلتُ على دير أنيّة - صاحبة الدير - فأكلتُ طُفَيْشلاً - نوع من المرق - بلحم خِنزير ، وشربتُ من خمرها . وزنيتُ بها ، وسرقتُ كَساءها ومضيت .

وذوو العفة الحريصون على عفاف النساء يتحاشون زيارتهن عند غياب أزواجهن مهما كانت الصداقة ، كما يحذرون مداعبة الأطفال أمام أمهاتهم ، ففى هذا كسب لعراطفهن ، كما قال عقيل بن عَلَّفة :

---

(١) النور : ٣١

ولست بصادر عن بيت جاري صدور العير غَمْرةُ الورود [1]
ولست بسائل جارات بيتي أغُيّاب رجالك أم شهود
ولا ألقى لذى الودَعات [2] سوطى لألهيه . ورِبْته أريد

أو كما قال مسكين الدارمى :

لا آخذ الصبيان ألثمهم والأمر قد يُغزى[3] به الأمر

أو كما قال صاعد اللُغوى صاحب « الفصوص » والذى وفد إلى الأندلس :

إذا رأيت صبىٌ القوم يلثمه ضخم المناكب ، لا عم ولا خال
فاحفظ ثيابك منه أن يدنسها ولا يغرنك حسن الحال والمال

ومع المبالغة فى هذا التعميم الذى قاله صاعد ، فإن الأصل موجود بلا ريب قل أو كثر ، والاتفاق على أن المرأة فى خروجها ومقابلاتها واختلاطها بالرجال إنما تُثير وتُثار .

قال عبد الله بن المقفع : إياكَ ومشورة النساء فإن رأيهن إلى أفن[4] وعزمهن إلى وهن ، واكفف عليهن من أبصارهن بحجابك إياهن ، فإن شدة الحجاب خير لك من الارتياب ، وليس خروجهن بأشد من دخول من لا تثق به عليهن ، فإن استطعت ألا يعرفن غيرك فافعل ، ولا تملكن امرأة من الأمر ما جاوز نفسها ، فإن ذلك أنعم لحالها ، وأوصى لبالها ، وأدْوَم لجمالها ، وإنما المرأة ريحانة وليست بقهرمانة [5] ، فلا تَعْدُ [6] بكرامتها نفسها ، ولا تُطمعها فى أن تشفع عندك لغيرها .

---

(١) العير : الحمار ، وغمره الورود : لم يرتو عند وروده الماء ، ففيه حاجة إلى العودة .
(٢) ذى الودعات : الطفل (٣) يغزى : يقصد - من قولهم : عرفت مغزاك ، أى مقصدك .
(٤) الأفن - بسكون الفاء : النقص ، وبالفتح : الضعف .
(٥) كلمة فارسية بمعنى المدير المالى : وكيل الخزانة . (٦) فلا تتجاوز .

وهو قول سديد ، غير حديثه عن المشورة ، فالمروى أن رسول الله ﷺ استشار زوجاته ، وفرّق بين المشورة لاستشفاف وجه الصواب ، وبين الانصياع لرأى المرأة دون وزن له ، كما أن إطماعها فى أن تشفع لغيرها خطأ فى مسائل السياسة العامة والأمور الجسام ، وفيما يتصل بالرجال .

ولأن استشفاعها لمخطىء يبعث الريبة فى قلب رجلها ، ويجب عليها أن تتحاشى ذلك ، بل على المرأة أن تنأى عن كل المشكلات البعيدة عن مملكتها واختصاصها .

ويُروى أن خالد بن يزيد بن معاوية وقع يوماً فى عبد الله بن الزبير ، وأقبل يصفه بالبخل ، وكان خالد زوجاً لرملة بنت الزبير ، أخت عبد الله ، فلم تنبس ببنت شفة[1] ، وأطرقت . فقال لها خالد : مالكِ لا تتكلمين ؟ أرضاً بما قلته . أم تنزهاً - أى ترفعاً - عن جوابى ؟ . قالت : لاَ هذا ولا ذاك . ولكن المرأة لم تخلق للدخول بين الرجال ، إنما نحن رياحين للشم والضم . فما لنا وللدخول بينكم ؟ فأعجبه قولها ، فقام وقَبَّل ما بين عينيها .

فما بال نساء اليوم يدخلن فيما بين أزواجهن وبين غرباء لا يمتون إليهن بصلة ؟

وقال العلماء فى الآية : ﴿ الزَّانِيَةُ والزَّانِى فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ﴾[2] .

إنما قَدَّم الزانية لأن الزنا فى الأغلب يكون بتعرضها للرجل وعرض نفسها عليه فهى التى تُقَوِّض عفافه فيقع على عفافها يهدمه .

* * *

(١) بنت الشفة : الكلمة ، وتنبس وتهمس : تنطق .

(٢) النور : ٢

الفصل السادس

حُقُوقُ الزَّوْجَة أو وَاجِبَات الزَّوْجْ

- متى ولِمَ أثيرت حقوق المرأة :
  - المرأة فى غير الإسلام .
  - الحضارة الإغريقية .
  - الحضارة الصينية .
  - البوذية .
  - الهندوس .
  - عقيدة نيوج .
  - عقيدة سانتى .
  - اليهودية .
  - المسيحية .
  - جريمة الزواج .
  - صورة المرأة فى الإسلام .
- حقوق الزوجة :
  - رضا الزوجة عن زوجها - حسن المعاشرة .
  - حق المداعبة والملاطفة - أن يكون معتدل الغيرة .
  - النفقة فى اعتدال - القسمة العادلة بين زوجاته .
  - الاعفاف بالإشباع الجنسى للزوجة .
  - الرعاية الدينية وحسن التوجيه .
- عند الخلافات الزوجية :
  - أين ما يسمى ببيت الطاعة ؟
  - آداب والتزامات عند الطلاق .

متى ولِمَ أثيرت حقوق المرأة ؟

لم يُطرح للمرأة شىء من الحقوق فى غير المجال الإسلامى إلا فى أواخر القرن التاسع عشر الميلادى ، بعد أن توسّعت النهضة الصناعية فى أوروبا . فأوجدت - مع توسعها - أسلوباً جديداً للحياة اضطر المرأة إلى أن تخرج للعمل فى المصانع والشركات والمعامل . فكانت الحاجة إلى عملها أعظم ضاغط على الرجل جعلتها تفتح فمها بالمطالب ، وتقاضيه ما سُمِّىَ : « حقوقاً للمرأة » .

ومع الدفعة الصناعية كان انفتاح على الثقافة العربية والإسلامية فى صورة ما ، سواء أكانت سليمة أم مشوهة ، وفى هذه الثقافة لمحت المرأة الغربية صورة المسلمة . لها مهر يدفعه الزوج فى الوقت الذى تدفع فيه المرأة الغربية لزوجها « الدوطة » .

رأت المسلمة تملك وترث وتتصرف فى مالها ، وتبرز فى معارك السياسة والحرب كيوم صفين ، وفى غزوات الإسلام ، وفى معترك المعرفة تبدو محدثة وناقدة وشاعرة ، وهذا لا يتأتى لها إلا فى إطار كبير من الحرية ، ولها فى الإسلام حق الملكية ، وحق المطالعة والتثقف ، وحق الحركة .. وحق التفكير والرأى .. وحق المحافظة عليها وعلى حقوقها .

أضواء من الإسلام تلمع بين سحب التشكيك فى « محمد » عليه الصلاة والسلام ، وفى رسالته . كان لها انطباع فى نفوس نساء الغرب دفعهن إلى تلمس الحياة الكريمة فبدأت ثورة المرأة الأوروبية على الرجل .

ولما كان الغزو الاستعمارى الغربى للدول العربية والإسلامية حين غاب عنها الإسلام . رأينا - إلى جانب الإرهاب بسلاح المدفع - عملية التحطيم للمجتمعات العربية الإسلامية بتمزيقها فكرياً ، وحول المصالح الطائفية والحزبية . ومن بين عمليات التمزيق الفكرى وإظهار سمو النظم الغربية وسقوط النظم الإسلامية ، فنسب المستعمر وأبواقه إلى الغرب احترام المرأة ، وإلى الإسلام

« احتقار المرأة » وتضييع حقوقها . وهكذا « رمتنى بدائها وانسلت » . وظهر فى مصر « تحرير المرأة » و « المرأة الجديدة » لقاسم أمين وكان كتاباه مضغة الأفواه . ومجال صرير الأقلام بين ناقد متحامل وبين معتدل متزن . فكتب فى الرد عليه طلعت حرب كتابه « تربية المرأة والحجاب » .

وأخذت تناصر قاسماً فى عنف « هدى شعراوى » وجماعتها التى انشقت عليها إحدى تلميذاتها لترفع راية المعارضة إلى أقصى ما يمكن من معارضة فأسست جماعة السيدات المسلمات ، ألا وهى الحاجة « زينب الغزالى الجبيلى » .

ووقفت فى كثير من الاتزان والاعتدال تناصر « تحرير المرأة » السيدة « مَلَكَ حفنى ناصف » التى اشتهرت باسم « باحثة البادية » وقد نشرت جريدة « المنار » خطبة ألقتها فى نادى الأمة عام ١٩٠٩ (١٣٢٧هـ) [١] .

وغاية ما تنشده هو ما عليه الفتاة المسلمة بزيها الإسلامى فى مواقع العمل المختلفة الآن . وأما ما ذمته من التبرج والسفور فهو عُشر معشار التبذل والسقوط الذى عليه جمهرة نساء العصر من شتى الطبقات . وأصبح التبذل عُرفا سائغاً ، وبالتعبير المأثور عن رسول الله ﷺ : « كيف بكم إذا طغى نساؤكم ، وفجر شبانكم ، وتركتم جهادكم » ؟ قالوا : وإن ذلك لكائن يارسول الله ؟ قال : « نعم .. والذى نفسى بيده وأشد منه سيكون ، كيف بكم إذا رأيتم المعروف منكراً ، والمنكر معروفاً » ؟ ! قالوا : وإن ذلك لكائن يارسول الله ؟ قال : « نعم .. وأشد منه سيكون . يقول الله : بى حلفت : لأسلطن عليهم فتنة تدع الحليم فيهم حيران » ؟ قالوا : وما المخرج يارسول الله ؟ قال : « حتى تأطروهم على الحق أطراً » . أى تواجهوا الانحراف بقوة كبرى ، تأخذ صورة القانون ، والتأديب الجماعى ، والاستنكار الإعلامى . زيد فى رواية : « كيف بكم إذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف » ؟ قبل قوله : يقول الله : بى حلفت .... » .

---

(١) مجلة المنار المجلد ١٢ جـ ٥ وكتابنا « المسلمة العصرية عند باحثة البادية » .

والذين فى بيوتهم عورة لا يزالون يطالبون بما يسمونه « تحرير المرأة » أو كما يقول « الاسلاميون » : « تجرير المرأة » أى جرها إلى منزلق الرذيلة ، حتى إذا ما فشت فأشية السوء وحُجبت الفضيلة ، لم يُوجَّه للذين فى بيوتهم عورة أى نقد ، فالحق أن صيانة المرأة من التبذل لا يختلف أحد فى أنه محمدة ، حتى فى نظر المتبذلة من النساء ، وإنما يريدون بالضجيج الذى يصنعونه ، إقامة خط دفاع من الواقع الذى يتسع خرقه على الراقع يحتمون وراءه » .

* * *

• المرأة فى غير الإسلام :

وليتضح لنا أن المستعمرين وخصومنا من كل ملة - شرقاً رغرباً - إنما يقومون بما يسمى (الإسقاط) فى علم النفس . أى قذف الغير بتهم هى فى القاذف . لا المقذوف بها ، نذكر مجموعة من النصوص الدالة على ضياع المرأة فى غير الإسلام [١] .

ـ فى الحضارة الإغريقية :

قال سقراط الحكيم : « إن وجود المرأة هو أكبر منشأ ومصدر للأزمة والانهيار فى العالم . إن المرأة تشبه شجرة مسمومة . ظاهرها جميل ، ولكن عندما تأكل منها العصافير تموت حالاً » .

ويصف أندروسكى « Anderosky » شخصية المرأة عند الإغريق فيقول : « قد نتمكن من أن نعالج حرقة النار ولدغة الحية . ولكن ليس للمرأة السيئة الأخلاق أى علاج » .

وفى عهد الإمبراطورية الرومانية كان الرومان يسكبون الزيت الحار على

(١) صادق الكميل : شخصية المرأة فى الاسلام ط . أولى ص ١١ ، ٢٢ وما بعدها .

أبدان النساء التعيسات . ويربطون البريئات بذيول الخيول ثم يجرونها بأقصى سرعة ، كما يربطون الشقيات بالأعمدة ويصبون النار على أبدانهن .

وليس هذا منحصراً فى القرون الأولى لدين المسيح ، فقد امتد إلى أواخر القرن السابع عشر الميلادى . عندما أصدر رجال العلم والمعرفة فى رومانيا فتوى تنص على أنه « ليس للمرأة روح » .

وقد روى الدكتور اسبرينج « Dr. Aspring » أنه « فى سنة . . ١٥ ميلادية تشكل مجلس اجتماعى فى بريطانيا خصيصاً لتعذيب النساء . وابتدع هذا المجلس وسائل جديدة لتعذيبهن ، وعلى هذا الأساس أحرق المسيحيون النساء وهن أحياء » .

ولا شك أن مسيحية المسيح من هذا براء .. وإنما هذا أثر لتأثر المسيحية بالفلسفة الإغريقية حين التحمتا .

* * *

ـ فى الحضارة الصينية :

ذهب كونفوشيوس الحكيم إلى ضرورة الطاعة العمياء من المرأة للرجل ومن المحكوم للحاكم عن رضاً تام . وهذا اللون من الطاعة عبادة . فحمى نظم الحكم والحكام من الثورة ، كما حمى من ثورة النساء . فاستمرأ الأمر كل من الحاكم - بالنسبة للرعية - ، والرجل - بالنسبة للمرأة - وظل الاستبداد حتى الحرب العالمية الأولى بل والثانية .

لقد سميت المرأة فى كتب الصين القديمة « بالمياه المؤلمة » التى تغسل المجتمع أو تكنسه من السعادة والمال . فهى شر يستبقيه الرجل بمحض إرادته ، ويتخلص منه بالطريقة التى يرتضيها . ولو بيعاً . كبيع الرقيق والمتاع حتى كان بالصين زهاء ثلاثة ملايين جارية عام ١٩٣٧ .

وقد يَعضُلون المرأة عن الزواج إذا مات زوجها . فتبقى حيواناً يخدم فى

البيت - دون حق إنسانى - تماماً كالحمير والبغال . ولا زلنا نرى إلى عهد قريب الأحذية الحديدية التى تُصنع لقدمى الطفلة حتى لا تنمُوا . وليعوقها هذا عن التحرك الواسع ، ويعجزها عن المقاومة للرجل .

* * *

ـ فى البوذية :

قال المؤرخ المعروف وستر مارك « Wester Mark » : « فى نظر البوذيين . أن جميع النساء كالمصيدة ، وُضِعْنَ لإغواء وفتنة الرجال ، وأن هذه القوة تجسدت بأخطر الأشكال فى أصل المرأة بحيث تغوى الرجال . وهذا الإغواء هو الذى يعمى أفكار العالم » .

واستنبط أحد المحققين من كتاب « بتانى » أن : « العمق اللامتناهى - كصيد السمك فى أعماق الماء - من إحدى خواص المرأة ، حيث يجمِّلن أنفسهن بالزينات الكاذبة التى تجعلنا نعجز عن كشف الحقيقة فى جنس المرأة فالصدق فى نظر المرأة كالكذب ، والكذب لا يُشبِّه إلا بالصدق ، ولهذا فالنجاة لا تحصل بمجالسة النساء ، وإنما بالعزوبة والفرار منهن » (راجع رومى أونك - القانون البوذى ، القسم الأول ، ص ٢) .

* * *

ـ فى حضارة الهندوس :

« إن العادات المتبعة فى الزواج بين الهنود القدامى على صور أسورا « Ass0ra » لا تأخذ إلا صورة بيع رجل لابنته ، فهى إذن لا ترث زوجاً لأنها بضاعته . ولا ولداً ، لأنها مستولدة أبيه ، ولا أباً ، لأنها قطعة من مملوكاته معروضة للبيع تحت اسم التزويج » .

ولا تزال البنت حتى عصرنا هذا - فى بعض الولايات الهندية - تعتبر وقفاً

للآلهة . فهن تحت اختيار الآلهة فى المعبد ، وإن شئت قلت : تحت اختيار أمناء المعابد وفى خدمتهم .

* * *

ـ وفى عقيدة نيوج « NiyOg » :

« يمكن للمرأة أن تضطجع مع رجل أجنبى من أجل إنجاب الأولاد إذا لم يكن عندها ولد » .

وفى كتاب « مانو » الذى تدين به الهندوسية (ص ٤) :

« لا يُسمح للبنت ، ولا للمرأة الشابة ، ولا للعجوز فى داخل البيت أن تعمل عملاً مستقلاً عن الزوج ، وعلى البنت فى الصغر إتباع والدها . وفى الشباب إطاعة زوجها . وبعد موت زوجها يجب عليها أن تتبع أولاد زوجها ، ولا يُسمح لها بأى استقلال فردى » .

وفى عقيدة « بها كوداكينا » يقول السير بندراكار « Pandrakar » :

« يرون المرأة ما هى إلا تجسيد للأرواح الخبيثة المجرمة التى ولدت على هيئة امرأة ».

وتقول السيدة البروفيسورة أنديرا « Andira » فى كتابها « وضع المرأة فى مها بهارتا » : « تُشَبَّه المرأة بالسيف الحاد . إنها تُوَلِّد النيران .. ومن أجل هذه الخصائص ، على الرجل ألا يحبها ولا يعشقها أبداً » .

* * *

ـ وفى عقيدة سانتى :

« يجب على كل زوجة يموت زوجها أن يُحرق جسدها على مقربة من جسد زوجها المحروق » . ومن لم تفعل أذلها الشعب إذلالاً يجعل الموت أهون وأكثر راحة لها من الحياة [١] .

* * *

---

(١) شخصية المرأة فى الاسلام ص ٣٢ - ٣٣ .

ــ فى اليهودية :

يقول اليهود : المرأة فى المحيض نجسة تُحبس فى البيت، فكل ما تلمسه من طعام أو كساء أو إنسان أو حيوان يُنَجَّس . وكل ما يفعله الرجل من أعمال لا أخلاقية فإثمه على المرأة ، ففى التوراة : « لقد بدأ الذنب من طرَف المرأة وإن المرأة هى التى توجب موتنا »[1] وفى سفر التكوين (الفصل ٣ - الفقرة ١٣) : « فقال آدم : المرأة التى جعلتها معى هى أعطتنى من الشجرة فأكلت ».

فأين هذا من القرآن إذ يُحَمِّل آدم وحواء المسئولية على قدم المساواة ، ثم يلزم الرجل الشقاء من أجل إسعاد زوجته ﴿ فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلاَ يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴾ [2] ، ثم يقول : ﴿ فَأَكَلاَ مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ ﴾ [3] يلزم آدم خطيئة نفسه فيقول فى نهاية الآية ﴿ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴾ [4] .

* * *

ــ فى المسيحية :

تقول المسيحية : إن المرأة هى التى أغوت آدم بالخطيئة من أجلها بعث الأب ابنه الفريد عيسى ليُصلب فيغسل ذنوب البشرية . ولهذا فالمرأة متهمة فى المسيحية اتهاماً يجعل الفرار من الاقتران بها هو الفضيلة الأولى التى تقابل كَونها هى باعثة الخطيئة الأولى .

ويقول ترتولين المقدس للنساء : « هل تعلمن أن كل واحدة منكن حواء بالذات .. يستمر إلى اليوم توبيخ الله لكُنَّ ولجنسكن عامة . وعلى هذا يجب أن يبقى فى نسلكن الشر والحقد ، أنتن أيتها النساء مدخل للشيطان . أنتن اللاتى قطفتن من ثمار تلك الشجرة الممنوعة . أنتن اللاتى حطمتن القانون

---

(١) المرجع السابق ص ٢٦ .
(٢) طه : ١١٧
(٣) طه : ١٢١
(٤) طه : ١٢١

الربانى . أنتن اللاتى خدعتن آدم ، وذلك قبل أن يبدأ الشيطان حملاته . أنتن اللاتى أضعتن سماء الله بسهولة كاملة من طبيعة البشر . إن شقاء الموت يرجع لعملكن القبيح ، وحتى موت ابن الله يرجع لعملكن الشنيع » .

ويقول الأب جريجورى توماركوس : « لقد بحثت عن العفة بينهن ولكن لم أعثر على أى عفة . يمكن أن نعثر على رجل - من بين الألف رجل - ذى عفة وحياء . ولكن لن نتمكن أن نعثر على امرأة واحدة لها عفاف وخجل » .

ومن ثَمَّ فإنه يقول : « إن الوحشية والافتراس خاصة للكواسر ، والغضب المملوء بالموت خاصة للثعابين ، ولكن المرأة علاوة على امتلاكها لهاتين الصفتين تتصف بالحقد والحسد أيضاً » .

وكان مؤسسو الكنيسة وآباؤها المقدسون يحترزون عن المرأة احترازاً كاملاً ، ويسمونها « عضواً من أعضاء الشيطان ، وأساس الأسلحة الشيطانية » ويقولون : « إن المرأة مدخل للشيطان . وطريق للعذاب كلدغة عقرباء ، والبنت : تعنى الكذب وجندية الجحيم ، وعدوة الصلح ، وأخطر الحيوانات المفترسة » .

ويقولون : « إن صوت المرأة كصوت الحية ، وإنها كالعقرباء التى تكون دائماً مستعدة للدغ » .

ويقولون : « لقد تحمل المرأة بيدها سِنان الجن والشيطان ، إن الشيطان يتسلط على الأرواح بواسطة هذه السِنان » .

وقال ست جون كريستم : « إن المرأة شر ضرورى ولازم . ومصيبة مطلوبة . وسحر قتَّال . ومرض يمتلىء بالزينة والجمال » .

وتُجَرِّد المسيحية - فى الغرب - المرأة من العقل ، ويجعلون تفكيرها ليس عملية عقلية ، وإنما هو تفتق الغريزة عن مطلبها وكفايتها .

قال ست كلمين - من أهالى الإسكندرية - : « العقل أمانة عند الرجال ، لا يلحقه أى خطأ أو عيب . ولكن التفكير بطبيعة المرأة شىء مخجل ومخز حقاً ».

بل تجعل المسيحية تعليم المرأة منكراً . يقول بولس المقدس قائد المسيحيين الأول : « دعوا المرأة تتعلم السكوت والهدوء أمام كل المصاعب والمتاعب التى تتحملها ، ولكننى لا أتمكن أن أصمت أمام امرأة تدرس أو تتسلط على زوجها ، لأن أول من خُلِقَ كان آدم . ومن ثَمَّ خُلِقَتْ حواء » .

بل وتنفي وجود الروح فى المرأة ، جاء فى كتاب وستر مارك (ص ٦٦٣) : « لقد صرح أحد القساوسة الكبار ذات مرة فى مجلس ماسكونى « بأن المرأة لا تتعلق ولا ترتبط بالنوع البشرى » .

وتزعم الكنيسة الأرثوذكسية اليونانية بأن المرأة جسد بلا روح .

* * *

• جريمة الزواج :

وقد ترتب على اعتقاد نجاسة المرأة وشرورها الدعوة إلى اجتنابها ، والتحذير من الإقتران بها أو الاقتراب منها . بل وتيسيراً للوصول إلى هذا حُبِبَ إلى المرأة الحياة بلا زوج . ويُحَبِّب وليها فى تركها دون بعل . ففى إنجيل لوقا (الفصل ٢٣ - الجملة ٢٩) : « فها : إنها تأتى أيام يُقال فيها : طوبى للعواقر والبطون التى لم تلد والثدى التى لم تُرضع » .

وفى رسالة القديس بولس الأولى إلى أهل كورنثس بالفصل السابع يقول :

« فإنى أود لو يكون جميع الناس مثلى ، لكن كل أحد له من الله موهبة تخصه ، فبعضهم هكذا وبعضهم هكذا » .

« وأقول لغير المتزوجين وللأرامل : إنه حسنٌ لهم أن يبقوا على هذه الحال كما أنا . فإن لم يَعِفُّوا فليتزوجوا . فإن التزوج خير من التحرق » (جملة ٧ ، ٨ ، ٩).

ثم يقول فى الجملة ٣٨ : « إذن .. من زوَّج عذراء، يفعل حسناً .. ومن لم يزوجها يفعل أحسن » ، وقد قال فى الجملة الأولى : « أما من جهة ما كتبتم به إلىَّ ، فحسن للرجل ألا يمس امرأة » .

وفى الجملة ٢٧ : « أنت مطلق من امرأة ، فلا تطلب امرأة »

وفى الجملتين ٣٢ ، ٣٣ : « إنى أريد أن تكونوا بلا هَمٍّ . فإن غير المتزوج يهتم فى ما للرب كيف يرضى الرب ، وأما المتزوج فيهتم (أى فيما يرضى الرب) وفى ما للعالم ، كيف يرضى امرأته (فهو منقسم) » .

وقال جريجورى : « القداسة والبركة لذلك الرجل الذى يقضى عمره بالعزوبية . ولا يلوث جسمه الملكوتى الذى وهبه الله له بالشهوة الجنسية » .

وأمام هذا كله ، لجأت المرأة إلى الدير هرباً من أن تُرَى أمام بنى الإنسان فى صورة مروِّعة ، وهرب الرجال إلى الدير أيضاً خشية الوقوع تحت إغراء المرأة .

قال جوزيف مكاب فى كتابه « المستندات الاجتماعية للمسيحيين » (الغربيين طبعاً) : « لقد أدت أعمال القسيسين القذرة إلى حد الإزعاج بحيث أخذت تُرهب سكَنَةَ القُرى والقصبات التى يسكن فيها القسيس ، وتهدِّد أُسَرهم بالانهيار ، ولهذا كانوا يجبرون القسيس على الزواج المؤقت حتى لا تتكرر تلك الحوادث السيئة مرة ثانية » .

وفى كتاب « التاريخ الأخلاقى للأوروبيين » الذى ألَّفته جماعة القسيس « ليكى » ما نصه : « إن آثار الكُتَّاب فى القرون الوسطى مملوءة بمفاسد الراهبات . وكم طفل من الأطفال الأبرياء قُتلوا داخل جدران الأديرة المغلقة » .

وإن كثرة شيوع زنا القسيسين بالمحارم أدى إلى صدور قرارات وأوامر مؤكدة حول عدم السماح لهم بالعيش مع أخواتهم وأمهاتهم فى مكان واحد » .

ودعت هذه الجماعة إلى فتح الطريق أمام المسيحيين فى الغرب للزواج [1] تمشياً مع الفطرة .. وإن كانت المذاهب الأخرى تعارضهم .

---

(١) شخصية المرأة فى الإسلام ص ٤٣ - ٤٥ .

هذه الصورة التى تركنا النصوص ترسمها للملل والنحل والنُظم الاجتماعية المتباينة فى عصور وأقاليم شتى ، تُرينا المرأة فى صورة الحيوان الطريد المخيف الذى ليس مجرد فاقد حقٍّ ، وإنما حقُّه الإيذاء . وفى أقل درجة وأكثرها رحمة به .. الاجتناب .

* * *

• فما هى صورة المرأة فى الإسلام ؟

إنها صورة الجمال مقابل القبح ، وصورة العدل فى مواجهة الظلم ، وصورة الحب والالتقاء فى مقابل البغضاء والتدابر .. إنها صورة ارتباط على وحدة الجنس : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُم مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ (١) . ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ (٢) . فهى مسكن هادىء . بل هى السكن الهادىء . . والرجل هو الحركة الدائبة الطوافة التى تنتهى فى حركتها وتطوافها .. إلى المرأة .. إلى السكن ﴿ لِتَسْكُنُوا ﴾ .

ولكى يزيل الله شبهة انتقاص المرأة قدَّمها فى الذكر عندما بيَّن فضله على عباده فى هبة الأولاد ، إذ قال سبحانه : ﴿ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثاً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴾ (٣) . ويُعلن المساواة التامة بين الجنسين : ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلاَ يُظْلَمُونَ نَقِيراً ﴾ (٤) .

وإليك بيان ما لهذه المرأة لدى رجلها من حقوق وما عليه لها من واجبات :

---

(١) أول سورة النساء — (٢) الروم : ٢١

(٣) الشورى : ٤٩ — (٤) النساء : ١٢٤

حقوق الزوجة

جماع الأمر كله فى الآية الكريمة : ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِى عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ، وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾ (١) .

وأهم هذه الحقوق فيما يلى :

أولا - رضاء الزوجة عن زوجها :

ففى الحديث : « لا تُنكح الثيب حتى تُستأمر ولا البكر حتى تُستأذن ، وإذنها صماتها » . ولهذا كان لها حق رؤية خطيبها . كما له حق رؤيتها قبل الخطبة ، وعلى خاطبها أن يصارحها ويصدقها القول . فلا يخفى ما تكرهه النساء عادة من الرجال . روى الديلمى فى مسند الفردوسى عن عائشة عن النبى ﷺ قال : « إذا خطب أحدكم المرأة وهو يخضب السواد ، فليعلمها أنه يخضب » أى يصبغ شعره .

* * *

ثانياً - حسن المعاشرة :

قال تعالى : ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالمَعْرُوفِ ، فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً ﴾ (٢) .

كلمة « عسى » التى وُضِعَتْ فى اللُّغة للرجاء تدل على الأمل الواسع الكبير فى تعويض الله للذين يصبرون على زوجاتهم أو أى أمور يكرهونها لما فيها من متاعب لهم .

وقد روى ابن ماجه والترمذى من حديث عمر بن الأحوص الجُشمى أنه سمع رسول الله ﷺ يقول فى حجة الوداع : « استوصوا بالنساء ، ألا إن لكم على نسائكم حقاً . ولنسائكم عليكم حقاً ، فحقهن عليكم أن تحسنوا إليهن فى

---

(١) البقرة : ٢٢٨ (٢) النساء : ١٩

كسوتهن وطعامهن ، وحقكم عليهن ألا يُوطئن فُرُشكم من تكرهون ، ولا يأذنّ في بيوتكم لمن تكرهون » .

وروى ابن حبّان في صحيحه عن عائشة عن رسول الله ﷺ أنه قال : « خيركم خيركم لأهله » ، وفي رواية : « خيركم ألطفكم بأهله » ، وكان رسول الله ﷺ شديد اللُّطف بالنساء ، وفي سفر من أسفاره قال لسائق الإبل : « يا أنجشة .. رفقاً بالقوارير » يعني النساء في الهوادج .

ويُروى عنه ﷺ أنه قال : « أيُّما رجل صبر على سوء خُلُق امرأته أعطاه الله من الأجر مثل ما أعطى أيوب عليه السلام على بلائه ، وأيُّما امرأة صبرت على سوء خُلُق زوجها أعطاها الله من الأجر مثل ما أعطى آسية بنت مزاحم امرأة فرعون » .

وهذا الحديث وإن ضعف إسناده يشهد له أن الله يضرب لنا في القرآن مُثلاً تعليميه للتأسي بذكرى قصة أيوب وقصة امرأة فرعون : ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُولِي الأَلْبَابِ ﴾ (١) .

وقد رُوي أن رجلاً جاء إلى عمر رضي الله عنه يشكو خُلُق زوجته فوقف على بابه ينتظر خروجه ، فسمع امرأة عمر تستطيل عليه بلسانها وتخاصمه ، وعمر ساكت لا يرد عليها ، فانصرف الرجل راجعاً ، وقال : إن كان هذا حال عمر مع شدته وصلابته وهو أمير المؤمنين فكيف حالي ؟ وخرج عمر فرآه مولياً عن بابه فناداه وقال : ما حاجتك أيها الرجل ؟ فقال : ياأمير المؤمنين ، جئت أشكو إليك سوء خُلُق امرأتي وإستطالتها عليّ . فسمعت زوجتك كذلك فرجعت وقلت : إذا كان هذا حال أمير المؤمنين مع زوجته فكيف حالي ؟ فقال عمر : يا أخي .. إني أحتملها لحقوق لها عليّ : أنها لطبّاخة لطعامي ، خبّازة لخبزي . غسّالة لثيابي . مُرضعة لولدي .. وليس ذلك كله بواجب عليها ، ويسكن قلبي بها عن الحرام . فأنا

---

(١) يوسف : ١١١

أحتملها لذلك . فقال الرجل : يا أمير المؤمنين .. وكذلك زوجتى . قال عمر : فاحتملها يا أخى فإنما هى مدة يسيرة [1] .

وفى الصحيحين قال عليه الصلاة والسلام : « لا يفرك [2] المؤمن مؤمنة . إن كره منها خُلُقاً رضِىَ منها آخر » .

وروى البخارى فى صحيحه عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ . أنه قال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذى جاره ، واستوصوا بالنساء خيراً ، فإنهن خُلِقْن من ضِلَعٍ أعوج ، وإن أعوج شىء فى الضِلَعِ أعلاه . فإن ذهبت تقيمه كسرته ، وإن تركته لم يزل أعوج . فاستوصوا بالنساء خيراً » .

وفى بعض روايات الحديث : « المرأة كالضِلَعِ إن أقمتها كسرتها ، وإن استمتعت بها استمتعت بها وفيها عِوَج » .

والنبىِ ﷺ بهذا التصوير يختصر على الرجل الطريق الطويل الشاق فى محاولة تقويم المرأة على المثل الأعلى الذى يمكن أن يتم فى الرجل . إن شجرة الورد جميلة بشوكها . والذى يطلب شجرة ورد بلا شوك عابث غير واقعى . والذى يزعم أن شوك شجرة الورد يجعلها قبيحة لا تصلح للاستمتاع بها مختل المزاج منحرف الطبع ، والمرأة ضعيفة ، والضعيف يحتمى بالشوك . كالوردة ضعيفة ولهذا تحتمى بالشوك .

ومُكَلِّفُ الأيام ضدَ طباعها متطلِّبُ فى الماء جُذوة نار

ويحكى الإمام الغزالى قصة لا إسناد لها ولكنها تُجَسِّم لنا جزاء الصبر على النساء ، وأنهن عندما يُبتلى بهن الرجل يكنَّ غسلاً لخطاياه فيقول :

« وفى أخبار الأنبياء عليهم السلام : أن قوماً دخلوا على يونس عليه السلام ، فأضافهم ، فكان يدخل ويخرج إلى منزله . وامرأته تستطيل عليه وهو

(١) كتاب الكبائر للحافظ شمس الدين الذهبى ص ١٨٩ - المكتبة الثقافية ببيروت .

(٢) يفرك : يبغض ويكره .

ســاكت ، فتعجــبوا مــن ذلك .. فقــال : لا تتعجبوا ، فإنى ســألت الله تعالى وقلت : اللّهم ما أنت معاقبٌ لى به فى الآخرة ، فعجّله لى فى الدنيا . فقال : إن عقوبتك بنت فلان تتزوج بها ، فتزوجت بها وأنا صابر على ما ترون منها » .

وفضلاً عما رواه الغزالى ، ففى القرآن من عنت الزوجات حديث مرير عن امرأة نوح وامرأة لوط . ﴿ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا ﴾ [1] .

ثم قال الغزالى : « وفى الصبر على ذلك رياضة النفس وكسر الغضب ، وتحسين الخُلُق : فإن المنفرد بنفسه . أو المشارك لمن حَسُنَ خُلُقه ، لا تترشح منه خبائث النفس الباطنة ، ولا تنكشف بواطن عيوبه .

فحقٌ على سالك طريق الآخرة أن يجرِّب نفسه بالتعرض لأمثال هذه المحركات واعتياد الصبر عليها ، لتعتدل أخلاقه ، وترتاض نفسه ، ويصفو عن الصفات الذميمة باطنه .

والصبر على العيال – مع أنه رياضة ومجاهدة – تَكفُل لهم ، وقيام بهم ، وعبادة فى نفسها .

فهذه أيضاً من الفوائد ، ولكن لا ينتفع بها إلا أحد رجلين :

(أ) « إما رجل قصد المجاهدة والرياضة وتهذيب الأخلاق ، لكونه فى بداية الطريق . فلا يبعد أن يرى هذا طريقاً فى المجاهدة ، وترتاض به نفسه » .

وكأنى بالغزالى يجعل من المرأة المشاكسة مركز تدريب على الاحتمال وسعة الصدر لمن كان فى حاجة إلى هذا التدريب .

(ب) ثم قال : « وإما رجل من العابدين ليس له سير بالباطن حركة بالفكر والقلب ، وإنما عمله عمل الجوارح بصلاة أو حج أو غيره ، فعمله لأهله وأولاده بكسب الحلال لهم ، والقيام بتربيتهم أفضل له من العبادات اللازمة لبدنه التى لا يتعدى خيرها إلى غيره .

---

(١) التحريم : ١٠ .

فأما الرجل المهذب الأخلاق ، إما بكفايةٍ فى أصل الخِلقةِ (كمن صان الله نشأته فى الدين منذ خَلَقَهُ) ، أو بمجاهدةٍ سابقة ، إذا كان له سير فى الباطن ، وحركة بالفكر والقلب فى العلوم والمكاشفات ، فلا ينبغى أن يتزوج لهذا الغرض (أى غرض مجاهدة النفس أو كسب القوت لآخرين والقيام على تربيتهم) . فإن الرياضة هو مَكفىٌّ فيها .

وأما العبادة فى العمل بالكسب لهم . فالعلم أفضل من ذلك . لأنه أيضاً عمل . وفائدته أكثر من ذلك . وأعم وأشمل لسائر الخلق من فائدة الكسب للنفقة على العيال .

وهذا لا ينفى أن الزواج مندوب له ، للأغراض الأخرى التى شُرِعَ لها الزواج ، وفى غير المشاكسات من النساء مجالٌ كبير .

وقد حكى الله تعالى فى سورة التحريم ما لقيه نبينا عليه الصلاة والسلام - من عنت أزواجه ، ومتاعب الضرائر - ما بلغ الذروة ، حتى نزلت آيات السماء بردعهن : ﴿ عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجاً خَيْراً مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَاراً ﴾ [1] .

فلابد - إذن - من الصبر على جنوحهن ، ولنا فى رسول الله أسوة (فقد كانت أزواجه يراجعنه فى الكلام ، وتهجره الواحدة منهنَّ إلى اللَّيل) .

وفى الصحيحين : أن امرأة عمر راجعته فقال : « أتراجعيننى يالكعاء ؟ فقالت : إن أزواج رسول الله ﷺ يراجعنه وهو خير منك . فقال : خابت حفصة وخسرت إن راجعته . ثم قال لحفصة : لا تغترى بابنة أبى قحافة . فإنها حِبُّ رسول الله ﷺ » . وخوَّفها من المراجعة .

وكان عليه الصلاة والسلام يقول لعائشة : « إنى لأعرف غضبك ورضاك » . قالت : وكيف تعرفه ؟ قال : « إذا رضيت قلت : لا ، وإله محمد . وإذا غضبت قلت : لا ،

---

(١) التحريم : ٥

وإله إبراهيم » . قالت : صدقت . إنما أهجر اسمك » ، أى دون غيره من الحب والإخلاص لذاتك الشريفة . وكان يقول لها : « كنت لك كأبى زَرْعٍ لأم زرع غير أنى لا أطلقك » .

* * *

ثالثاً - حق المداعبة والملاطفة :

فذلك يزرع الحب فى القلب ، وحق تمتيعها باللّهو البرىء الذى يُرَوِّحْ عن نفسها ، برحلة أو سمر أو مشاهدة حفل خال مما يُغضب الله كمسرحية « المروءة المقنعه » ، و « على أسوار حطِّين » ، دون المسرحيات المليئة بالفاحشة ، الصارخة بالدعوة إلى السلوك المعوَّج ، وكم فى المتاحف من متعة وثقافة ، وكم فى الريف وحقوله من مشهد رائع ، ودعوة إلى الإيمان بالله . الذى ﴿ أَخْرَجَ الْمَرْعَى * فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى ﴾ (١) .

قالت عائشة رضى الله عنها : سمعت أصوات أناس من الحبشة وغيرهم وهم يلعبون فى يوم عاشوراء ، فقال لى رسول الله ﷺ : « أتحبين أن تَرَىْ لعبهم » ؟ قالت : قلت : نعم . فأرسل إليهم فجاءوا ، وقام رسول الله ﷺ : بين البابين فوضع كفه على الباب ، ومدَّ يده ، فوضعت ذقنى على يده ، وجعلوا يلعبون وأنظر وجعل رسول الله ﷺ يقول : « حسبك » ؟ وأقول : اسكت ، مرتين ، أو ثلاثاً . ثم قال : « يا عائشة .. حسبك » ؟ فقلت : نعم ، فأشار إليهم فانصرفوا . فقال رسول الله ﷺ : « أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وألطفهم بأهله » (رواه الترمذى والنسائى واللفظ له . والحاكم وقال : رواته ثقات على شرط الشيخين : البخارى ومسلم) .

هذا على شرط ألا يتبسط فى الدعابة ولين الخلق إلى حد يُفسد خُلُقها ، ويسقط هيبته بالكليَّة عندها ، بل لا بد من مراعاة الاعتدال والتوسط ، فكما

---

(١) الأعلى : ٤ - ٥ ، والمعنى أخرج المرعى : أي أخضر غضاً يضرب الى السواد من شدة الخضرة - أو فجعله من بعد خضرته غثاء : أى يابساً ، أحوى : يعنى مسوداً من قدمه ، فكذلك يميتكم بعد الحياة .

أنه لا يصلح له أن يظلمهن ويقسو عليهن ، كذلك لا يجوز له أن ينقاد لهن انقياداً كاملاً ، ويُمَلِّكَهُنَّ زمامه فى كل شىء ، وفى الحديث : « ألا هلكت الرجال حين أطاعوا النساء » [١] .

قال الحسن رضى الله عنه : والله ما أصبح رجل يطيع امرأته فيما تهوى إلا كبَّه الله فى النار [٢] .

وقال عمر رضى الله عنه : خالفوا النساء فإن خلافهن بركة . يعنى المخالفة فى الرأى الذى يصدر عن هوى نسائى . لا فى الرأى الذى يصدر عن تجربة . أو الرأى الذى يستند إلى نص شرعى . فالحق أحق أن يُتَّبع .

فبخُلُق اللُطف وحُسن المعاشرة يُؤدى لها حقها المشروع لها ، وبخُلُق الحزم والقوة - يتحقق مع حق القوامة التى له عليها [٣] - صلاحها وصلاح الأسرة كلها .

* * *

رابعاً - أن يكون معتدل الغيرة :

بمعنى أنه لا يتغافل عن الأمور التى تُخشى مغبتها ويصعب علاجها إذا أهملت . فلا يسكت على تقصير فى واجب ، أو ميل إلى سوء ، أو تَلَبُّس بمنكر ، فإن اعتياد هذه الأشياء منها وسكوته عليها مما يؤدى إلى استمرائها الأمر المنكر ، فيصبح لها خُلُقاً يصعب علاجه ، فإن يسكت بعد ذلك يسكت على منكر ، وإن يُنكر فإنما يحاول الشقاق والقطيعة . فلا بد من الوقاية التى تقطع العلة قبل وقوعها ، وتُوقف الداء قبل سريانه ، ولهذا يقول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [٤] .

---

(١) رواه مسلم من حديث أبى هريرة وله شاهد من حديث ابن عمر وصححه ابن حبان ، وقال الحاكم : على شرط مسلم .

(٢) الكبائر ص ١٣.

(٣) هذه الفقرة وثلاث بعدها من كتاب المسئولية فى الإسلام للأستاذ محمد زكى الدين حجازى ص ٨٨ وما بعدها ، والإحياء للغزالى فى آداب النكاح

(٤) التحريم : ٦

قال الذهبى فى الكبائر [1] : أى أدبوهم وعلموهم ومُروهم بطاعة الله وانهوهم عن معصية الله ، كما يجب عليكم ذلك فى حق أنفسكم .

وقد رُوِىَ أن معاذاً رضى الله عنه رأى امرأته تطلع فى الكوة فضربها ، ورُوِىَ أنه رأى امرأته وقد دفعت إلى غلامه تفاحة قد أكلت منها فضربها ، وذلك سداً للذرائع وأبواب الفسق قبل أن يتسع الخرق على الراقع . فإهداء التفاحة للغلام صدقة ، ولكن أن تعطيه تفاحة قضمت منها قطعة يكون فيها إحتمال إثارة الغلام جنسياً حين يسبح بخياله إلى موضع القضم فى التفاحة ، ويمتد إلى تخيل فمها . ثم ...ثم ، والمحروم من شىء يعدو فى خياله نحوه عدواً لا يستطيع الغارقون فيه أن يلاحقوه . فالغيرة هنا واجبة . ولا بد منها . وهى محدودة . قال : رسول الله ﷺ : « ثلاثة لا يدخلون الجنة أبداً : الديُّوث والرَّجِلَةُ من النساء ، ومُدْمِنَ الخمر . فقالوا : يارسول الله ، أما مدمن الخمر فقد عرفناه ، فما الديُّوث ؟ قال : الذى لا يبالى من دخل على أهله . قلنا : فما الرَّجِلَةُ من النساء ؟ قال : التى تُشَبَّهُ [2] بالرجال » .

وأخرج الذهبى [3] عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن النبى ﷺ أنه قال : « ثلاثة لا يدخلون الجنة : العاق لوالديه ، والديوث ، ورَجِلَةُ النساء » وأخرجه النسائى والبزار والحاكم وصححه .

وروى النسائى والبزار وأحمد والحاكم من حديث عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال : « ثلاثة حرَّم الله عليهم الجنة : مُدْمِنَ الخمر ، والعاق لوالديه ، والديوث الذى يُقِرُّ الخبث فى أهله » يعنى يستحسنه على أهله ، نعوذ بالله من ذلك .

وفى الصحيحين عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « إن الله تعالى يغار ، والمؤمن يغار ، وغيرة الله أن يأتى الرجل المؤمن ما حرَّم الله » .

---

(١) نشر المكتبة الثقافية ببيروت . (٢) تشبه : تتشبه .

(٣) الكبائر ص ١٣٧ .

وأخرج الشيخان عن المغيرة : أن رسول الله ﷺ قال : « أتعجبون من غيرة سعد ؟ أنا - والله - أغْيَرُ منه ، والله أغْيَرُ منى » .

وروى القرطبى فى سبب هذا الحديث أنه لما نزل قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلاَ تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَداً ، وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [1] . قال سعد بن معاذ : يا رسول الله .. إن وجدت مع امرأتى رجلاً أمهله حتى آتى بأربعة .. !! والله لأضربنه بالسيف غير مُصْفَح [2] .

وكان الحسن يقول : أتدعون نساءكم ليزاحمن العلُوج فى الأسواق !! قبّحَ الله من لا يغار .

ومن أجل ذلك كان أصحاب رسول الله ﷺ يسدُّون الكُوَى والثقب فى الحيطان ، لئلا تطلّع نساؤهم إلى من لا يحل لهن النظر اليهم .

ومن الحرص على عفاف الرجال وبخاصة الشباب ، وعلى نفس الزوج من أن يلتهب بالغيرة : ما عليه المحافظات من بناتنا وأخواتنا المسلمات ، حين يحرصن على ألا يُوجد فى غرفة الاستقبال ، أو المكان الذى ينام فيه الضيف ، أى آثار من خصائص المرأة ولبسها .. ويقظتها لدورة المياه حين يطلبها ضيف . إذ تكون نظيفة من ثيابها الخاصة - كما هى نظيفة من الأدران ، وحرصهن كذلك ألا تنشر الثياب - وبخاصة الملابس الداخلية لهن - فى مكان واضح يجتمع فى مواجهته الشباب أو يلعبون . وإذا لزم الأمر وارت ذلك بالملاءات المغسولة أو بملابس الرجال . وما إلى ذلك .. وحرصهن على عدم الظهور فى الشرفات بدون خِمار .

إن مثل هذا التصرف دليل على بقية الحس الإسلامى المرهف ومظهر لأثارةٍ من العفاف والطهر .

---

(١) النور : ٤ - ٥

(٢) أى بحد السيف لا بعرضه

والغيرة المشروعة مشروطة بألا تنساق فى تيار الظن الذى يدفع إلى المبالغة فى الرِّيبة والتجسس وسوء الظن ومحاولة التعنُّت فى استطلاع بواطن الأمور ، فإن ذلك مما يُفسد العشرة ويُنَكِّد الحياة ويُؤدى إلى قطع الصلة ، وذلك ما يبغضه الله ويكرهه .. فلا أفضل من إشعار الرجل زوجته بالثقة والتحاشى عما يخدشها ، قال عليه الصلاة والسلام : « إن من الغيرة غيرةً يبغضها الله عز وجل . وهى غيرة الرجل على أهله من غير ريبة » (رواه أبو داررد والنسائى وابن ماجه) .

وهذا داخل - بداهة - دخولاً أولياً تحت عموم النهى فى قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ، وَلاَ تَجَسَّسُوا وَلاَ يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً ﴾ [(١)] .

* * *

خامساً - النفقة فى إعتدال :

﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِه ، وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْه رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ ، لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسَاً إِلاَّ مَا آتَاهَا ﴾ [(٢)] .

وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « دينار أنفقته فى سبيل الله ، ودينار أنفقته فى رقبة - أى تحرير عبد - ودينار تصدقت به على مسكين ، ودينار أنفقته على أهلك ، أعظمها أجراً الذى أنفقته على أهلك » .

والتحديد بالوسع لأنه هو الذى يُبَيِّن مقدار الاعتدال والقوام ، فقد يكون التصرف حيناً إسرافاً بالنسبة لقوم ، وتقتيراً بالنسبة لقوم آخرين .

وقاعدة العمل بحسب الوسع هى ما جرى عليه عمل الصحابة وغيرهم من السَلَف الصالح ، إتباعاً لعمل النبى ﷺ . ومن هذا ما رُوِىَ أنه كان لعلىّ رضى الله عنه أربع نسوة ، فكان يشترى لكل واحدة فى كل أربعة أيام لحماً بدرهم .

---

(١) الحجرات : ١٢ (٢) الطلاق : ٧

وينبغى ألا يستأثر الرجل بطعام دون أهل بيته ، فذلك مما يُوغر الصدور ، وألا يذكر لهم صفة طعام لا ينوى إحضاره لهم ، ويتحرى الحل فى الطعام الذى يقدمه لزوجته ، ففى الحديث : « أيما لحم نبت من سُحْتٍ فالنار أولى به » ، والله تعالى يقول : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً ﴾ [1] .

* * *

سادساً - القسمة العادلة بين زوجاته :

فى النفقة والبيتوتة إذا كان له أكثر من زوجة ، فقد كان النبى ﷺ يعدل بين نسائه - وعائشة أحب إليه .

وإذا أراد السفر لغزو أو غيره أقرع بين نسائه ، فمن خرجت لها القُرعة أخذها . وكان هذا فضل الله عليها .

ولا ريب أن الذى لا يعدل بين نسائه يحرم إحداهن من شهواتها ، وقد يضطرها إلى الانحراف فيبوء بإثمها وإثمه ، عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « من كانت له امرأتان ومال إلى إحداهما دون الأخرى - وفى لفظ « لم يعدل بينهما » - جاء يوم القيامة واحد شقيه مائل » .

* * *

سابعاً - الإعفاف بالاشباع الجنسى للزوجة :

وفى الحديث الصحيح : « وفى بُضْع أحدكم صدقة » ، ولا يصح للرجل إهمال صحته ، فهذا الإهمال ليس تفريطاً فى حق نفسه وحده ، وإنما هو تعذيب لامرأته عذاباً قد يُدَمِّر الأسرة تدميراً يشقى به الأولاد ، وليحذر المسلمون الدجالين الذين يُوهمون ضعاف الثقافة أنهم بالأحجبة يُعالجون الضعف الجنسى . فالمسألة غذاء جيد ، وعند الضرورات منشطات للهرمونات أو حقن يصفها الطبيب .

---

(١) التحريم : ٦

فإذا لم يُجْد العلاج البدنى فهناك عيادات العلاج النفسى ، وكم ممن لديهم فتر واسترخاء نجح علاجهم النفسى . وفى كل ما ينفق فى هذا السبيل ابتغاء إعفاف الزوجة – ثواب الله تعالى وحماية للمرأة من التوتر العصبى وللعلاقة الزوجية من التقطع .

وقد حرَّم جمهور العلماء العزل عن الزوجة الحرة – أى حرَّموا إنزال المنى بعيداً عنها خوف الحمل إلا برضاها وإذنها ، ففى العزل حرمان من متعة كبيرة هى حق للزوجة ، ولا يتوهمن واهم أن العزل سيمنع قدر الله ، ففى الصحيحين من حديث أبى سعيد : « ما من نَسَمة قدّر الله كونها إلا وهى كائنة » .

* * *

ثامناً – الرعاية الدينية وحسن التوجيه :

وكما يهتم الزوج بسلامة جسم زوجته وفراهته ، فعليه أن يهتم بسلامة دينها وخُلُقها وصحة اتجاهها ، ويكون رائداً بصيراً وناصحاً واعياً ، وليس من الأمانة ألا يعبأ الرجل بفراغ زوجته من الدين وجهلها به وانحرافها عنه ، ولا يعنيه إلا استيفاء حقوقه ، وتوفير الراحة والمتاع لنفسه . قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ والحِجَارَةُ ﴾ (١) ، وقال سبحانه : ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاَةِ واصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾ (٢) .

وفى الحديث : « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » . وفيه : « ... والرجل راع فى أهله ومسئول عن رعيته » .

* * *

(١) التحريم : ٦ (٢) طه : ١٣٢

عند الخلافات الزوجية

من هَدى الرسول ﷺ أن يترك للزوجين أمور خلافاتهما يسوونها بينهما إلا إذا طلبا من أهلهما ذلك . أخرج الشيخان عن سهل بن سعد الساعدى قال : « جاء النبى ﷺ إلى بيت فاطمة فلم يجد علياً فقال : أين ابن عمك ؟ فقالت : كان بينى وبينه شىء فغاضبنى فخرج . فقال النبى ﷺ لرجل : انظر أين هو ؟ فقال : هو فى المسجد راقد . فجاءه وهو مضطجع ، وقد سقط رداؤه عن شقِه فأصابه تراب فجعل النبى ﷺ يقول : « قم يا أبا تراب .. قم يا أبا تراب » . قال سهل : ماكان له اسم أحب إليه منه .

لم يسأل رسول الله ﷺ عن سبب الخلاف ، بل ذهب إلى زوج ابنته يداعبه ليستلَّ من نفسه كل أسى وغضب ، وهكذا كان علىٌّ حكيماً . إذ خرج بعيداً عن الموطن الذى يحجل فيه الشيطان بالوقيعة حتى تنطفىء نيران الشيطان . كما هى تعاليم الإسلام فى مثل هذا المقام ، ويذهب إلى المسجد لا إلى أصدقائه وخِلأنه ، ففى المسجد بركة ، وهو أبعد أراضى الله من نفثات الشياطين .

وإذا كان فى هذا ما يكفى لإطفاء الغضب فحمداً لله ، وإن بقى فى الزوجة ما يكرهه الزوج منها فقد شرع الإسلام للعلاج « الوعظ » الملائم ، إما من القرآن والسنة ، وإما بتبصيرها عاقبة ما تفعله بمنطق العقل ، أو بذكر أمثلة من واقع الحياة وتجارب الناس التى تلمسها هى وتعرفها ولكن نسيتها .

وإذا لم يثمر الوعظ فهناك التأديب بالهجر فى المضاجع ، بمعنى أن يُدير الإنسان ظهره لزوجته فى الفراش ، إشعاراً لها بأنه غاضب ، وبأن سلاح الإغراء الذى تملكه الأنثى لا يستعبده ولا يُثنيه أو يُطويه ، وعليها أن تراجع نفسها فى الاعتماد على « مضاء سلاح الأنوثة » الذى تعولّ عليه .

ومن الأزواج من يترك حجرة النوم أو البيت عند الغضب ، وهذا هجر للمضجع وليس هجراً للزوجة فى المضجع . إن الهجر فى المضجع هو الذى شرعه الله ، وهو الذى يُثير الرغبة فى العتاب الدامع المضيِّق للهوَّة ، بينما هجر المضجع إلى بيت الأب أو الأم أو الصديق قد يُثير الرغبة فى العتاب الدامى الموسِّع لشُقة الخلاف . إذ يجد كل من الزوجين - بعيداً عن الآخر - من يَصغى له ويعوم معه على نفس الموجة التى يعوم عليها .

فإذا لم يُثمر الهجر فى المضجع فقد شُرِعَ للزوج أن يؤدب زوجته بضرب غير مبرح . قال ابن عباس : يضربها بالسواك . وقال عليه الصلاة والسلام : « ولا تضرب الوجه ، ولا تُقَبِّح ، ولا تهجر إلا فى البيت » ومعنى هذا أن الضرب هو تعبير شديد اللهجة ، وليس المراد منه الانتقام وإرواء الغليل ، وهى مرحلة لا يأتيها الرجل إلا بعد تكرار الغلط الذى لا يمكن الصبر عليه ، بل وأحياناً لا يمكن ذكره لأسباب تتعلق بكرامة الرجل ، أو سمعة بناته أو سمعة زوجته ، وهذا السر فى قوله ﷺ : « لا يُسئل الرجل فيم ضرب امرأته » (أخرجه أبو داوود عن عمر) .

وكثيراً ما حدث أن ضرب رجل زوجته ، وتَدَخَّل بعض الغرباء للصلح ، فخجل من ذكر الحقيقة كل من الزوجين ، وافترى كل منهما قصة لم تكن محبوكة الفصول . فتبعتها أقاصيص مفتراة من الجانبين أدت إلى إتساع الخرق على الراقع . ولهذا كان الضرب حقاً للزوج ، لا يُسئل عنه ، وإنما دائماً يُسئل عن جذور المشكلة وأسباب الخلاف ، لا عما نشأ عنها وتفرَّع منها .

وروى علىّ بن أبى طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : تهجرها فى المضجع ، فإن أقبلت وإلا فقد أحل الله لك أن تضربها ضرباً غير مبرح ولا تكسر لها عظماً . فإن أقبلت وإلا فقد أحل الله لك منها الفدية ، أى الخلع [1] إذا طلبت الزوجة ذلك : ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللهِ فَلاَ

---

(١) هو فسخ عقد الزوجية على أن تعوض زوجها عما تكبده بسبب الزواج والطلاق تعويضاً مادياً .

جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ ﴾ [1] .فإذا أثمر ذلك التأديب وجب على الرجل أن ينسى خطايا زوجته أو يتناساها . فلا يجرى ذكرها على لسانه ، ولا يعاملها معاملة المخطئة احتراماً لمشاعرها .. وذلك كله هو منهج القرآن الذى تلخصه الآية الكريمة : ﴿ وَاللَّاتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِى الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ ، فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلاَ تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً ﴾ [2] .

والعطف بحرف الواو فى الآية ﴿ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِى الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ ﴾ يوحى بأن الأمر على الترتيب فى بعض النساء ، ويوحى اختيارها دون حرف الفاء - الدال على حتمية الترتيب - بأن الأمر فى بعض النساء لبيان تنويع وسائل العلاج ، فمن النساء من تُؤثّر فيها الكلمة ، ومنهن من تكون عاطفية تتأثر بالهجر ، ومنهن من لا تأتى إلا بالعصا .

والعبد يُقرع بالعصا   والحر تكفيه المقالة

والزوج طبيب نطاسى - ماهر - بين يديه أنواع العقاقير ، وبراعته فى أن يحسن إختيار أنسبها للعلاج ، ومن المكابرة إنكار أن كثيراً من النساء يُصلحهن الضرب أو الخوف من الضرب . ولولا ذلك لفسد حالهن فى المنزل وخارجه .. وقوانين التأديب والعقاب ظاهرة إصلاحية لا ينكر مزاياها عاقل .

فإذا إشتد الخلاف بعد مرحلة « الإصلاح من داخل الاسرة » فلا مناص من « التحكيم » ، ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَماً مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَماً مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحاً يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً خَبِيراً ﴾ [3] .

قال ابن كثير : « فى الآية السابقة بيان لما يُتَبَّع إذا كان النفور من الزوجة ، وفى هذه الآية بيان علاج ما إذا كان النفور من الزوجين معاً ، وفى هذه الحال

---

(1) البقرة : ٢٢٩
(2) النساء : ٣٤
(3) النساء : ٣٥

أيضاً يُبْعَدَ الغرباء عن التدخل ، ويُجْعَلُ الأمر قاصراً على ثقة أو ثقات صالحين من أهل الزوجة ، ومثلهم في التُقى والحرص على مصلحة الأسرة من أهل الزوج ، وقد حُدِدت مهمة كل من مندوبى الزوجين وهى العمل على الإصلاح وجمع الشمل ، وليس العمل لصالح الموكل عنه فقط .

والحكمة واضحة فى قصر « الحكمين » على ذوى القرابة ، إذ أن الشقاق قد تكون أسبابه مما يستحى من ذكرها للغرباء ، فتُجهل العلة . ويستعصى العلاج .

وما يراه الحَكَمان من توجيه يزيل أسباب المتاعب هو من النصائح الواجبة الاتباع ، لأنها صادرة من مجربين للحياة لهم ورع وتُقى .

قال ابن عباس : فإن رأى الحَكَمان أن يجتمعا فرضِيَ أحد الزوجين وكَرِهَ الآخر ، ثم مات أحدهما فإن الذى يرضى يرث الذى لم يرض ، ولا يرث الكاره الراضى [1] .

وإذا رأى الحكَمَان من دراسة الأحوال - بعد بذل الجهد فى جمع الشمل أن استمرار الحياة الزوجية لا يعنى إلا استمرار الآلام ، فالفراق هو الراحة على أن يكون فراقاً بالمعروف ينهى الخصومة . ولا يزرع مشكلات جديدة تسقى فى دهاليز المحاكم قال تعالى : ﴿ وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلاً مِنْ سَعَتِهِ ﴾ [2] .

أما إذا كان منشأ الخلاف إرتياب الزوجة أن زوجها سيتركها ، وبيده القدرة على الطلاق ، فإن القرآن ينصح الزوجة أن تقوم هى بدور استرضاء زوجها ، فتعطيه من الحقوق - ما يُرضيه - ابتغاء وجه الله ، وطمعاً فى استمرار الحياة الزوجية ، ومن هذا ما فعلته أم المؤمنين سَوْدة بنت زمعة . حين أحست أن النبى ﷺ يميل إلى زوجته عائشة . وكثرت أعباؤه فخشى ألا يعدل مع السيدة « سَوْدة » ويعطيها ليلتها فى المبيت وأراد تطليقها ، فصالحت النبى ﷺ على أن تبقى فى

---

(1) ابن كثير جـ ١ ص ٤٩٣ .

(2) النساء : ١٣٠ .

عصمته وتنازلت عن ليلتها فى المبيت لعائشة . ونزلت الآية الكريمة : ﴿ وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزاً أَوْ إِعْرَاضًا فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحاً ، وَالصُّلْحُ خَيْرٌ ، وَأُحْضِرَتِ الأَنْفُسُ الشُّحَّ ﴾ (١) .

ومن الصور التطبيقية فى هذا الجانب ما فعلته ابنة أخ كريم حين رأت زوجها غاضباً لأن والدها لم يأت بستائر للمنزل فى جهازها . فقالت : لا تغضب ، فهذه أسورة . بعها واشتر بجزء من ثمنها الستائر التى تعجبك ، فإن بقاء الأسرة خير من بقاء الأسورة . وهذا الموقف إنما يحسن مع ذى مروءة يهزه الموقف فيعوّضها عما بذلته أو يعتذر بأن حليها أنفع للمستقبل .

وأخرى رأت أن زوجها ضايقه من أهلها ما اضطر إليه من « القائمة » التى كتبت بمنقولاتها .. وشعر أخوها بهذا فقال : إذا كانت هذه القائمة هى التى تضيق بها نفسك ضيقاً سيخرب البيت فها هى ذى القائمة .. وأحرقها أمامه بعود الثقاب .

وقال المفسرون فى الآية السابقة : للمرأة أن تُصالح زوجها بإسقاط نفقتها أو جزء منها ، أو بإسقاط مهرها أو المؤخر منه . أو بإسقاط حقها فى المسكن أو فى البيت .

والتعقيب بقوله سبحانه : ﴿ وَأُحْضِرَتِ الأَنْفُسُ الشُّحَّ ﴾ : هو فى اصطلاح علماء البلاغة كناية عن أن البخل صفة من صفات الإنسان رجلاً وأنثى ، فدعانا القرآن إلى التخلص من سلطان الشُّح الذى يُدَمِّر العلاقات الاجتماعية . ولهذا البخل صور كثيرة : فقد يكون الشُّح فى الزوج ، فعلى المرأة أن تكون هى الكريمة فلا تعاملة بالمثل ، وقد يكون الشُّح فى الزوجة فيوصيها القرآن بأن تتخلص من سلطانه فإن الطلاق بيد الزوج لا بيدها . وعليها هى أن تقطع على الرجل طريق الطلاق التى تُزَيِّنُه له الماديات . وليس من خُلُق العاقلة أن تعقد بين

---

(١) النساء : ١٢٨

حين وحين مقارنة بين زوجها وبين غيره ممن هو أكرم وأسخى ، فتتعب نفسها وتتعب أولادها نفسياً . ومن خبراتى فى الحياة أن أولاداً كانت أمهم تعقد موازنات بين أبيهم وبين زوج أختها فاستشعروا وجود فارق كبير بينهما ، فأصبحوا يتمنون الموت لأبيهم كى يستمتعوا بما جمعه من ثراء .

وقد يكون الشُح شُحاً بعواطف حب الخير للآخرين ، إذ يكره الرجل أو المرأة أن يريا زوجين سعيدين ، فيكبان الزيت على النار إذا اشتركا فى إصلاح بين متخاصمين ، ولذلك نبّه الله سبحانه إلى ما ينجم عن طبيعة البخل بالمال أو بالعاطفة والتمنيات الطيبة من عواقب وخيمة . وذكر « الشُح » بعبارة مطلقة ، وإن كان المقام مقام ذكر شُح المرأة بحقوقها التى لها عند الزوج من نفقة أو مهر أو مسكن أو مبيت ، لأن العموم مقصود كالخصوص الذى نزلت فيه الآية سواء بسواء . وكما قيل : العبرة بعموم اللّفظ لا بخصوص السبب .

وإن كان التعقيب من الله سبحانه بقوله : ﴿ وَأُحْضِرَتِ الأَنْفُسُ الشُّحَّ ﴾ عند الحديث عن حكَمَين من أقارب الزوجين ، فهل نتصور الشُح بعاطفة الخير إلا فى « الأباعد » فما بالنا بالذين نُشركهم فى الصلح ونجعلهم فى مقام « الحكَمَين » وهم لا يمتون إلى الزوجين بصلة ، مما يُسمون بالخبراء فى إصلاح الأسرة ؟ إنهم قوم يتلّهْون بأعراض الناس وأسرار العائلات .

* * *

• أين مايسمى بـ « بيت الطاعة » ؟

هذه معالم الإسلام فى علاج مشكلات الأسرة لا نجد فيها هذه الصورة الكئيبة التى نسميها « بيت الطاعة » ، بمعنى أن رجلاً يستعين بالشرطة على إذلال امرأة من أجل إكراهها على « الطاعة » أو « إسقاط المفروض لها من النفقات بأنواعها » .

إن بيت الطاعة فى الإسلام مسكن نظيف لائق بكرامة الزوجة ، بين جيران شرفاء صالحين ، وفى مكان مؤنس غير موحش ، وبعيد عن الأحماء الذين لا تستريح الزوجة معهم ، فإن رضيت الحياة مع زوجها فى مودة فبها ، وإلا فالفراق بالمعروف ، تعطى زوجها ما أخذته أو بعضاً منه وتترك المنزل فى غير صخب ولا امتهان للكرامة فى قاعات ما يُسمى « محاكم الأحوال الشخصية » .

روى البخارى والنسائى عن ابن عباس قال : « إن امرأة ثابت بن قيس أتت النبى ﷺ فقالت .. يارسول الله ، ثابت ما أعتب عليه فى خُلُقٍ ولا دين ، ولكنى أكره الكفر فى الإسلام . فقال رسول الله ﷺ : أتردين عليه حديقته ؟ قالت : نعم ، قال : اقبل الحديقة وطلقها تطليقة » ، وفى رواية : أنها كانت تكرهه لدمامته مع احترامها لدينه .

* * *

• آداب والتزامات عند الطلاق :

أبغض الحلال إلى الله الطلاق ، وهو حين يُجيزه الإسلام لا يُجيزه إلا لرفع أضرار أبشع منه ، ومع هذا فإن به من التشريعات لحماية المرأة - وهى أضعف الطرفين - ما لم يُوجد فى أى تشريع غيره .

١ - فالمطلّقة قبل الدخول لا عِدّة لها ، والمطلّقة وهى حامل عِدّتها تنتهى بوضع الحمل ، وتبدأ من ساعة الطلاق . والتى لم تحض أو بلغت سن اليأس . عِدّتها الثلاثة أشهر تبدأ من لحظة الطلاق . أما غيرهما ممن يَحضْنَ فتبدأ العِدّة من ابتداء حيضة جديدة ، أو ابتداء طُهر جديد لم يجامعها زوجها فيه ، وتقضى ثلاث حيضات كاملات ، أو ثلاثة أطهار كاملة تبعاً للخلاف فى تفسير لفظ القُرْء فى الآية : ﴿ وَالمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ ﴾ [1] ... هل القُرْء هو الحيض أم هو الطُهر الذى يقع متصلاً به ؟

---

(١) البقرة : ٢٢٨

ولكيلا تُضَارّ المطلقة بالانتظار دون زواج أكثر من مدة العدّة ، وهى الثلاثة الأقراء أمر الله ألا تُطَلّق الزوجة فى أثناء الحيض ، لأن هذه المدة الباقية من الحيض لا تُحسب مدة العدّة ، وكذلك الأمر فى الطلاق أثناء طُهر جامعها زوجها فيه لا يجوز ، لأن بقية مدة الطُهر لا تُحسب فى العدّة .. ولهذا قال الله سبحانه فى أول سورة الطلاق : ﴿ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ ﴾ [1] ، والعدّة هى المدة الزمنية التى يجب أن تنتظرها المرأة بلا زواج حتى تتأكد من خلو الرحم من الجنين ، وليراجع فيها كل من الزوجين نفسه .

٢ - وللمطلقة حق الإيواء والنفقة مدة العدّة ، نفقة على مستوى يسار الزوج حتى ولو كانت من بيئة أقل منه يساراً . أو كانت غنية ، بل وتبقى المطلّقة طلاقاً رجعياً فى بيت الزوجية صوناً لها من الوقوع تحت تأثير انفعالات والديها المريرة التى تنشأ ذاتياً نتيجة تطليق زوجها لها ، إذ يكرهانه فلا يكون تفكيرهما متزناً ! وفى أثناء وجودها فى بيت الزوجية يُنفقْ عليها زوجها - فى غير غصب - من خير ما يأكل ويلبس هو وأولاده ، كما أمر الله ، وتُقابِل هى صنيعه بترتيب فراش البيت وخدمته - تماماً كما كانت تفعل قبل طلاقها .. لأنها لا تزال ذات علاقة ، إن وهنت شيئاً فهى لم تنقطع تماماً حتى تنتهى مدة العدّة ، إذ يتوارثان إن مات أحدهما خلال العدّة .

بل إن الزوج لو طلبها وهى فى أثناء العدّة لم تمتنع ، وتُعَدُّ بهذا قد روجعت - فى قول الحنفية - ولتُشْهِد هى وزوجها على هذه المراجعة لإثبات ما يترتب على المعاشرة الزوجية من شئون قانونية وتبعات ، فالمراجعة كما تكون بالقول تكون بالفعل عند الحنفية .

والأولى - أن يقول عند إرادته لها صيغة المراجعة المعروفة : « راجعتُ زوجتى إلى عصمتى وأمسكتها على ما كانت عليه » خروجاً من خلاف الأئمة الذين يُوجبون أن تكون المراجعة باللّفظ قبل الفعل .

---

(١) الطلاق : ١

بل إن الأولاد - طالما المطلّقة فى البيت - كثيراً ما يكونون خير سفراء بينها وبين أبيهم ، والتأثير بالأولاد - عند أزمة الطلاق - أمر ممكن ، له وجوه كثيرة لا تُخفى ، بل إن تكرار « القُروء » يعنى إعطاء فرصة للزوجين تستريح فيها أعصابهما ، ليراجعا ما فعلاه .. هل يُمضيان الطلاق أم يتراجعان فيه .. وإلا فإن براءة الرحم من الجنين تتضح من حيضة واحدة ، وفى الخلع جعل النبى ﷺ لاستبراء رحم المُخَالع منها حيضة واحدة ، كذلك الأسيرة التى ضُربَ عليها الرِّق جُعل لاستبراء رحمها حيضة واحدة ، لقول رسول الله ﷺ فى سبايا أوطاس : « ألا لا توطأ حامل حتى تضع ، ولا غيرُ ذات حمل حتى تحيض حيضة » (أخرجه أبو داوود) ، وقال عمر فى الأمَة المُطلّقة : تَعْتَدُّ الأمَةُ بِقُرْآين » [1] .

وهنا تبدو حكمة تحريمه - سبحانه - إخراج المرأة من بيت الزوجية . ﴿ لاَ تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلاَ يَخْرُجْنَ إِلاَّ أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ ، وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ، وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ، لاَ تَدْرِى لَعَلَّ اللَّهُ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْراً ﴾ [2] .

وويل لحياة مجتمعنا من عادته المرذولة التى تتجسم فى مسارعة أهل الزوجة لأخذها مع متاعها حتى قبل الطلاق ، لمجرد استشعارهم شوائب خلافات تهوّم فى آفاق البيت ، إنهم منحرفون عن الخط القرآنى الذى قال : ﴿ لاَ تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلاَ يَخْرُجْنَ إِلاَّ أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ ﴾ . وهكذا يظل القرآن يحاصر النار فى أضيق الحدود . ثم يقول سبحانه : ﴿ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ وَلاَ تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ ﴾ [3] .

٣ - فإن أفلت الزمام من الرجل وانتهت العِدّة لم يجز له أن يراجعها إلا بعقد ومهر جديدين بعد رضاها عنه . فإن طلّقها الثالثة لم يجز لهما أن يستأنفا حياة زوجية حتى تتزوج آخر وتُجَرِّب حظها . فإن سارت الحياة الزوجية الجديدة على

---

(١) المرأة فى القرآن والسنة ، لدروزة : ص ٩٩ .
(٢) الطلاق : ١
(٣) الطلاق : ٦

خير فبها . وإن فشلت فقد استبان لها أن تشكيلها مع الزوج الأول قد طبعها بطابع يجعلها لا تصلح إلا له . وحينئذ تعود إليه بكرامتها إن ارتضيا العودة بعقد ومهر جديدين . وذلك لقوله تعالى : ﴿ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلاَ تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجاً غَيرَهُ ، فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللهِ ﴾ (١) .

والزواج دائماً يكون العقد فيه على نية الدوام والتأبيد ، أما ما يفعله البعض من استئجار رجل يتزوج المطلقة ثلاثاً فيدخل بها ولا ينوى بالزواج إلا أن يُحللّها لزوجها - وزوجها يعلم وهى كذلك تعلم - فهذا منكر والنبى ﷺ يقول : « لعن الله المحلّل والمحلّل له » .

٤ - وإذا أحبت المطلّقة بعد انقضاء العدة أن تعود إلى مطلقها ، وأحست منه صدق الرغبة فى مراجعتها وفى المعيشة معها بالمعروف بعد أن انطفأت نيران الشر بينهما . فإنه لا يجوز لأهل المرأة أن يمنعوها من ذلك عناداً واستكباراً ، قال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ، ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ، ذَلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ ، وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ (٢) .

وكم من بيوت تهدمت من جراء غطرسة أولياء أمر الزوجة ومخالفة القرآن الكريم . أخرج البخارى والترمذى والنسائى عن معقل بن يسار قال : « كانت لى أخت ، فأتانى ابن عم لى فأنكحتها إياه ، فكانت عنده ما كانت ثم طلّقها تطليقة ولم يراجعها حتى انقضت العدة . فهويها وهويته . ثم خطبها مع الخطّاب ، فقلت له : يالكع .. أكرمتك بها وزوجتكها فطلقتها ثم جئت تخطبها . والله لا ترجع إليك أبداً ، وكان رجلاً لا بأس به ، وكانت المرأة تريد أن ترجع إليه ، فعلم الله حاجته إليها وحاجتها إلى بعلها فأنزل الله تعالى هذه الآية ، قال : ففىّ نزلت . فكفّرتُ عن يمينى وأنكحتها إياه » .

---

(١) البقرة : ٢٣٠ .
(٢) البقرة : ٢٣٢

وفى لفظ آخر : فلما سمعها معقل قال : سمعاً لربى وطاعة ، ثم دعاه فقال : أزوجك وأكرمك .

٥ - وإذا كان للمرأة صداق أو بعض صداق لم تستوفه وجب على الزوج أداء ما فى ذمته لها ما لم تتنازل - أو كانت قد تنازلت من قبل - عن شىء منه برضا نفس : ﴿ وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً ، فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَىْءٍ مِنْهُ نَفْساً فَكُلُوهُ هَنِيئاً مَرِيئاً ﴾ (١) .

وإذا أوقع الطلاق قبل الدخول ولم يكن قد حُدِّدَ لها مهر وجب أن تُعطى لها « مُتعة » - أى تعويض مناسب يعادل نصف مهر مثيلاتها من أسرتها إن كان قادراً ، وإلا فقدر ما يحمى كرامتها : ﴿ لاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً ، وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعاً بِالْمَعْرُوفِ ، حَقّاً عَلَى الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٢) .

وإذا كان قد حدِّد لها قبل الطلاق مهر وجب لها نصفه ، ولكن يُستحب للمسلمة وولى أمرها أن يتساهلا فى اقتضاء هذا الحق ب « الحطيطة » - أى التنازل عن جزء مما يستحق - أو بتيسير الأقساط وآجال السداد . قال تعالى : ﴿ وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إلاَّ أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا الَّذِى بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ ، وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ، وَلاَ تَنْسَوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ، إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (٣) .
والذى بيده عقدة النكاح هو الزوج ، وقيل ولى الزوجة .

والإسلام حريص على تصوير الطلاق بأنه عملية إراحة للزوجين من متاعب المشاحنة ، ولذا يُوصى الطرفين فى حُمَيَّا الغضب وَسورته بعدم نسيان العواطف الطيبة التى سبقت الغضب ، وكان قد أُريد لها أن تترعرع بالزواج فيجب إذا لم

---

(١) النساء : ٤
(٢) البقرة : ٢٣٦
(٣) البقرة : ٢٣٧

نحقق لها النماء أن نحرص على ألا تنقص ، ولهذا قال ربنا جل جلاله ﴿ وَأَنْ تَعْفُواْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ﴾ وقال : ﴿ وَلاَ تَنْسَوُاْ الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ﴾ ..

٦ - وإذا كان بين الزوجين رضيع فقد وجب على الزوجة أن تُرضعه « اللّبأ » وهو أول ما ينزل من اللبن فى الأيام الأولى . فإن له قيمة غذائية خاصة وهامة للرضيع ، ثم بعد ذلك إن أرضعته فهو أفضل ، ولها - على كل حال أجر الإرضاع والحضانة والفراش والمسكن . يدفعه الزوج على حسب يساره : ﴿ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ﴾ [(١)] ، ولا يرهق أحد الزوجين بسبب حق النفقة : ﴿ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لاَ تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلاَّ وُسْعَهَا ، لاَ تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلاَ مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ ﴾ [(٢)] .

ولا يتم الفطام إلا بعد مدوالة ودية بين الوالدين : ﴿ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً [(٣)] عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ﴾ [(٤)] .

* * *

---

(١) الطلاق : ٦
(٢) البقرة : ٢٣٣
(٣) الفصال : الفطام .
(٤) البقرة : ٢٣٣

الفصل السابع

صُورَةُ البَيْتِ المسْلِمِ

● صورة البيت المسلم :

- البيت المسلم عش هادىء .
- البيت المسلم نظيف .
- البيت المسلم فسيح .
- العمل يتوزع فى البيت بين الجميع .
- البيت المسلم ورع .
- البيت المسلم متواضع فى غير ذلة .
- لا يُسمح فيه لتارك الصلاة بالإقامة .
- المرأة المسلمة عفيفة القلب .
- الاعتزاز بالنفس وبالدين وبمظاهر شخصية الأمة الإسلامية .
- المسلمة فى بيتها .

● الدعوة إلى الاسلام :

- بم تكون الدعوة .
- سمت الداعى إلى الله ،

صورة البيت المسلم

البيت المسلم هو حلم البشرية . تتجلى ملامحه من خلال ما ذكرناه ..

فهو بيت يعرف الله ورسله ويحبهما . ومن يحب أحداً يذكره دائماً . ويروى عنه كل كلمة أو حركة أو عمل ، فقراءة القرآن ، ودراسة السنة والسيرة وتاريخ الحركات الإسلامية . ظاهرة ثقافية ، ومنطلق أيديولوجى للسلوك والتفكير فى الأسرة ذكوراً وإناثاً . ففى صحيح البخارى عن النبى ﷺ : « نِعْمَ النساء نساء الأنصار ، لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن فى الدين » ، وفيه أيضاً : « قالت النساء للنبى ﷺ : غَلَبَنا عليكَ الرجال فاجعل لنا يوماً من نفسك ، فواعدهن يوماً لقيهن فيه فوعظهن وأمرهن » .

وقد كان بعض الصحابة يقرأون على « أم سعد بنت الربيع » فتُصَحِّح لهم أغلاطهم ، وتصدرت السيدة « أم الخير » الحجازية حلقات وعظ وإرشاد المسلمات بجامع عمرو بن العاص فى القرن الرابع الهجرى وحتى عام ٤١٥ هـ .

وأكثر من هذا أن « شريك الدوسية » كانت تأتى متسللة إلى مكة لتمارس الدعوة إلى الإسلام بين صفوف نساء قريش سراً ، حتى ظهر أمرها بمكة ، فقبض عليها وسُيِّرَت إلى أهلها [(١)] .

والاحتكام إلى الله ورسوله عند كل خلاف أمر متفق عليه . يخضع له الزوجان كما يخضع له الحاكم والمحكوم على السواء : ﴿ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ [(٢)] .

والأصل فى المسلمة أنها على وعى بالإسلام يؤهلها للمشاركة فى الرد إلى الله ورسوله . قال كعب : نازعتُ عمر بن الخطاب فى « المتوفى عنها زوجُها

---

(١) شهيد المحراب لعمر التلمسانى ص ١٨٦ .　　　(٢) النساء : ٥٩

وهى حامل » فقلت : تتزوج إذا وضعت ولم يمض عليها أربعة أشهر وعشر فقالت أم الطفل : « قد أمر رسول الله ﷺ سبيعة الأسلمية أن تُنكح إذا وضعت » [1] .

وعلى قاعدة الالتزام بوصايا الرسول ﷺ وأوامر الله تعالى تقوم تربية الأسرة ، وفى سلوك الصالحين نماذج تُحكى وتُحاكى ، وفى الحديث : « أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم » .

ونتيجة لهذا الاتجاه . لا يجوز أن يخلو البيت من مكتبة إسلامية بها مصحف وشروح له وسيرة النبى ﷺ وأحاديثه ، وأحكام الفقه الإسلامى ، وتاريخ الإسلام وآدابه ، وهى مكتبة ليست مهجورة ، ولكن كتبها دائماً فى متناول الأيدى .

فيه إدارة منظمة قاعدتها : ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ ﴾ [2] .

وما دامت القَوامة للرجل فلا يحل للزوجة أن تخرج من البيت إلا بإذنه .

وقد تَحَرَّجت سيدة من الذهاب إلى أبيها وهو يحتضر ، لغياب زوجها والعجز عن استئذانه ، فقال الرسول ﷺ : « لقد غفر الله لأبيكِ بما صنعتِ » .

* * *

• والبيت المسلم عش هادىء :

﴿ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ ، إِنَّ أَنْكَرُ الأَصْوَاتِ لَصَوْتَ الحَمِيرِ ﴾ [3] ، حتى فى مرحه لا يُسرف فى الضحك ، وكان رسولَ الله ﷺ يبتسم فى معظم الأحيان عندما يفرح ، وحيناً يضحك حتى تبدو نواجذه - أى أقوى الأضراس .

وقالت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها : « كان رسول الله ﷺ ألين الناس وأكرم الناس ، وكان رجلاً من رجالكم إلا أنه كان ضحَّاكاً بسَّاماً » .

---

(1) شهيد المحراب ص ١٨٦ .
(2) النساء : ٣٤
(3) لقمان : ١٩

فيه مرح ودُعابة ، يستعلى بالصبر والرضا بكل ما قضاه اللّه وقدَّره ، ولهذا لا تجد فيه وجهاً عابساً ، وشعاره فى البيت والعمل : « وأن تَلقى أخاك بوجه طَلِقٍ صدَقةٌ » .

وإن تعليق الابتسامة يحل مشكلات كثيرة وبخاصة فى المواقف العصيبة وينعكس أثرها على نفس المبتسم فيتزن تفكيره ، وقد كان رسول اللّه ﷺ يمزح ولا يقول إلا حقاً ، وفى الفكاهات الأدبية وأساليب التورية غنَاء كثير .

وفى البيت من وسائل اللّهو واللّعب ما يبنى الجسم ، ككرة القدم وبندقية الصيد . وليس فيه النرِد والورق وما يُستعمل عادة فى القمار ، وفى الحديث الشريف : « كل شىء ليس من ذكر اللّه لهو ولعب إلا أن يكون من أربعة : ملاعبة الرجل امرأته ، وتأديب الرجل فرسه ، ومشى الرجل بين غَرَضَيْنِ (١) ، وتعليم السباحة » (أخرجه النسائى عن جابر بن عبد اللّه وجابر بن عمير) .

والمسلمات راضيات بكل ما شَرَعَ اللّه حتى تعدد الزوجات ، ولهذا كان نساء النبى ﷺ يجتمعن معاً كل ليلة فى البيت الذى سيبيت فيه الرسول ﷺ ، وأحياناً يتناولن العشاء مع رسول اللّه ﷺ ، ويَسْمُرْن بعض الوقت ثم تنصرف كل منهن إلى بيتها (٢) ، وكانت كل البيوت عبارة عن حجرات متلاصقة .

والنكتة البذيئة والتى فيها سخرية بالمنتسبين إلى الإسلام ودعوته .. بعيدة عن فم المسلم والمسلمة ، فتجريحهم صيحة بفشل الإسلام فى تقويم المسلمين . وفقدان صلاحيته للحياة . وهكذا العبارات الجارحة أو غير العفيفة لا تُسمع فى بيت مسلم .

والبيت المسلم بسيط فى كل أموره . وفى تفكير أبنائه ، وفى تدبير اقتصادياته ، وفى التعبد والذكر ، وقد رُوِىَ عن أم المؤمنين عائشة أنها قالت : « ما خُيِّرَ رسول اللّه ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما » .

---

(١) الغرضين : علامة بدء الجرى ونهايته فى السباق . انظر : كف الرعاع عن محرمات اللّهو والسماع ص ٣١٨ - ٣١٩ . (٢) شهيد المحراب ص ١٦٩ .

وليس معنى البساطة رفض ما أنعم الله به على عباده من آلاء . ولكن أخذها ببساطة بمعنى ألا تُدخل على النفس الخيلاء . بل تهبط بها النعمة إلى الانكسار لله المنعم ، والتزلف إليه شكراً ، ﴿ وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾ (١) .

والفراش إذا كان من حرير دودة القز . والآنية التى من الذهب أو الفضة .. إسراف ومنكر فى البيت المسلم .

وفى صحيح البخارى عن حُذيفة بن اليمان قال : « **نهانا النبى ﷺ أن نشرب فى آنية الذهب والفضة ، وأن نأكل فيها ، وعن لبس الحرير والديباج** (٢) وأن نجلس عليه » ولم يمنع الإسلام التطريز اليسير بالحرير ، ففى صحيح البخارى عن عمر رضى الله عنه : « أن رسول الله ﷺ نهى عن الحرير إلا هكذا .. وأشار بأصبعيه اللتين تليان الإبهام - يعنى نحو ٣ سم عرضاً .

وتختار المسلمة من حليها الذهبى ما ليس دائرياً ولا حلقات ، فقد رُوِىَ نهىٌ عما كان من الحُلَى مُحَلَّقاً .. ولكن هل النهى من باب التحريم أو التنزيه ؟ خلاف بين الباحثين فقيل : حرام - وهو قول رجع عنه صاحبه - وقيل : مكروه . وفى تعدد أشكال المصوغات متسع للاختيار . ولا حَرَجَ على من كانت ميزانيتها لا تسمح إلا بحُلَى دائرى مغلق لأنها لا تجد غيره رخيصاً حتى يُغنيها الله وتستبدل به ما يوافق السنة ، والأعمال بالنيات . وعلى الصُّيَّاغ المسلمين أن يبتكروا حُلِّياً تتفق صورها مع السنة حتى لا تضطر المسلمة لشراء المكروه الذى صممه اليهود .

وتُخرج المسلمة زكاة حُلِّيها إن بلغ نصاباً فكان وزنه عشرين مثقالاً ذهباً - أى ٨٥ جراماً = ٤/٧ ٢٨ درهما من الذهب تقريباً ، أو مائتى درهم فضة ، وذلك لأحاديث وردت فى ذلك ..

وهل هذا على سبيل الوجوب ؟ . للعلماء بحوث فى هـذا ولم يتفقوا : أن

---

(١) سبأ : ١٣

(٢) الديباج : ثوب سداه ولحمته من الإبريسم (حرير دودة القز) .

يكون الحض على زكاة الحُلّى للوجوب أم للندب ؟ قال بالوجوب أبو حنيفة وابن حزم ، وجمهور المذاهب على أن الحض للندب . ولكنها إذا كانت تَدَّخِر هذا الحُلّى ، لا لمجرد الزينة ، ولكن للانتفاع بثمنه عند الحاجة ، فقد انتقل من صورته - كحَلّى إلى صورة أخرى وهى الادخار - لأحد النقدين (الذهب والفضة) .

وقد رُوِىَ عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : « أتت النبى ﷺ امرأتان فى أيديهما أساور من ذهب ، فقال لهما رسول الله ﷺ : أتحبان أن يُسَوِّركما الله يوم القيامة أساور من نار ؟ قالتا : لا . قال : فأديا حق هذا الذى فى أيديكما » .

وقيمة ما تُخْرِجه المرأة أو الرجل زكاة للذهب أو الفضة ٥ر٢ ٪ مما بلغ النصاب . والنِصاب هو الحد الأدنى الذى تجب فيه الزكاة . وتُخْرِج من مدخرات النقود إذا مضى عليها عام هجرى ما يعادل فى الثمن أو الوزن ما ذكرناه من نصاب الذهب أو الفضة [١] .

والواجب الآن هو تقدير الذهب والفضه بثمن السوق الرسمى الذى تنشره الصحف . ويُقدَّر النصاب من النقود الآن بنحو ٨٠ جنيهاً مصرياً . باعتبار سعر جرام الفضة ٢٤ قرشاً ، ولم نلتفت إلى عملة الذهب مراعاة لمصلحة الفقير ، فقد أصبح [٢] سعر الجنيه الذهب ١١٫٣٠ - قرشاً فيكون النصاب ١٣٤١٫٨٧٥ جنيه ، أو (٥١٠٠ درهم عربى) على أساس الغطاء الذهبى .. وفى هذا

---

(١) أفتى فضيلة المفتى - بتاريخ ١٣/٥/١٩٧٩ بما فحواه : « نصاب زكاة المال ٢٠ مثقالاً من الذهب - وزنها الآن ٨٥ جراماً تقريباً - متى حال عليه الحـَول ، ومقدارها ربع العشر (٥ر٢ ٪) ، وأن يقوِّم المال بالذهب الخالص (عيار ٥ر٢٣) بسعر السوق يوم إخراج الزكاة ، والعبرة فى توافر النصاب بيوم الإخراج فلا يشترط توافره طول العام . (الفتاوى الإسلامية - م ٨ - العدد ٢٣ - ص ٢٨٢٢ - سنة ١٩٨٢) .

(٢) فى ٢٥ يناير سنة ١٩٨١ ، أما ما جاء فى كتب الفقه السابقة - على التاريخ الذى ذكرناه - فأصبح لا يتمشى مع الأسعار الحالية .

إجحاف بحقوق الفقراء ويناقض الورع . ويُعفى من الزكاة ما يُدبِّر لتكاليف الزواج ، ولا تُخصم الضرائب من الزكاة .

ويُدرب الأطفال على الصدقة . ويضع البيت للصدقات شيئاً من ميزانيته حين لا تجب عليه زكاة حتى ينشأ الأطفال على ذلك .

بل من لم يكن فى مرتبه فائض عن حاجته يعمل عملاً ، مهما قلَّ ليُقَدِّم منه فى وجوه البر شيئاً ، سواء أكان رجلاً أم أنثى . ففى صحيح البخارى عن أبى مسعود الأنصارى : « كان رسول الله ﷺ إذا أمرنا بالصدقة انطلق أحدنا إلى السوق فيحامل (يعمل حمالاً - أى شيالاً) فيصيب المدّ (مقابل أجرته) فيتصدق به ، وإن لبعضهم اليوم لمائة ألف » أى وما يتصدق .

وليس المهم أن تكون الصدقة عظيمة . وإنما على كل امرىء ما يستطيعه . وفى صحيح البخارى عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « من تصدق بعِدلِ تمرة [1] من كسب طيب - ولا يقبل الله إلا الطيب - فإن الله يتقبلها بيمينه ، ثم يربيها كما يربى أحدكم فَلوَّهُ [2] - أو فصيله [3] - حتى تكون مثل الجبل » .

وإذا كان الزوج فقيراً ولزوجته ثراء من ميراث أو عمل تعمله أو من هدايا أُسرتها فإن من أفضل الصدقات ما تعطيه لزوجها فى غير صورة محرجة ، ففى الصحيحين عن زينب الثقفية امرأة عبد الله بن مسعود رضى الله عنهما قالت : قال رسول الله ﷺ : « تصدَّقْنَ يا معشر النساء ، ولو من حُلِيِّكُن » ، قالت : فرجعت إلى عبد الله بن مسعود فقلت له : إنك رجل خفيف ذات اليد (يعنى قليل المال) وإن رسول الله ﷺ قد أمرنا بالصدقة فأته فاسأله ، فإن كان ذلك يجزى عنى ؟ [4] وإلا صرفتها إلى غيركم . فقال عبد الله : بل إئتيه أنتِ .

---

(١) عدل الشىء - بكسر العين - : مثله . (٢) المهر من الخيل .
(٣) الفصيل : ولد الناقة .
(٤) أى إن كان دفع زكاتى إليك يصح ، دفعتها إليك .

فانطلقت فإذا امرأة من الأنصار بباب رسول الله ﷺ وكان قد أُلقيت عليه المهابة ، فخرج علينا بلال فقلنا له : ائت رسول الله ﷺ فأخبره أن امرأتين بالباب تسألانك : أتجزى الصدقة منهما على أزواجهما وعلى أيتام فى حجورهما ؟ ولا تخبره من نحن ، فدخل بلال على رسول الله ﷺ فسأله ، فقال رسول الله ﷺ : « من هما » ؟ قال : امرأة من الأنصار وزينب ، فقال رسول الله ﷺ : « أى الزيانب هى » ؟ قال : امرأة عبد الله . فقال رسول الله ﷺ : « لهما أجران ، أجر القرابة ، وأجر الصدقة » .

* * *

• والبيت المسلم نظيف :

تام التهوية ، خال من القمامة . كما فى الحديث : « لا تتشبهوا باليهود . كانوا يضعون الأكب (القمامة) فى أفنية بيوتهم » .

ومقاومة الحشرات المؤذية كالصراصير وغيرها ، وكل ما يبذل فى سبيل ذلك من جهد بدنى أو مالى ، فيه مثوبة من الله ، فضلاً عما فى هذا من تجميل البيت وتنظيفه ، ففى الصحيحين عن أم شريك رضى الله عنها : أن رسول الله ﷺ أمرها بقتل الأوزاغ . وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من قتل وزغاً فى أول ضربة كُتِبَ له مائة حسنة ، وفى الثانية دون ذلك . وفى الثالثة دون ذلك » . قال أهلُ اللُّغة : الوَزَغ : العظام من « سام أبرص » ، وسام أبرص : اسم للوزغة مُركَّب من كلمتين .

ومعنى هذا أن المجتمع كله - وفى مقدمته مجتمع الأسرة - مجند لمقاومة الحشرات الضارة . ويجب أن يُتدرب على ذلك . ففى العصر الأول كان التدريب يدوياً بحتاً ، وفى عصرنا هذا تُقاوَم بالمبيدات الحشرية ، أو مصايد الفئران .

وفى الحض على أن تكون الإصابة للحشرة من مرة واحدة تدريب ذاتى على كسب صفتى اليقظة والتوازن اللازمتين لإصابة هدف ما ، وما أحوج الشخص

المثالى لهاتين الصفتين اللّتين تشترك فى تنميتهما بالمسلم والمسلمة معظم شرائع الإسلام .

ولكيلا تتكاثر الحشرات الضارة نهى النبى ﷺ عن ترك ما يسقط من الطعام على الأرض عند تناوله ، وعن ترك بقايا فى الطبق دون أن تُؤكل أو تُغسل فوراً حتى لا تكون هناك أسباب مساعدة لتكاثر الحشرات وتغذيتها ، ففى صحيح مسلم عن أنس رضى الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ إذا أكل طعاماً لعق أصابعه الثلاث وقال : « إذا سقطت لقمة أحدكم فليأخذها وليُمِطْ عنها الأذى ، وليأكلها ، ولا يدعها للشيطان » ، وأمرنا أن نُسْلِت القصعة وقال : « إنكم لا تدرون فى أى طعامكم البركة » .

ولا شك أن لعق الأصابع الثلاثة يعنى التخلص من جُرم الطعام والدهنيات واللّزوجة التى لو لم يُتخلص منها للّوثت أصابعه الثياب وكل ما تمتد إليه يد الآكل من الناس والأشياء . فلما وُجِدَت الملاعق وكثرت المياه وجب أيضاً أن يتناول الآكل بملعقته القدر الذى يستطيع أن يبتلعه ، حتى إذا انتهى لم يترك على ملعقته شيئاً للصراصير وما أشبهها ، أو شيئاً يؤكسد الملعقة ويعرضها للصدأ السريع .

فالمسلم رقيق المشاعر ذو قلب يتحرك بالشفقة على من سيحمل ما على المأدبة ويغسل الآنية .

أما الأمر بمسح القصعة فمثله الحديث الواهى : « الإناء يستغفر للاعقه » والفرق واضح فى النصين بين اللعق وبين مسح القصعة الذى فى الحديث الصحيح .

* * *

• والبيت المسلم فسيح :

ففى دعاء النبى ﷺ : « اللّهم وَسِّعْ لى فى دارى وبارك لى فى رزقى » ،

وفى صحيح ابن حبّان عن سعد بن أبى وقّاص عن رسول الله ﷺ أنه قال : « أربع من السعادة : المرأة الصالحة ، والمسكن الواسع ، والجار الصالح ، والمركب الهنىء . وأربع من الشقاء : الجار السوء ، والمرأة السوء ، والمركب السوء ، والمسكن الضيق » وروى أحمد والحاكم مثله .

وفى الإسلام لكل طفل فراشه الخاص . فقد أمرنا النبى ﷺ أن نُفَرِّق بين أولادنا فى المضاجع فقال ﷺ : « مُروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين ، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر ، وفرِّقوا بينهم فى المضاجع » (رواه أبو داوود) .

* * *

• والعمل يتوزع فى البيت بين الجميع :

ومن أجمل ما رُوِىَ فى هذا الشأن عن علىّ رضى الله عنه أنه كان يُقَسِّم عمل البيت بين أمه وزوجته ، فيقول لأمه « فاطمة بنت أسد » : إكفى فاطمة بنت رسول الله ﷺ سقاية الماء والذهاب فى الحاجة ، وتكفيك الداخل : « الطحين والعجين » .. ولا يزال هذا التنظيم فى الصعيد الأعلى بين البيوت المحافظة . فعلى الشابات ما كان من الأعمال داخل البيت ، أما التسويق والاتصال بخارج البيت فلكبيرات السن . وهذا أصون للعفاف .

وكل من فى البيت يعمل مهما كانت منزلته الاجتماعية : فعن عبد الله القرشى قال : دخلت على « هند بنت المهلب بن أبى صفرة » ، وهى امرأة الحجاج ، وبيدها مِغزل تغزل به فقلت لها : تغزلين وأنت امرأة أمير ؟ فقالت : إن أبى يُحَدِّث عن جدى قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « أطولكن طاقاً أعظمكن أجراً » ، والطاق : ضرب من الثياب التى تُنسج بعد الغزل .

وفى الحديث الآخر : « ونِعْمَ لَهْو المؤمنة فى بيتها : المِغزل » [١] .

* * *

---

(١) شهيد المحراب ص ١٨١ .

• البيت المسلم ورع :

يخشى أبناؤه الحرام كما يخشون الثعبان الهائج ، والمسلمة تُوصى زوجها دائماً ألا يجعل فى كسبه لها ولأولادها خردلة من الحرام ، حتى ولو باتوا على الطوى ، فهى من أجل هذا لا تُرهقه بمطالب العصر التى لا قِبَلَ لراتبه أو مجال كسبه بتوفيرها . صابرة قانعة بما رزقه الله .

وقد رُوِىَ عن أخت « بشر الحافى » أنها سألت الإمام أحمد بن حنبل قائلة : « إننا نغزل على سطوحنا فيمر بنا مشاعل الظاهرية ويقع علينا شُعاعها ، أيجوز لنا أن نغزل فى شعاعها ؟ . فقال : من أنتِ عافاكِ الله ؟ ! فقالت : أخت الحافى . فبكى رحمه الله وقال : « من بيتكم يخرج الورع الصادق . لا تغزلى فى شُعاعها » .

إنه الحس الدينى الصادق . واليقين بيوم الجزاء .. والالتزام بما راوه البخارى فى صحيحه عن النعمان بن بشير (أول مولود وُلِدَ للأنصار بعد الهجرة) قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « الحلال بَيِّنَ والحرام بَيِّن ، وبينهما متشابهات لا يعملها كثير من الناس ، فمن اتقى الشُبهات فقد استبرأ لدينه وعِرضه . ومن وقع فى الشبهات كراع يرعى حول الحِمَى يوشك أن يواقعه . ألا وإن لكل ملك حِمى . ألا وإن حِمَى الله فى أرضه محارمه . ألا وإن فى الجسد مُضغة إذا صلحت صلح الجسد كله . وإذا فسدت فسد الجسد كله . ألا وهى القلب » .

* * *

• والبيت المسلم متواضع فى غير ذلة :

﴿ أذلَّة عَلَى المُؤْمنينَ أعزَّةٍ عَلَى الكَافِرِينَ ﴾ [1] . ﴿ واخْفِضْ جَنَاحَكَ لمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ المُؤْمِنِينَ ﴾ [2] .

---

(١) المائدة : ٥٤

(٢) الشعراء : ٢١٥

لا يعرف الخيلاء والكبر : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ [(١)] . ولا تستقبح المسلمة أن تحمل بيدها متاعها وتعود بطعامها تحمله بنفسها من السوق إن قدرت على هذا ، لأن النبى ﷺ يقول : « صاحب الشىء أحق بحمله » .

* * *

• لا يُسمح فيه لتارك الصلاة بالإقامة :

إلا الحائض والنفساء ، ويُضرب الطفل تأديباً له على تركه الصلاة ، كما يُضرب على تركه واجبه المدرسى : « مروهم بها لسبع ، واضربوهم عليها لعشر » ، والطفل الذى ينشأ فيجد كل مَنْ بالبيت يُصلى سيعتاد الصلاة ما لم تتخطفه بيئة الشارع العفنة .. ولهذا فإن المجتمع المسلم لا يسمح - حين يُوجد إن شاء الله - بترك إنسان لا يُصلى دون أن يوقع عليه أشد العقوبات ، وهى الإعدام إن استتيب ثلاثاً فلم يتب ، وقد كانت المجتمعات الإسلامية - فى القديم - لا تسمح لتارك الصلاة أن يعيش بينها لأنه مثار لعنة الله عليه وعلى مَنْ معه ﴿ إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَوْقُوتاً ﴾ [(٢)] . ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ ﴾ [(٣)] .

أليس من أفجر الفجور أنه عندما تُوَجه إلينا الدعوة للقاء عظيم كملك أو إمبراطور نسارع إلى لقائه قبل الموعد المحدد للمقابلة فى أبهى زينتنا . والله قد حدَّد لنا مواعيد لقائه وأذَّن المؤذن للتنبيه على أن الله فى انتظارنا ثم نرفض نحن المقابلة لملك الملوك ذى الجلال والإكرام ؟ ! .

إن كلمة « سوء أدب » منا ، وكلمة « أفجر الفجور » أقل دلالة على وصف تارك الصلاة يسمع أو يعرف أن الله يناديه فلا يذهب إليه . ألا وإن حلم الله على هؤلاء التاركين للصلاة لأعظم من أن يمكن تصويره .

---

(١) لقمان : ١٨
(٢) النساء : ١٠٣
(٣) طه : ٣١

وللصلاة أحكامها السهلة التى لا بد للمسلمة من التعرف عليها فى كتب مثل « العبادات فى الإسلام » للدكتور محمد محمد إسماعيل عبده . أو « فقه السنة » للشيخ سيد سابق . وما أجمل أختاً كانت تلبس ملابس صلاتها وتأخذ زينتها وكأنها ذاهبة إلى حفل وتقول لى : ألست تقرأ فى القرآن : ﴿ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ [1] .

إن الأمة المتزنة الرشيدة ذات الخُلق الرفيع تلك التى تتحدث عنها الأمم معجبة ، لا يتم لها ذلك إلا أن يكون أفرادها على مستوى رفيع من الفضيلة والاتزان والرشاد ، وعملية الصلاة فى اليوم خمس مرات عملية مراجعة فردية لأعمال المصلى صالحها وطالحها ، يستغفر الله فيها من الخطأ والمعاصى فيقلع عما هو فيه من خطأ . وبهذا يتخلص المجتمع من المفاسد الخُلقية ذاتياً ، دون حاجة إلى سلطان شرطة الآداب ، أو يحمد الله ويستزيده من التوفيق فى عمله الصالح المُجدى لأمته وأسرته أو لشخصه .

ومقياس الرجل النظيف أو المرأة النظيفة خُلقياً وقلبياً . هو الصلاة . فغير نظيفٍ من ترك الصلاة أو تركت الصلاة . فقد روى البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه سمع النبى ﷺ يقول : « أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمساً ، ما تقول ذلك يبقى من درنه [2] شيئاً . قالوا : لا يبقى من درنه شيئاً ، قال : فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بها الخطايا » .

* * *

• المرأة المسلمة عفيفة القلب :

فهى لا تطمع فى أن ينظر إليها أحد ، سواء أكان صالحاً أو طالحاً . بل تكره أن يتطلع إليها الرجال كما قالت فاطمة رضى الله عنها لأبيها محمد عليه

---

(١) الأعراف : ٣١ (٢) الدرن : الوسخ .

الصلاة والسلام حين سألها : أى شيء أحب إلى المرأة ؟ فقالت : « ألاَّ ترى رجلاً ولا يراها رجل » فضمها إلى صدره مسروراً وقرأ قوله تعالى : ﴿ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ ، وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [١] .

وقد وصف البخارى صورة المسلمة تحترس من رؤية الناس لها فى طريقها - من وإلى المسجد - فروِىَ عن عائشة رضى الله عنها قالت : « لقد كان رسول الله ﷺ يصلى الفجر فيشهد معه نساء من المؤمنات متلفعات فى مروطهن [٢] ،ثم يرجعن إلى بيوتهن ما يعرفهن أحد » .

وقد رُوِىَ أن سبب العجز عن معرفتهن هو الظلمة ، فإن خروج النساء لصلاة الجماعة بالمسجد لم يكن فى صلاة سرية ، بل كان من أجل سماع القرآن ، وهذا لا ينفى أن يكون مع ستار الظلمة ستار المرأة فى عدم تعريض المرأة وجهها - مليحاً أو قبيحاً - للجماهير . وذلك مستوى رفيع من الإدراك للفضيلة ، فلئن أبيح رؤية الوجه والكفين من المرأة فذلك لضرورة الأعمال فى الحياة ، فإذا رآها المرء لغرض الاستمتاع بالجمال .. أو كشفتهما المرأة لتمتع بهما الناظرين فقد أثم كلاهما .. فأول الزنا نظرة خبيثة أو عَرْضٍ خبيث للخد الأسيل ، وكما فى الحديث القدسى : « النظرة سهم مسموم من سهام إبليس ، من تركها من مخافتى أبدلته بها إيماناً يجد حلاوته فى قلبه » وفى الآثار : « النظرة بريد الزنا » .

وقد أوصد الإسلام الذريعة إلى الزنا وانتشار الانحلال ، وذلك بتحريم التبرج وهو كشف المرأة عن مفاتنها ، واستثارة الرجل بحديث متكسر ، أو نظرة خائنة ، أو حركة مثيرة ، أو ثياب داعية إلى التفكير فى خيانة الشرف ، كالثياب الكاسية العارية ، أى الشفافة أو التى تكسو الجسم ولكنها تُجَسِّم كل أعضائه حتى لكأن المرأة عارية .

---

(١) آل عمران : ٣٤

(٢) المرط الملحفة أو الإزار أو الثوب الأخضر وهو ثوب كالشال الكبير يغطى الرأس والجسم .

وفى الحديث الشريف : « سيكون فى آخر أُمتى رجال يركبون على السروج كأشباه الرجال - كأنه يشير إلى السيارات - ينزلون على أبواب المساجد ، نساؤهم كاسيات عاريات ، على رؤسهن كأسنمة البخت العِجَاف ، إلعنوهن فإنهن ملعونات » [١] .

والحق أن التبرج عندما حرّمه الإسلام أنقذ بتحريمه المجتمع من الدعارة والتهيج الجنسى والمأساة العالمية ، ومن الخلل فى السياسة الاقتصادية والعسكرية والقومية للأمة .

إن التهيج الجنسى يشل الفكر الرفيع والمنتج شَلَلاً كُلياً أو جزئياً حال التهيج وبعده مدة تطول أو تقصر - حسب قرب المُثير أو بُعده - وحسب ضعف الشخص وضواغط الحياة ، فالقطار يزدحم بالركاب من الجنسين وتتلاصق أجساد ، وتتقارب أنفاس كان يجب تباعدها ، تلتقى العيون الخائنة بالعيون النُجْل فتهيج الغرائز ، حتى إذا ما بلغ كلٌ عمله بدأه مشتت الذهن فقد ترك شطر عقله بالقطار . إن الهدوء العاطفى الذى كان يتطلبه العمل ليُلقى المدرس درسه بين طلابه بعد استجماع المادة العلمية فى ذهنه ، أو ليستجمع الطالب أعصابه وذاكرته ، أو ليرسم الموظف خطته لإنجاز عمله قد انتهى . هذه ظاهرة ترينا أثر التهيج على طبيعة الإنتاج .

وفى صحيفة أسبوعية كبرى من صحف البورجوازيين السابقين خرج مديرها وصاحبها إلى دورة المياه الأنيقة ليجد فتاة وزميلها فى موقف غير شريف . فقال : « رجائى ألاّ يكون هذا على حساب العمل » .

وهو رجاء لا يمكن تحقيقه ، لأن الثورة - عندما تنشب - لا بد أن تندلع فتُقيم الساكن أو تُقعده . ويستحيل تسكين الثائر بهوادة حتى يشبع جانباً من رغباته كثر أو قلّ .

---

(١) أخرجه أحمد جـ ٢ ص ٢٢٣ ، والطبرانى فى الصغير ص ٢٣٢ ، وصححه الحاكم جـ ٤ ص ٤٣٦ .

ولقد كان منطقياً جداً وقانوناً عملياً تحريم الاختلاط والتبرج . وقد لوحظ فشل كثير من الطُلاّب والطالبات نتيجة ما لديهم من مُثيرات .. ولوحظ أن المُتفوقّين فى الجامعة غالباً ما يكونون من الريف الذى لا تَبَرُّجَ فيه ، أو من الشباب المتدين ، وأحياناً من المتزوجات بالرغم من أعباء أولادهن . ولذا أخذ رئيس وزراء إنجلترا الآن يدعو إلى الفصل بين الجنسين فى كل مراحل التعليم .

وفى المدن الكبرى بأمريكا مثل نيويورك قامت منظمات نسائية لليهود عملت على الفصل بين الرجال والنساء فى الأحفال والأماكن العامة . ورفضت فتاة يهودية مصافحة صديق أخيها قائلة : الدين يُحرِّم أن تمس يدها يد أجنبى [١] . هذا هو منطق العلم والتدين فى الغرب ، ولم يهاجم هذا أحد هناك .. وفقط يهاجمه اليساريون بمصر [١] .

وإن التهييج الجنسى أوجد تنظيم الدعارة ، ومنها انتشرت الأمراض السرية المعدية التى جعلت الجيش الفرنسى مثلاً يتخفف من الشروط الصحية اللازمة لقبول الشباب فى الجندية . والتساهل فى شروط اللّياقة العسكرية كل بضع سنوات - بتِرْك شرط وراء شرط - مظهر دال على ما أصاب الشباب - درع الأمة الواقى - من الضعف . بل إن الجيش ليدفع فى علاج الجند من الأمراض السرية مبالغ هو فى حاجة إليها .

وقد أُصيب بهذه الأمراض ٩٠ ٪ من الشعب الأمريكى .

وما دامت الإثارة عامة فى كل مكان ، بالشارع والمدرسة ، فقد أصبح البحث عن الإشباع فى كل مكان ، وفى المدارس التى يكون طُلاّبِها من نوع واحد ، أصبح سبيل الإشباع اللّواط أو جَلْدَ عَمَيْرَةَ (العادة السرية) بين الذكور . أو السِحاق بين الفتيات ، مما كانت نتيجته اعتياد الإشباع بهذه الوسيلة وكراهية الوسيلة الطبيعية .

---

(١) مجلة آخر ساعة : عدد ٢٥ فبراير ١٩٧٨ .

وقد نشأ عن هذا الشذوذ انصراف عن الزواج . أو مآسٍ بين المتزوجين الذين يُفَضِّلُون الإشباع بغير الطريقة التى يُتيحها النِكاح .

ونتيجة الإضراب عن الزواج ، ظهرت فاشية المخادنة والاكتفاء بها عن الزواج ، وحتى لا يكون ولد يرهق الأخدان كانت أقراص منع الحمل . والأسباب المتعددة للوقاية منه ، والمصير النهائى هو قلة تعداد أبناء الدولة وبخاصة الوطنيين منها . بينما يحاول المهاجرون الذين يريدون اقتناص الفرصة أن يتكاثروا ليرثوا الأرض ومن عليها .. وفى هذا دمار قومى واقتصادى وعسكرى وسياسى وتعليمى . إن التبرج خيانة وطنية ، لأنه وسيلة من وسائل التخريب للعواطف والتفكير والإنتاج . وسيلة لتخريب الأسرة والمجتمع والقوة العسكرية .. فضلاً عن تخريب الأخلاق والأعصاب .

* * *

• والاعتزاز بالنفس والدين وبنى الملة صفة « لكل مسلم ومسلمة » :

فالتى تحتقر أنوثتها كالذى يحتقر رجولته ، لا يعرفان معنى الاعزاز بالنفس ، فالشعور بالسقوط يصحبه فقدان الثقة بالنفس ، وهو خُلُق حينما يدبُّ فى أمة فكَبِّرْ عليها أربعاً لأنها فى طريقها إلى الفناء . ولذلك روى البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : « لعن النبى ﷺ المُخَنثين من الرجال والمُترجلات من النساء . وقال : أخرجوهم من بيوتكم قال : فأخرج النبى ﷺ فلاناً وأَخرج عمر فلاناً » . والتى أخرجها النبى ونفاها عن المدينة هى « بادية بنت غيلان » كما نفى عليه الصلاة والسلام « أنجشة » العبد الأسود الذى كان يتشبه بالنساء .والذى نفاه عمر هو ماتع - أو مانع - وقيل : هرم .

ثم إن التى تترجل تفقد أنوثتها التى يطلبها الرجل ، ولن تبلغ أن تكون رجلاً . والذى يتخنث يفقد رجولته التى تطلبها المرأة ، ويرفض النساء أن يكون فى عِدادهن .. وبهذا يُضَيِّع المخنثون والمترجلات أنفسهم فى المجتمع ..

ويُبَدِّدون طاقات مخالطيهم فى القيل والقال . ويشغلونهم عما هو أجدى من القيل والقال .

وعدّ الفقهاء مِنَ التخنث أن يجعل الرجل طيبه فى وجهه كالنساء ، ومِنَ الترجل أن تجعل المرأة طيبها فى رأسها كالرجال .

ومن الاعتزاز بالملّة - أو القومية بلُغة العصر - التخلص من التقاليد الأجنبية فى الأزياء والحلاقة ، حتى نشعر بذاتيتنا ، وفى صحيح البخارى عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى ﷺ أنه قال : « خالفوا المشركين ، وفرُّوا [(١)] اللّحَىَ وأحفوا الشوارب » . وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال النبى ﷺ : « إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم » .

وكذلك الحض على صبغ الّلحية وتغيير الشيب بلون الحنّاء - لا بالسواد - هو السُّنة ، أما الصبغ بالسواد - وأول من صنعه جد النبى عبد المطلب - فنهى عنه النبى ﷺ إلا فى مواقف الجهاد التى يُستحسن فيها ألاّ يرى العدو فى جنودنا ضعف الشيخوخة [(٢)] .

وكان اليهود كذلك يحلقون شعرهم فيجعلونه فى الرأس كالقَزَع - وهو قِطع السحاب المتفرقة فى السماء - فنهى عنه النبى ﷺ . وروى البخارى عن ابن عمر قال : سمعت رسول الله ﷺ « نهى عن القَزَع » . أى حَلق الرأس وتَرْك بعض الشعر متفرقاً غير محلوق .

ولما كانت التماثيل وصور الحيوان والآدميين ظاهرة متفشية فى الوثنيين الذين يُصَوِّرون أو ينحتون آلهة الحب . أو العذراء أو المسيح . أو البقرة المقدسة . أو الثعبان المقدس . أو الميكادو ... وهَلُمّ جراً . ولما كان فى المُصَوِّرين من يقع فى روعهم أنهم - فى إبداعهم - يضاهئون خلق الله فى الجمال ، أو فى

---

(١) وفروا : بمعنى اتركوا . واللّحية : اسم الشعر النابت على العارضين والذقن .
(٢) ولا إثم فى خضاب المرأة بالسواد إن لم تظهره للأجانب أو تخدع خاطباً .

النَسميَّة [١] التى تمسُّ الصورة .. فإن الإسلام حرَّم التصوير والنحت لكل ما دبَّتْ فيه الروح ، فحركته . حماية للبشرية من الشرك الخفى .

روى البخارى عن ابن عمر أن رسول اللّه ﷺ قال : « إن الذين يصنعون هذه الصور يُعَذَّبون يوم القيامة ، يقال لهم : أحيُوا ما خلقتم » .

لقد سَدَّ الإسلام الذريعة وحمى شخصية الأمة الإسلامية من الذوبان فى غيرها حين حرَّم هذا ، وأتاح لنا فرصاً كثيرة فى ابتكار نواحى الجمال ، فظهر الفن العربى والرسم الزخرفى ، والخط الكوفى والفارسى ، والطُّرر [٢] ، وتصوير الطبيعة . وبدائع الإنسان من قصور وأثاث .

وأمام الفن الإسلامى اتجهت أنظار الغرب والشرق يتعلمون مشدوهين . وقد أبيح التصوير اللازم للتعليم والأمن . وهو لا يأخذ الاتجاه الجمالى قصداً .

إن صورة الزفاف التى تُعلق فى البيت تسجيلٌ للحظة إنحلال من عروة الإسلام حين التقط المصور الأجنبى هذه الصورة فى ألعن صور التبرج الآثم المُسْتَعلن بين جمهور المتفرجين . وهي لون من عبادة الذات . ولو كان لدى العروس حس دينى مرهف لخجل من اللّه واستغفر من خطيئته .. وتخلص من آثار جريمته ، ولجعلها فى غرفته الخاصة « مبكى » يبكى عندها كلما رآها وسأل نفسه : ما الذى جعلك تُفَرِّط فى عِرضك حتى رآه من لا يحل له أن يراه ؟ .

وكأنى برجل أو امرأة تقول : المسألة هينة فلا تَتشدَّد . وتنسى أو تجهل أن الرسول ﷺ صوَّر الكافر أو المنافق بأنه يرى الجبل من معاصيه فما يُقَدِّرها إلا كذبابة يذبها (أى يطردها) عن وجهه بيديه ، والمؤمن يقترف الصغيرة يظنها كالجبل .

وفى كلمة مُجملة : يُحَذِّر رسول اللّه ﷺ من طمس الشخصية الاجتماعية للأمة المسلمة ، أو مسخ معالم الشخصية للمسلم فيقول فيما رواه البخارى :

---

(١) يراد بالنسمية استشعار أن هناك تعليقاً روحانياً ببعض المخلوقات والرسوم والتماثيل ، وفى كتابنا « الإسلام بأقلام فلاسفة النصارى » مقال عن النسمية للمستشرق « هـ . جب » .
(٢) الطرر : كتابة بشكل جمالى فى مفتتح الكتب والرسائل .

« لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتى بأخذ القرون (أى الأمم) قبلها شبراً بشبر وذراعاً بذراع . فقيل : يارسول اللّه .. كفارس والروم ؟ فقال : ومَنْ الناس إلا أولئك » ؟

وفى حديث أبى سعيد الخُدرى عن رسول اللّه ﷺ أنه قال : « لتتبعن سُنَن من قَبلكم شبراً بشبر ، وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جُحر ضَبٍّ خرب لتبعتموهم . قلنا : يارسول اللّه .. اليهود والنصارى ؟ قال : فمن غيرهم » ؟

وجُحر الضَبِّ كناية عن العادات المُخَرِّبة لسعادات الشعوب والأفراد .

وقد اختلف الجواب بحسب المقام . فحيث قيل : « فارس الروم » كان هناك قرينة تدل على أن الأمر يتعلق بنظم الحكم والسياسة والاجتماع ، وحيث قيل : « اليهود والنصارى » كان هناك قرينة تدل على تعلق الأمر بما هو من قَبيل الديانات والعبادات .

* * *

• المسلمة فى بيتها طاهية تحسن حياكة ثوبها وثياب بنيها .. بصيرة بتربية الأطفال ورعايتهم وتمريض المريض :

لها إلمام بطرف من علم النفس والإسعافات الأولية . ولها ثقافة واسعة فى التدبير المنزلى فضلاً عن الدين ، تُحيل الثياب الخَلقَة مفارش أو سجاجيد أو وسائد . أو تُحَوِّرها إلى ثياب للأطفال ، بل ترفو الثوب أو ترقعه . ثم تتصدق به أو تلبسه ، وفى هذا ترفيه عن الثياب الجديدة يمنحها حياة أطول . وفى هذا راحة لميزانية البيت إلى حدٍّ ما .

وقد كان معاوية بن أبى سفيان يخرج على قومه فى ثياب المُلك التى اعتاد أهل الشام أن يهابوا ذَويها . فإن كان فى بيته خلعها ولبس المُرَّقع تنفيذاً للسنة . وتأديباً للنفس وكفاً لها عن الخيلاء . ودعماً لاقتصاد الأسرة التى تؤمن

بأن المال فى يدها إنما هو مال الله . وليس لها فيه إلا[ما يكفيها . وللفقراء فى أموالهم حقوق .

* * *

• ويختار كل من الزوجين صاحبه كفئاً :

حتى لا يستعلى واحد على الآخر . وذو العلم والدين كفء لمثله فمن دونه . وفى الحديث : « تخيَّروا لنُطَفِكم . وأنكحوا الأكفاء » ، وقال عمر ابن الخطاب : « لأمنعن فروج ذوى الأحساب إلا من الأكفاء » . وقال : « لا تُكْرِهوا فتياتكم على الرجل القبيح فإنهن يحببن ما تحبون » .

كما يجب أن يختار كل من الزوجين صاحبه على أساس تدينه الصادق . ففى الحديث الشريف : « تخيروا لنطفكم الحجُز الصالح فإن العِرْقَ دسَّاس » [1] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « تُنكح المرأة لأربع : لمالها ، وجمالها ، ولحسبها ونسبها ، ولدينها ، فاظفر بذات الدين تربت يداك » .

ورغب رجل فى الزواج من بَغىٍّ (زانية مأجورة) فنهاه النبى ﷺ ونزلت الآية : ﴿ الزَّانِى لاَ يَنكِحُ إلاَّ زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً والزَّانِيَةُ لاَ يَنكِحُهَا إلاَّ زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ، وحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [2] . وقال عليه الصلاة والسلام : « إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخُلقه فزوجوه . لأنكم إلاَّ تفعلوا تكن فتنة فى الأرض وفساد عريض » . وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَأَنْكِحُوا الأَيَامَى منكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإمَائِكُمْ ، إنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ [3] .

* * *

قلت لمحدثتى : أعرف شاباً جامعياً يعمل مهندساً على جانب كبير من الورع والتُقى والرجولة ، قاده سوء الحظ فى العهد الناصرى إلى السجن ، وكم فى

---

(١) العرق دساس : كناية عن أن قانون الوراثة حق .
(٢) النور : ٣
(٣) النور : ٣٢

السجن من مظلومين ، ثم خرج ولقيته لا يزال على تُقاه . يحفظ القرآن . وفى ختام يومه يذهب إلى إمام المسجد يتلو عليه ما حفظه ، وكأنى به يُريد أن يقول : هكذا يارب أختم يومى كما أفتتحه بأقرب القُربات فاقبلنى وتقّبل منى . وكم أتمنى أن يكون زوجاً لابنتك المهندسة .

قالت : أنْعِم بورعه وتُقاه ، ولكننى أحب لابنتى إنساناً ليس له بطاقة فى سجلات المشبوهين لدى أجهزة الاستخبار والأمن العام ، فإن المشبوه عرضة لسحبه من فراشه فى أى لحظة . لا أُريد أن تعيش ابنتى مهددة بالترمل بين عَشية وضُحاها ، يسقط قلبها كلما طرق مخبر بابها ، أو حوّم حول البيت يسأل عن زوجها .

قلت : لقد سقطت مراكز القُوَى . وقذفت بهم يد العدالة إلى غيابات السجون التى قَذفوا فيها - من قبل - بالأبرياء الأتقياء .

قالت : هذا حق .. لقد سقطت مراكز القُوَى كما تسقط أوراق الخريف . ولكن لم تسقط معهم بطاقات المشبوهين مهما حسنت نياتهم وثبتت استقامتهم .

قلت : وبهذا أصبح الناس فى اتجاهين : الاتجاه الإسلامى ، أو الاتجاه النفعى المتطرف ، فإن أنتِ لم تختارى من ذَوى الاتجاه الإسلامى زوجاً لابنتك فإنك ستقعين - غالباً - فى براثن الاتجاه النفعى ، فى قبضة الأنانيين والمنحلين .. ولا ريب أن المتدين هو المأمون على مستقبل الفتاة ، أما غيره فمغامر مقامر أنانى مستهتر .

فلماذا نخاف الزواج بتقّى نَقّى وإن دخل السجن مظلوماً ، لماذا نرهب الاقتران به ونخشى أن يعود الزمان القهقرى [1] فتدور عقارب الساعة نحو الخلف ليُصاب الزوج مرة أُخرى بسوء ؟ لماذا كل هذه الأوهام ؟!

ولماذا نخاف الظلام ؟ إن شمعة ضئيلة من الأمل يُبَدِّد نورها جحافل

---

(١) القهقرى : للخلف .

الظلام .. إن الظلام يُخيف الجبان فقط ، أما الشجاع فيكشف حقيقته بشجاعته ويعرف أنه ظاهرة لا تُخيف ، وما يُخيف من الظلام إنما هو مجرد وهم من الأوهام ، إن الذى يخاف الظلام لا يسير ولا يتقدم . بينما الذين لا يهابونه يتقدمون . إن اليأس يعنى اهتزاز اليقين برحمة الله ، وقهره للطاغين فى أجل مسمى عنده . ولهذا قال ربنا سبحانه : ﴿ إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِنْ رَّوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾ (١) .

أليس الجهاد فى سبيل الله ، والعمل لتجميع البشرية على دين الله وكتابه فريضة على كل مسلم ومسلمة ، مهما اختلف أُسلوب الجهاد طبقاً لاختلاف العصور والبيئات ، ونوعية المعركة ، ونوعية المجاهد ذكورة وأُنوثة ؟ فلماذا نُمَجِّد المجاهدين ونُصَفِّق لهم على الشاشة دون أن نقوم نحن بهذا الدور ؟

إن التجربة التى يمر بها المجاهدون ضرورة لتطوير المجتمع وإصلاحه ، ولنشر الإسلام ودعم تعاليمه حتى تتغلغل فى خلايا كل المجتمع والأفراد . وعلى كل امرىء كِفْلٌ من ذلك ونصيب .

إن حدود التعرض لهذه التجارب الجهادية بَيَّنَهُ النبى الذى نؤمن به فقال : « لا تتمنوا لقاء العدو . ولكن إذا لقيتموهم فاثبتوا » . فالهرب من الواجب الذى يُعَرِّضنا لمحنةٍ وصِعابٍ إنما هو رذيلة تُدَمِّر الكيان الاجتماعى ، بل تُدَمِّرنا نحن .

لأنه إذا هرب كل إنسان فلم يُوجد من يقف سداً منيعاً فى وجه الاستبداد أو الحكم المنحرف ، فإن طوفان الدَمار سيُحيق بالدِيار وبالدَّيار (٢) معاً .

ألسنا نؤمن بالجهاد فريضة .. فلماذا نهرب من الفرائض .. ونُفرِّق بين حكم شرعى أو حكم شرعى آخر ، كأننا المعنيُّون بقول الله ، والعياذ بالله : ﴿ وَإِذَا دُعُواْ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ * وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴾ (٣) ، أو بقوله سبحانه : ﴿ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ

---

(١) يوسف : ٨٧

(٢) الديار : من يسكن الديار .

(٣) النور ٤٨ - ٤٩

بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً * أُولَئِكَ هُمُ الكَافِرُونَ حَقّاً ، وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُهِيناً ﴾ [1] .

قالت محدثتى : ألم يأمرنا الله بالحذر والحيطة ؟

قلت : بلى . ولكن الحيطة ليست تخلفاً وإحجاماً عن الواجب . ولكنها حسن التدبير والتصرف لأداء الواجب ، لا لتركه . كما هو تعبير القرآن : ﴿ خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ﴾ [2] . أو كما يقول : ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ ، فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ ﴾ [3] . أو كما يقول النبى ﷺ : « إعقلها وتوكل » . ومع هذا فلا يغنى حذر من قدر . وكما فى الحديث : « ما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن » .

والحيطة هنا أننا نختار للحياة الزوجية « مهندساً ومهندسة » ، ووظيفة المهندسة تكفى لإعاشة أسرة لو أن عاهل الأسرة عاقته الأقدار عن كسب قوته ، فحسبها أنها فى الحياة بسلاح المهنة تتقلد .

قالت ابنتها الجامعية : ولكن آثار أى سجن سياسى قد تُلاحق الزوجة فَتُبْعَد عن عملها الفنى ، وقد تُحرم ما تأخذه مقابل أعمال إضافية ومقابل طبيعة العمل .. هكذا كان ويكون مصير الموظفة المتزوجة بـ « مشبوه » من الطراز المتدين .. ولو تغاضينا عن الجانب المادى فإن هذا الإبعاد نفسه يُوَلِّد الشعور بأن الموظفة « منبوذة » فى وطنها غير موثوق بها . وتصور وطنياً يشعر بالغُربة فى بلده ؟

إن الإبعاد عن العمل الفنى حكم بالإعدام الاجتماعى على الموظف أو الموظفة . إنه العذاب الشديد الذى هدَّد به سليمان « الهدهد » إذ هدده بالنفى عن المعيشة فى البيئة التى نشأ فيها وقال : ﴿ لأُعَذِّبَنَّهُ عَذَاباً شَدِيداً أَوْ لأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴾ [4] .

---

(١) النساء : ١٥٠ - ١٥١
(٢) النساء : ٧١
(٣) آل عمران : ١٥٩
(٤) النمل : ٢١

قلت : هذا تصوير حق لماضٍ مرير لن يعود إن شاء الله ، فلا يتتابع فى السلطة جبارون قساة يسيرون على وتيرة واحدة . ولو جنح الأخير إلى القسوة فإنه يجرى عمليته مصحوبة بحقنة تخدير .

والتاريخ شاهد بأن الله رحيم بعباده ، وتأبى رحمته أن يترك شعباً يُعانى حُكماً قاسياً كحكم النازى أو الحكم الفاشى ، وتأبى رحمته عندما تنزل بالإنقاذ أن تسلمه لمن يكون على نفس الوتيرة : ﴿ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ ، وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً ﴾ [١] .

ولكن هل نسينا أن الإنسان أياً كان . جاء هذه الدنيا فى ساعة لم يسبق له أن حددها مع الله لنزوله إليها من بطن أمه . وهو خارج منها فى أجل مسمى عند الله ، وليس للمرء قدرة على إرجائه أو تعجله . أنسينا أن رزقنا وأجلنا بيد الله ، أنسينا أننا يجب أن نكون مع الواجب المفروض من الله نؤديه إسترضاءً له سبحانه برغبة وحب ؟ مهما كان فى أداء ذلك من صعاب ؟

إننا حين وجب علينا أن نُخطط لحياتنا لم نُكَلَّف إلا ما علينا مراعاته كالدستور والقوانين ، ثم ما قد يأتى بعد ذلك من ظلم وبغى علينا ، بالرغم من حقيقة عدم خروجنا على القانون - يكون هو عين القضاء والقدر الذى لا راد له . نستعين عليه بالصبر ، ونرجو من الله فيه الأجر ، وقد قال المتنبى :

وَالظُّلْمُ مِنْ شِيَمِ النفُوسِ فَإنْ تَجِدْ ذَا عِفَّةٍ فَلِعِلَّةٍ لاَ يَظْلِمِ

ولهذا فإن براءة البرىء كثيراً ما تعجز عن حمايته عن عسف الظالم حتى ولو قدَّم له فروض الولاء التى قدَّمها الحَمَلُ للذئبِ الذى اتهمه بأنه عَكَّر الماء عليه .
أرأيت إلى يوسف عليه السلام كيف اتضحت براءته المادية ؟ ﴿ فَلَمَّا رَأى قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ ، إنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴾ [٢] ، ومع تأكيد البراءة وكذب الاتهام تأكيداً يتبين من أساليب التأكيد المتعددة [٣] فى قول

(١) الأحزاب : ٦٢ (٢) يوسف : ٢٨
(٣) أساليب التأكيد هى : تكرار لفظ « كيدكن » ، ثم وصف الكيد بأنه عظيم .

العزيز ، فإنه بدلاً من أن يُمسك الحذاء يلطم به خائنة كاذبة ، يَتَّجِه إلى يوسف قائلاً : ﴿ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا ﴾ [1] . ثم يزج به فى السجن بضع سنين ، لأنه نظيف أبى مسايرة السلطة فى فسادها . وبعد لأى يجعل الله من السجين أمل الأمة المرجّى ، ومُنقذها الوحيد . وصاحب الكلمة المُطاعة .

سكتت الأم : فقلت : ألا تستشيرين ابنتك فقد ترضى هذا التَقّى النَقّى الكفء ؟ قالت الأم : لا . إنها لا خبرة لها ، فنحن عندما نرى الشخص المناسب نعطيها حق الاختيار .

وقلت فى نفسى : سبحانك يارب .. مهندسة يُقَيِّد المجتمع رأيها إلا فى إطار ما يرى . وأنت تعطى الفتاة حقها كاملاً فى الاختيار - دون قيد - إلا الكفاءة والاستقامة . اللّهم إن الحرية فى رحابك أوسع مدى .

فقد أخرج النسائى عن عائشة رضى الله عنها أن فتاة قالت للنبى ﷺ : « إن أبى زوّجنى ابن أخيه ليرفع بى خسيسته وأنا كارهة !! فأرسل النبى ﷺ إلى أبيها فجاء ، فجعل الأمر إليها . فقالت : يارسول الله .. إنى قد أجزت ما صنع أبى ، لكن أردت أن أَعَلّم النساء أن ليس للآباء من الأمر شىء » : أى ليس للأب أن يفرض على ابنته من يشاء .

وكأنى بالأُم تقول : إننا لم نفرض على ابنتنا رجلاً بعينه ، بينما هى غافلة عن أنها - بحجبها أنواعاً من الناس - فرضت عليها نوعاً دون نوع ، وطائفة دون طائفة .

وقالت محدثتى : إن ابنتى لا تزال صغيرة لم تبلغ من العمر أكثر من ربع قرن .

سبحانك ربى .. هذا مجتمعنا التقدمى يكفر بالواقع المَحَسْ - يكفر بالفطرة ،

(١) يوسف : ٢٩

فعلى الفتاة أن تتجلد وتتدرب على الحرمان مـن حقها الطبيعى كأنثى لم تنحرف . أما شريعتك يارب فتحمى حاجة الأنثى الطبيعية : « يامعشر الشباب .. من استطاع منكم الباءة [1] فليتزوج .. » ، « تناكحوا تناسلوا تكثروا » .. - ومن الحِكَم المأثورة : « شراركم عُزَّابكم » .

ربَّاه ... فى شريعتك الإنقاذ . ولكننا كالفَراش .. يُحب أن يسقط على النار .. كى يحترق .. ولا حول ولا قوة إلا باللّه العلى العظيم .

* * *

• والبيت المسلم منارة للهداية :

وهذا لا يتأتى ممن لم يجعلوا وظيفتهم فى الحياة الهداية ولم يكونوا فى أنفسهم مهتدين ، وعندما قال اللّه تعالى : ﴿ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلاَ تَبَرَّجْنَ ﴾ [2] ، عَقَّبَ على هذا بقوله : ﴿ وَاذْكُرْنَ مَا يُتلى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللّهِ وَالْحِكْمَةِ ﴾ [3] وذِكْرُها يعنى مراعاة أحكامها . كما يعنى ذِكْرُها للناس بالبيان والنشر . ولا شك أن هذا يحتاج التدريب وتبادل التجارب بين أفراد الأسرة وأصدقائها المتدينين .

* * *

• والبيت المسلم مفتوح للتوجيه والتربية والجهاد وتقديم الخير للناس :

﴿ وَاجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُواْ الْصَلاَةَ ، وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [4] .

---

(١) الباءة : القدرة على الزواج صحياً ومالياً .

(٢) الأحزاب : ٣٣ (٣) الأحزاب : ٣٤

(٤) يونس : ٨٧

وهذا ليس معناه الاستدانة من أجل القِرَى (إكرام الضيف بالطعام الجيد) وإن كان إكرام الضيف شريعة ، وذلك أن النبى ﷺ يقول : « لا تَكلفوا الضيف فتَبْغِضُوه » والله يقول : ﴿ لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْساً إلاَّ وُسْعَهَا ﴾ [1] . فهو بيت ليس منعزلاً عن المجتمع ، ولكنه النقطة التى تقع وسط الدائرة التى لا تزال تتسع على قدر ما يُيسر الله لهذا البيت المؤمن . حتى يتسع للناس جميعاً كبيت رسول الله ﷺ ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

* * *

(١) البقرة : ٦٨٢

الدعوة إلى الإسلام

• بم تكون الدعوة ؟

والدعوة إلى الله ذات وسائل ، فهى بالكلمة مقروءة ومكتوبة ، وهى بتربية الفرد ، وهى بالحصار للفساد والشرك والمعصية حتى يستسلم كل ذلك لكتيبة الحق تماماً . أو تُثَلُّ القضبان الهاوية على رؤوس دعاة الإسلام ، وحتى يتيسر للفضيلة وتعاليم الإسلام الاستعلاء الواجب فوق الرذيلة والشرك الخفى والجَلى .

وهذا لا يتأتى إلا بالعمل الفردى والجماعى فى أى صورة من صور التضامن والتعاون على البرِّ والتقوى ، ويد الله مع الجماعة : ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ ، إنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ * الَّذِينَ إنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ وَأَمَرُواْ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ الْمُنكَرِ ، وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ ﴾ [1] .

وما مَزَّقَ جماعة المسلمين إلا الوقوف والتشبث بالرأى حول المسائل الخلافية فى الفقه والفروع ، وخير تجربة للإمام الشهيد جمعه المسلمين على الأصول العامة : « الله غايتنا ، والرسول زعيمنا ، والقرآن دستورنا ، والجهاد سبيلنا ، والموت فى سبيل الله أسمى أمانينا » . وكما قال : « نتعاون فيما اتفقنا عليه ، ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه » .

* * *

• سمت الداعى إلى الله :

يتحلى بالتواضع - والعلم - وحسن الخُلُق - والحرص على السنة جهد الطاقة - ولين الجانب ، عدم التخلى عن قول الحق واضحاً فى غير إزدراء للضالين ، على حد قوله تعالى : ﴿ كَذَلِكَ كُنْتُم مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ﴾ [2] - وذلك حتى لا يلجَّ [3] المنحرفون فى طغيانهم يعمهون .. ومَنْ تكبر على الحق وأهله

---

(١) الحج : ٤٠ - ٤١ (٢) النساء : ٩٤

(٣) يلج : يمضى ويستمر .

فقد أذِنَ للداعى أن يستعلى بالإسلام وكلماته ، فيواجهه بالنصيحة . وقد جعل الله لأهل الحق سلطاناً على فاعلى المنكر ، وسماهم « الآمرون بالمعروف » ومعروف فى اللغة أن الأمر لا يكون إلا من الأعلى « الناصح » للأدنى وهو « العاصى » .

لأن أذان ساَعتَئذٍ شعاره : « الله أكبر » وحداؤه [1] « سيد الشهداء حمزة ابن عبد المطلب ، ورجل قام إلى إمام جائر أمره ونهاه فقتله » .

ومن سِمات الداعى إلى الله : حب الخير للناس كافة ، والبُعد عن مظاهر الترف وأسبابه ، والاستعداد بالتربية الخشنة - حسب الطاقة - للقاء عدو جبار ، عنيد ظاهر أو مستخْفٍ - وعدم التكالب على الدنيا ، وأن كسب القوت واجباً ، وكسب قِرَى الأضياف والفقراء واجباً علينا كذلك .

ومن سماته كذلك الذكر بالمأثور ، ومعايشة القرآن والسُّنة والسيرة العطرة ، والتخلى عن ردىء اللفظ ، وترك المُراء والجدل وما يبعثهما من خلافيات الفروع فى الفقه والعقيدة ، ففى الحديث الشريف : « أنا زعيم - أى كفيل - ببيت فى ربض [2] الجنة لمن ترك المُراء وإن كان مُحقاً ، وببيت فى وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً ، وبيت فى أعلى الجنة لمن حسُنَ خُلُقَه » .

ومن سِمات الداعى عدم الاشتغال بتجريح الأفراد والهيئات ، فقد يقتنع المرء بما تدعو إليه ثم يتركك ، لأنك جرحت إنساناً تربطك به رابطة القُربى أو الصداقة أو المنفعة . وأنت تجهل ذلك ، فتكون بتجريحك هذا أوصدت باب رحمة الله فى وجه مسلم ، على أن التجريح كالغيبة لا يكون إلا لضرورة ، والضرورات تُقَدَّر بقدرها [3] .

والانشغال بعرض الإسلام فى صورة مجسمة قوية بعيدة عن الخلافات المذهبية

(١) حداء : أغنية وأنشودة ، والحداء للإبل حتى تنشط فى سيرها .

(٢) ربض - بكسر الباء : وسط ، وبالفتح كما هنا : سور المدينة .

(٣) يعنى : دون مبالغة وعلى قدر الحاجة .

واجب ، وتمحيص الحقائق العلمية والخلافات المذهبية يجب ألا يكون فى الصورة التى تُظهر التمزق الفكرى . ولكن بالصورة التى تُبدى سماحة الإسلام فى الرأى والتفكير ، وتجمع أوجه الخلاف فتُرَدّ إلى أصولها وغايتها حتى تبدو من منطلق واحد هو الوحى . وما لم يلتق مع نصوص الوحى فلن يكون مذهباً إسلامياً ..

وكل من دعا إلى الإسلام ومات فإلى رحمة اللّه ، ندعو له بالمغفرة .. ولا يصح أن ننبش قبور الموتى فقد أفْضَوْا إلى ما قدّموا . وقد رُوِىَ فى الحديث الشريف : « لا تحكموا لأحد بجنة ولا بنار حتى يكون اللّه هو الذى يقضى » .

* * *

ختام

هكذا نفهم الإسلام ونلتزم بنقل هذا المفهوم إلى غيرنا ، كما نلتزم بتطبيقه كلمة كلمة ، وإلا فقد خُنا الله ورسوله وقد ائْتُمِنَّا على دينه وعلى تبليغه .

فهل تؤمنين ياأختى المسلمة بالله رباً حكيماً ، وقد أنزل بحكمته كتابه ، كما أرسل رسوله لتبليغ هدايته لنا لأنه يحبنا . ولهذا لم يتركنا نضيع فى الحياة فنحيا بلا دستور ، أو نتخبط على غير هُدى ؟

وتؤمنين بوجوب احترام كافة سفراء الله إلينا وهم رسله الأكرمون ، وأن الله أنزل كتباً وحفظها فى كتاب كريم نُقِلَ إلينا نقلا متواتراً مأموناً هو القرآن ؟

وهل تؤمنين بأنه لا يمكن التعرف على ما يُرضى ربنا إلا عن طريق كتابه ، فكانت قراءة القرآن باهتمام ، ودراسته بعناية - إلى جانب دراسة ما جاء به رسول الله ﷺ - عملاً تستوجبه دعواك الانتساب إلى الإسلام ؟

وهل تؤمنين بأن الله حكيم عليم ، ومحال أن يكون فى تشريعه نقص يحتاج تكملة من البشر ؟

وهل تؤمنين بأن الإسلام كثيراً ما نخالفه ، فلا يُحكم على الإسلام بخرافات وضلالات المنتسبين إليه حتى ولو انتصبوا فى مقام الفُتْيا والوعظ ؟

وهل آمنتِ بأن الله حرَّم التبرج ، لأن أضراره وخيمة على بنْيَتِنَا الاجتماعية ، وقوانا العسكرية ، وقُدرتنا الإنتاجية ، ومستقبلنا القومى والسياسى ، وصحتنا البدنية والوجدانية والنفسية . وأن المتبرجة خائنة لوطنها . ودينها وأُسرتها بمنطق العلم ، كما هى خائنة بمنطق الدين والفضيلة . وأن ما شرعه الله لِفَضِّ الخلافات الزوجية أو الطلاق من الكمال بدرجة لم يبلغها تشريع ؟

هل آمنتِ بأنه لا معنى لدعوى الإسلام إلا بعد تعرف على أحكامه من مصدريه الرئيسيين : الكتاب والسُّنة ، وإلا بالالتزام لهما فى القول والفعل والقضاء والسياسة .. إلخ ؟

وآمنتِ بأن اللَّحم المكشوف فى الشارعِ تعافه النفوس الصحيحة ، ولا يجرى وراءه .. يَقْبَلُه أو يُقَبِّلُه إلاَّ الوضعاء والدُّون [(١)] . وأنك جميعك عَرض مصون عن أعين ذئاب الطريق والمصنع والمدرسة والمشْفَى والمتجر فعليك أن تستريه ، ولا يظهر منك إلا ما هو ضرورى للحياة ؟

هل آمنتِ بأن اللّه حكيم فى تشريعه ، وحكيم فى كل عمل يُجريه فى الوجود ، فرضيت بقضاء اللّه وقَدَره من خير أو من شر .. فله سبحانه الحكمة التى قد تجل وتخفى عن عيوننا .. ﴿ لاَ يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ ﴾ ؟[(٢)] .

وهل آمنتِ بحكمة اللّه فى الجزاء يوم القيامة ، وتصورتِ الموت والنشور منه إلى المحشر والحساب والميزان ثم الشفاعة ثم الفصل بين الخلق . إما إلى الجنة وإما إلى النار . والصالحون معهم الصالحون من أبنائهم وأصدقائهم الصالحين . أما الطالحون [(٣)] و ﴿ الأخِلاَّءُ [(٤)] يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إلاَّ الْمُتَّقِينَ ﴾؟[(٥)] .

هل آمنتِ بالكلمة الطيبة وعزمتِ على أن تقوليها ، وحفظتِ من كلمات الرسول ﷺ شيئاً تتمثلين به وتذكرينه ؟

وآمنتِ بأن من مظاهر الاستقلال الاعتزاز بلغتك وتقاليد وطنك ودينك فى التحية والشكر ، وتفصيل الملابس ، والأحذية - وفى نوع الصور التى يُزَيَّن بها البيت ، وفى كيفية تصفيف الشعر أو حلقه ، وفى التطيب وأن كل ما خالف شرائع الإسلام من التقاليد السائدة باطل يجب التمرد عليه ، لأن الخير فى الإسلام ومصلحتنا العليا فيما رسمه ؟

هل آمنتِ أن الأمن مطلب للفرد والشعب ، ولكنه مطلب ناقص ما لم يصحبه إيمان بوحدانيَة اللّه خالقاً ومُشَرِّعاً .. لا شريك له فى شىء من هذا ، وإلا فقد غمطنا جلال الألوهية حقها ؟

---

(١) الوضعاء والدون : السفلة .
(٢) الأنبياء : ٢٣
(٣) الطالح : نقيض الصالح .
(٤) الأخلاء : الأصدقاء .
(٥) الزخرف : ٦٧

هل آمنتِ بأن الرحمة والأُخوة هى قاعدة التعامل فى البيت والمجتمع حتى مع الحيوانِ كذلك ، وعرفتِ صور المرحمة التى يجب أن تبرز منكِ فى بيتك : كحسن استقبال زوجك فى أناقة ، وعند طبق الحلوى الأسبوعى ، وعند حُسن تدبير منزِلك ؟

ثم عرفتِ صورة البيت المسلم : عارفاً باللّه - فيه مكتبة إسلامية ، يشمله الهدوء الشاعرى ، وتخطِرُ فيه الدُعابة المهذبة تمشى فى أُفق نظيف منسق بين أبرار أتقياء مصلين ، كرماء لضيوفهم ، هادين لقومهم ، نافرين من كل شعارات المدنية المعاصرة الفاسدة ، لا تبرُّج ولا تخنُّث .. ولا جرياً وراء التقاليد الأجنبية حتى نلهث .. وأن المسلمة « ست بيت » [1] من الطراز الأول أولاً ؟

وهل عرفتِ أنكِ داعية إلى دينك بالكلمة ، والعمل الصالح ، وحصار الشر وتقبيحه ، وتزيين الإيمان وتمليحه ، وعرفتِ سمة الدعاة إلى اللّه . من تواضع مع علم ، ومن التزام للسُّنة والكتاب ، وحب للخير وإسهام فى مجالاته . وبُعْدٍ عن الجدل وعن تجريح الخصوم ، وانشغال بتجسيم الإسلام ومفاهيمه ، وبُعْدٍ عما فيه خلافات تُمَزِّق ، وإتجاه إلى ما فيه تجميع يُقَوِّى الصف ؟

أُختى المسلمة .. إنك بهذا الفهم المصحوب بالتطبيق تخرجين فى زيكِ الإسلامى وقد توَّجتِ رأسك بالخمار الأبيض أو الوردى أو الذهبى أو غير ذلك .. تخرجين ملاكاً فى صورة عروس تُعلنين فى قوة : آمنت بربى واعتززتُ بتراثى ودينى ، وكفرتُ ببقايا الاستعمار وخناجره الرعناء المرتعشة التى أفسدت الحياة .. ﴿ رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَّدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَداً ﴾ [2] . ﴿ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا ، إنَّكَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [3] .

* * *

---

(١) تعبير مصرى يُكَنَّى به عن مهارة السيدة فى أعمال المنزل من طهى ونظافة وتنسيق وحسن تدبير .

(٢) الكهف : ١٠ . (٣) التحريم : ٨

محتويات الكتاب

الصفحة

الفصل الأول : العقيدة

(٧ - ٤٠)

الفصل الثاني : السلوك

(٤١ - ٥٦)

الفصل الثالث : تعليم المرأة

(٥٧ - ٧٨)

الفصل الرابع : ليلة الزفاف

(٧٩ - ١٠٠)

الفصل الخامس : حقوق الزوج

(١٠١ - ١٥٠)

الفصل السادس : حقوق الزوجة

(١٥١ - ١٨٨)

الفصل السابع : صورة البيت المسلم

(١٨٩ - ٢١٩)

* * *

كتب للمؤلف

١ - المرأة في التصور الإسلامي .

٢ - جريمة الزواج بغير المسلمات ... فقهاً وسياسة .

٣ - لا نسخ في القرآن ... لماذا ؟

٤ - الناسخ والمنسوخ بين الإثبات والنفي .

(النسخ في الشريعة الإسلامية كما أفهمه) .

٥ - الضالون .. كما صورهم القرآن الكريم .

٦ - حجية السنة ومصطلحات المحدثين وأعلامهم .

٧ - المشتهر من الحديث : الموضوع ، والضعيف ، والبديل الصحيح .

٨ - السيرة النبوية .. وأوهام المستشرقين .

٩ - نظام الحكم في الإسلام .. بأقلام فلاسفة النصارى .

١٠ - نبأ ابنى آدم ... بذرة التشريع الجنائى .

١١ - ما حكم التصوير .. والنرد .. والشطرنج ؟

١٢ - مقتل العرب في صراعاتهم منذ فجر التاريخ

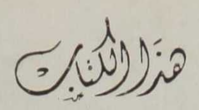
١٣ - أصالة الدواوين .. والنقود العربية .

١٤ - عالمية رسالة الإسلام .

١٥ - معجزة فتح مصر .

رقم الإيداع بدار الكتاب : ٤١٢٥ / ٨٩
الترقيم الدولي : ٨ - ١٨٩ - ٧.١ - ٩٧٧

طبع بالمطبعة الفنية ـــ ت : ٣٩١١٨٦٢



﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ (قرآن كريم)

« استوصوا بالنساء خيراً » (حديث شريف) .

بهذا الاهتمام الشديد ينظر الإسلام إلى المرأة .

● فماذا قدَّم دعاة الجانب الآخر ؟ ومتى وكيف ظهرت صيحة حقوق المرأة ؟ ولحساب من قامت الدعوة المسعورة إلى السفور والتبرج .. ؟

وهذا الكتاب « المرأة في التصور الإسلامي » يعرض .. المخطط العملي للأسرة السعيدة المستقرة التي تحتمي بمبادىء الإسلام ، فتستعصي على التمزق .. ويقدِّم ... الصور .. والنماذج .. للذين يريدون أن يصوغوا بناتهم وأخواتهم وزوجاتهم على نمطها ... والتي تهدى الزوجين إلى ما فيه خيرهما وخير المجتمع .. ويكشف ما أدت إليه دعوة السفور والتبرج .. من انفصام روابط الأسرة ، والتمزق الاجتماعي ، والتحلل الأخلاقي .

● ومؤلف الكتاب - بدراساته المتنوعة -- جمع من النصوص الإسلامية ، والدراسات الاجتماعية ، والأحداث التاريخية ، حول هذا الموضوع ما يجعله فريداً في بابه ..

● وبأسلوب بعيد عن المصطلحات ، بسَّط « العقيدة » .. وخاصية القرآن ووظيفته الاجتماعية والسياسية .. ثم يستعرض « السلوك » وآثاره ، ويبين أهمية « تعليم المرأة » .، ويشرح آداب « ليلة الزفاف » .. ويلقى الضوء على « حقوق الزوج وواجبات الزوجة » .. ويوضح « حقوق الزوجة وواجبات الزوج » وعلى أى أساس يجب أن تستقر « صورة البيت المسلم » ...

● وقد استقبل الكتاب بما يستحقه من التقدير والرواج .. فنفدت طبعاته السابقة وهذه الطبعة الأخيرة نقدمها اليوم بعد إضافة زيادات وتنقيحات هامة ..

● ويسر « مكتبة وهبة » أن تقوم بنشر هذا الكتاب .. ليكون [illegible] .. أمام الذين يستعلون على الشهوات الرخيصة .. ويطلبون الحياة الطاهرة [illegible]

